

السِّيَادَةُ الْعَرَبِيَّةُ

وَالشَّيْعَةُ وَالْأَسْرَاقِيَّةُ

فِي عَهْدِ بَنِي أُمَيَّة

تأليف

(فان فلوتن)

La Domination Arabe, le Chi' itisme et les Croyances Messianiques sous le Khalifat des Omayyades, Par G. Van Vloten.

ترجمه عن الفرنسية وعلق عليه

محمد زكي ابراهيم

إجازة التخصص في التاريخ والأخلاق
(شعبة الفلسفة) من كلية اللغة العربية
بجامعة الأزهر

الدكتور حسين ابراهيم حسن

مدير جامعة أسيوط السابق
أستاذ بمعهد الدراسات الإسلامية
جامعة بغداد

الطبعة الثانية



مكتبة النهضة المصرية

لأنها كانت مكتبة
وكانت مكتبة
وكانت مكتبة

مطبعة النجدة

١٧ شارع شريف ياها الكبير — القاهرة
ت ٩٠٦٠١٧

التمن ٣٥

کتابخانه شخصی
تبع قسم و کتابخانه

السيادة العربية

والشيعة والاسرائيليات
في عهد بني أمية

تأليف

(فان فلوتن)

La Domination Arabe, le Chi' itisme et les Croyances Mess-
ianiques sous le Khalifat des Omayyades, Par G. Van Vloten.

ترجمه عن الفرنسية وعلق عليه

محمد زكي ابراهيم

الدكتور حسن ابراهيم حسن

إجازة التخصص في التاريخ والأخلاق
(شعبة الفلسفة) من كلية اللغة العربية
بجامعة الأزهر

مدير جامعة أسبوت السابق - أستاذ بمعهد
الدراسات الإسلامية - جامعة بغداد

الطبعة الثانية



مكتبة النهضة المصرية
مكتبة النهضة المصرية
مكتبة النهضة المصرية
مكتبة النهضة المصرية

حقوق الطبع محفوظة للمترجمين

مكتبة الشارقة

١٧ شارع شريف باشا الكبير — القاهرة

ت ٩٠٦٠١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

طالما كان يشير الأستاذ المرحوم السير توماس أرنولد في محاضراته بجامعة لندن إلى كتاب « فان فلوتن » حين كنت طالباً بقسم التاريخ الإسلامى بهذه الجامعة . ولما انصرفت للبحث وإعداد رسالتى لامتحان الدكتوراه ، كان هذا الكتاب من أهم المصادر التى اعتمدت عليها ولا سيما فيما كتبتة عن الشيعة . ولما ذهبت إلى مدينة ليدن بهولندة للبحث والاطلاع على بعض المخطوطات أردت اقتناء نسخة من هذا الكتاب لنفسى . فلم أستطع تحقيق هذه الأمنية ، على حين أنه لم يمض على طبعه إلا ثلاث وثلاثون سنة . ولم أجد منه سوى نسخة واحدة بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن . فلما أتممت دراستى وعدت إلى مصر فى أوائل سنة ١٩٢٨ نذبت لتدريس التاريخ الإسلامى بقسم التخصص بالجامعة الأزهرية حيث يفرض على طلبة السنة النهائية تقديم بحث فى الموضوع الذى يتخصصون فيه . وقد اختار شريكى الشيخ محمد زكى إبراهيم « الدولة الأموية بين عوامل الانحلال والفناء » موضوعا لرسالته ، فأشرت عليه بالرجوع إلى كتاب « فان فلوتن » والاعتماد عليه فى بحثه . وهكذا أفاد كل من الأستاذ والتلميذ من هذا الكتاب فى رسالته . لذلك اتفقت رغبتنا على نقله إلى اللغة العربية ليستفيد منه الناطقون بالضاد .

* * *

وقد عاج المؤلف فى كتابه ناحية من نواحي التاريخ الإسلامى ، قلما سبقه إليها أحد من المستشرقين . ولا غرو فقد أمدنا بطائفة قيمة من المواضيع

الجديرة بالبحث في تاريخ الدولة الأموية : من ذلك ما كتبه عن الخراج ، وحالة الموالى السياسية والاجتماعية ، وسياسة عمر بن عبد العزيز نحوهم وأثرها ، ثم عن الثورات التي أذكى نارها الخوارج . كما أفرد بابا مطولا عن الشيعة ، وعقائدها ، وطوائفها المختلفة ، وعن غيرها من الفرق الدينية كالخرمية والراوندية ، وبين إلى أى حد استفاد العباسيون من قيام هذه الطوائف المختلفة في نشر دعوتهم في العراق ثم في خراسان . وقد فطن المؤلف إلى ما لم يفتن إليه غيره من المؤرخين من أسباب سقوط الأمويين ، فأفرد بابا طويلا تكلم فيه عن العقائد غير الإسلامية التي أخذها المسلمون عن المسيحية واليهودية وغيرها من العقائد الفارسية القديمة - وهو ما يسميه علماء المسلمين «الإسرائيليات» ولا سيما ما يتعلق منها بالتنبؤ بمصير العالم ، ورجعة عيسى بن مريم وظهور الدجال . كذلك أفاض المؤلف الكلام عن عقيدة المهدي وأثرها في سقوط الدولة الأموية . وبالاختصار فقد أرجع « فان فلوتن » سرائع انتصار العباسيين إلى ثلاثة عناصر هامة : (١) الكراهة المستأصلة التي كان يكنها أهل البلاد المغلوبة للفتاحين من العرب (٢) الشيعة وهم أنصار أهل البيت (٣) انتظار مخلص أو هاد Messie .

وقد سلك المؤلف في بحث هذه الموضوعات طريقة تحليلية دقيقة ، كما ناقش المصادر العربية ومحض ما ورد فيها من الحقائق التاريخية تمحيصاً يدل على دقة البحث وسعة الإطلاع ، كما يتبين ذلك من المصادر العربية والأجنبية الكثيرة التي اعتمد عليها . ومما يمتاز به هذا الكتاب أن مؤلفه لم يقتصر في بحثه على الكتب التاريخية فحسب ، بل استعان على كشف بعض المسائل بالقرآن الكريم وكتب السنة والأدب والمذاهب .

ولم يقتصر عملنا على مجرد نقل الكتاب إلى اللغة العربية ، بل عينا في الوقت نفسه بنقد بعض مذهب إليه المؤلف من الآراء التي لا تتفق والبحث التاريخي النزيه . من ذلك مذهب إليه من القول بأن الإسلام قد انتشر عن طريق الإرهاب لا عن طريق الإقناع بالحجة والموعظة الحسنة ، كذلك ما ذكره المؤلف من بغض أهالي البلاد التي فتحها العرب للإسلام ومحاولتهم الارتداد عنه ، وأن المسلمين كانوا يضطهدون أهالي البلاد التي فتحوها ، وهو مالا يتفق مع روح الإسلام وخلق الرسول الكريم وخلفائه من بعده . يؤيد ذلك قوله تعالى في نبيه (وإنا لك لعلی خلق عظیم) (فبا رحمة من الله لنت لهم . ولو كنتَ فظا غليظ القاب لانفضوا من حولك) (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) ، ثم قوله عليه الصلاة والسلام « ألا كلکم راع وكل راع مسئول عن رعيته . فالإمام الذي على الناس راع عليهم وهو مسئول عنهم ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، وكلکم راع وكلکم مسئول عن رعيته » ، ثم ما ذكره ابن عبد الحكم « من أن رجلا من أهل مصر أتى إلى عمر ابن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين ! عاثر بك من الظلم . قال : عذتُ بمعاذ . قال سابقُ ابن عمرو بن العاص فسبقته ، فجعل يضربني بالسوط ويقول : أنا ابن الأكرمين . فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه ويقدم بابه معه ، فقدم . فقال عمر : أين المصرى ؟ خذ السوط فاضرب ، فجعل يضربه بالسوط وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين . ثم قال للمصرى : ضعه على صلعة عمرو . قال : يا أمير المؤمنين ! إنما ابنه الذى ضربني وقد اشتفيتُ منه . فقال عمر لعمرو مُدِّم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! لم أعلم ولم يأتني . » .

كذلك عنينا بشرح بعض ما ورد بالكتاب من المسائل التي قد يستعصى على القارىء فهمها . من ذلك شرح مذاهب الإشرافية أو اللاءدرية ، والمناوية والبابية ! والإسرائيليات ، ثم شرح بعض الألفاظ العربية وبيان بعض البلدان كما رجعنا إلى المصادر العربية التي أخذ عنها المؤلف وتصحيح ما أخطأ في نقله . كذلك حرصنا على نقل العبارات المقتبسة بنفسها من المصادر العربية . وقد اقتصر المؤلف على تقسيم كتابه إلى ثلاثة أبواب ، كل منها يشتمل على فصول أكتفى بالإشارة إلى كل منها برقم لاتيني . لذلك عنينا بوضع عناوين لكل فصل من فصول الكتاب ، حتى يسهل على القارىء معرفة الموضوع الذى يتكلم عنه المؤلف ، كما يسهل على الباحث أيضاً الاهتداء إلى المسائل التي يريد بحثها . وقد أشرنا إلى النقد والتعليقات والشروح التي أتينا عليها بعلامة X أو X X .

ومما يؤخذ على هذا الكتاب خلوه من فهرس يسهل على القارىء استقصاء الحوادث التاريخية . لذلك عنينا عناية خاصة بعمل فهرس للأعلام والمصادر والبلدان وغيرها من الأسماء التي تدل على حوادث تاريخية هامة . وقد أعطينا عنا شديداً في نقل هذا الكتاب وضع المؤلف له باللغة الفرنسية ، تلك اللغة التي كان لا يحسن التعبير بها كما صرح بذلك في مقدمته .

* * *

وعلى الرغم من ذلك فالكتاب فى جملة كنز ثمين يدل على ما امتاز به المؤلف من دقة البحث وسعة الإطلاع وتقصى الحقائق . وهو مما لا يستغنى عنه المشتغلون بالتاريخ الإسلامى فى البلاد الإسلامية ، كما يستفيد منه المستشرقون أنفسهم ولا سيما من تلك التعليقات التي ألقت قبسا من النور على كثير من المسائل التي تصدى المؤلف لبحثها . وقد استعنا فى ذلك بكثير من كتب التاريخ والفقه

والحديث والمذاهب ، وكذا المصادر الإفريقية مما يزيد — بلاريب — في قيمة الكتاب من الوجهة التاريخية . وقد اقتصرنا في ردنا وتعليقنا على هذا القدر لثلا نخرج عن القصد .

* * *

وقد تحررنا جهدنا الأمانة في النقل وتفهم المسائل التاريخية وشرحها على ضوء المصادر التي أخذعنها المؤلف . ونرجو أن نكون قد وفقنا بعض التوفيق في نقل ما كتبه بعض المستشرقين عن التاريخ الإسلامي وعن رأيهم في الإسلام والمسلمين ، حتى يكون القارئ على بينة من رأى هؤلاء في المسلمين بوجه عام والشرقيين بوجه خاص : ومما يزيد في قيمة هذا الكتاب ندرته ، حتى إنه لا يوجد منه الآن سوى نسخة واحدة بدار الكتب الملكية ، وهي النسخة التي نقلنا عنها .

من إبراهيم من — محمد زكي إبراهيم

أكتوبر ١٩٦٤

(ح)

محتويات الكتاب

صفحة

١

مقدمة المترجمين

١

مقدمة المؤلف

الباب الأول

السيادة العربية

٥

١ — كيف انتشر الإسلام ؟

٢٠

٢ — الفتوحات الإسلامية في نظر بني أمية

٢٦

٣ — الخراج

٣٥

٤ — حالة الموالى السياسية والاجتماعية

٤٤

٥ — الحالة في خراسان

٥٧

٦ — سياسة عمر بن عبد العزيز نحو الموالى وأثرها

٦٠

٧ — ثورة الحارث بن سُرَيج

الباب الثاني

الشيعة

٦٩

١ — نشأة الفرق الإسلامية

٧٥

٢ — عقائد الشيعة

٨٠

٣ — طوائف الشيعة

٩١

٤ — الهاشمية

٩٧

٥ — الحرورية والراوندية

١٠٤

٦ — انتقال الدعوة العباسية من العراق إلى خراسان

(ح)

الباب الثالث

الإسرائيليات

صفحة

- ١ — التنبؤ ببعض الأشخاص أو الحوادث المعينة ١٠٨
- ٢ — التنبؤ بمصير العالم ١١٥
- ٣ — رجعة عيسى بن مريم وظهور الدجال ١٢٠
- ٤ — عقيدة المهدي وأثرها في سقوط الدولة الأموية ١٢٢
- ٥ — قيام الدولة العباسية ١٢٨
- ٦ — خاتمة ١٣٢

تذييل

- ١ — الشئون المالية في خراسان وإصلاحات نصر بن سيار ١٣٧
- ٢ — الأمويون يمثلون الجماعة الإسلامية ١٣٩
- ٣ — أسباب ثورة أهل إفريقية ١٤٠
- ٤ — الخوارج في عهد الأخيرين من خلفاء بني أمية ١٤٢
- ٥ — المهديون من غير آل البيت ١٤٥
- ٦ — سليمان بن كثير والكفّية ١٤٧

فهرس الكتاب

- ١ — الفهرس العربي ١٤٩
- ٢ — الفهرس الافرنجى ١٦٥

مقدمة الكتاب

سنعرض في هذه المقدمة لدراسة تاريخ الحزب العباسي ومدى نشاطه ،
عسانا تقدم للقارئ طائفة قيمة من الأسباب السياسية والدينية التي انتهت
بسقوط العرش الأموي ، إذ لا نستطيع قط أن ننكر أن سقوط ذلك العرش
لم يبدأ إلا منذ اللحظة التي قام فيها أنصار البيت النبوي من دعاة العباسيين
ليحلوا محل الأمويين ، أو بالأحرى منذ الوقت الذي ثار في خراسان حزب
كان على تمام الاستعداد لمناصرة الدعوة العباسية بكل ما فيه من قوة .

فهمتنا إذاً تنحصر في حل تلك المعضلة ، وهي تعرّف الأسباب التي دفعت
الخراسانيين إلى أن يشايعوا البيت النبوي . قد يبدو ذلك سهلاً لأول وهلة .
فقد تكلم مؤرخو العرب الذين نستشير بما نقلوه إلينا في هذه المسألة ، عن نظام
الدعوة العباسية التي هيأت النفوس لحكم بني هاشم (أهل البيت) . ونظن أننا
قد أتممنا واجبنا حين نبين للقارئ كيف قامت تلك الدعاية وكيف وجدت
طريقها إلى النفوس .

وقد حاولت جهدي حل تلك المعضلة في رسالتي التي كتبتها عن « أصل
الحزب العباسي » Die obkomst der Abbasiden in Khorasan.
Leyde. 1890 معتمداً على ما نقله المؤرخون فيما يتعلق بالدعوة لبني العباس .
وقد تتبعت جهد المستطاع هذه الحركة منذ نشأتها في خراسان حتى اعتلاء
الحزب الجديد كرسى الخلافة .

وأما فيما يتعلق بموضوعنا الذي نحن بصدده فلا يسعني إلا أن أصرح بأنني
لا أستطيع أن أحلل أسبابه تحليلًا تاريخيًا مرضيًا ، إذ أني مقتنع تمام الاقتناع

أن ما ذكره مؤرخو العرب في ذلك الموضوع ليس سوى تكرار الحوادث لها نصيب قليل أو كثير من الصحة ، ربما تستر الحقيقة أكثر من أن تكشف القناع عنها ، وذلك لتأثرها بالبلاط في بغداد .

على أن تلك البحوث المتقدمة لم تكن عديمة الجدوى . فقد مكنتني من أن أكون لي رأياً في القيمة النسبية للمصادر العربية ، كما كشفت اللثام عن شيء هو أهم من هذا ، وهو وجود ثلاثة عناصر لها قيمة كبيرة في نظر من يريد أن يتعرف سر انتصار العباسيين وهي : (١) الكراهة المتأصلة التي كان يكنها أهل البلاد المغلوقة للفاتحين من العرب الذين يختلفون عنهم في الجنس والذين كانوا يضطهدونهم ويسومونهم الخسف (٢) الشيعة وهم أنصار أهل البيت (٣) انتظار مخلص أوهاد (Messie) .

وإن موضوعاً مثل هذا لفي حاجة ماسة إلى بحث أدق وأعمق مما نظن . وكان لزاماً علينا ، ولا سيما إذا سلكننا طريقاً غير الطريق الذي سلكه مؤرخو العرب ، أن نعنى بوجه خاص بتعرف حال الشعوب المحكومة وعلاقاتها بالشعب الحاكم ، وأن نبحت بعد ذلك أثر تلك العلاقات في انتشار الدعوة الشيعية ، ثم نبين إلى أي حد كان أثر اعتقاد الناس بالإسرائيليات^(١) ، وإلى أي حد ساعد ذلك الاعتقاد بانضمامه إلى الأسباب السالفة الذكر على الدعوة لبني العباس .

وإلى القارئ خلاصة تلك البحوث الجديدة ، عليها تعدل الشيء الكثير مما كان يذهب إليه المؤرخون في الحكم على العصر الأموي ، والتي لا تعرض

(١) العقائد غير الإسلامية - وبخاصة اليهودية والمسيحية والمجوسية والبابية - التي تأثر بها المسلمون في أواخر القرن الأول الهجري . ولعله يقصد من بين تلك العقائد عقيدة المهدي المنتظر ، وهي يهودية الأصل - المترجمان .

للنزاع بين القبائل الذى عنى به مؤرخو العرب ثم مؤرخو الفرنجة عناية كبيرة والذى لم يكن له إلا مكان ثانوى بين تلك العوامل الكثيرة التى انتهت بسقوط الأمويين . فإن ذلك النزاع وإن ساعد فى اللحظة الأخيرة على نجاح الدعوة العباسية ، فلم يكن له أثر ما فى تلك الحالة الجديدة التى ظهرت عقب قيام الدعوة العباسية . ولن تقتصر بحثنا على دراسة الحالة فى بلاد خراسان . فإن بحث حال تلك البلاد ، وإن كان يفسر لنا ما يجرى فى غيرها من الولايات الأخرى ، فقد كان لبعض الحوادث التى سنعرض لها علاقة وثيقة بالجزء الشرقى من الدولة الإسلامية بوجه عام وبلاد العراق بوجه خاص ، وذلك التوسع فى البحث ، وإن كان يزيد فى الصعوبات التى نواجهها فى مهمتنا هذه ، إلا أنه سيزيد بلا ريب ما عسبنا نصل إليه فى دراسة هذا العصر بقدر ما يتسع لنا مجال هذا البحث . ولن نقفل على القارئ بتفصيل المراجع التى اعتمدنا عليها ؛ فقد ذكرناها قبل . ومن أهمها الطبرى (طبعة مسيو دى غويه) ثم ما كتبه أشهر مؤرخى القرنين التاسع والعاشر (الميلاديين) ، كالبلادى ، واليعقوبى ، والمسعودى ، وابن عبد ربه ، وكذا بعض المؤرخين المتأخرين ، كصاحب كتاب العمون وابن الأثير والمقرئى . وأما فيما يتعلق بالمخطوطات فإنى مدين ببعض المعلومات القيمة لكتاب المقفى الكبير للمقرئى ، وكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد التى كنت أرجع إليها ، وذلك عدا جزء كبير من مجموعة Legatum Warnerianum . ويرجع الفضل فى ذلك إلى سخاء القائمين بإدارة المكتبة الأهلية بباريس ، وكذا مكتبة Ducales de Gotha .

وإنى لأدين بالشكر لأستاذى العزيز مسيو دى غويه ، فقد أظهر اهتماماً شديداً بما قمت به من البحوث وسدد خطاى فى ميدان التاريخ الإسلامى الفسيح الأرجاء - تلك الخطا التى كانت خطأ مستشرق لا يزال فى المهد ، كما عنى بمراجعة هذا الكتاب قبل طبعه وأمدنى بملاحظاته القيمة .

لم يبق أمامى بعد ذلك إلا أن أعتذر عن جرأتى على كتابه هذا البحث
باللغة الفرنسية التى لا أحسن التعبير بها تمامًا . وهذا ضعف أعترف به عن
طيب نفس . وإنما اضطررت إلى الكتاب بهذه اللغة لأنى لم أرد أن يكون
هذا الكتاب خاصًا بزملائى العلماء فحسب ، بل أردت أن يكون فى متناول
المستشرقين من الذين يعنون بثمار الدراسات التى يقوم بها علماء الغرب .

وأكبر ظنى أن الوقوف على قيام الحركة العباسية وما كان لها من أثر
ليس خلواً من النفع للشرق الحديث . فطالما لاحظت ثمة توافقاً غريباً بين
ما كان يجرى فى عهد عبد الملك وهشام وبين ما نشاهده اليوم من الحوادث
فى الشرق . ولعل أن يكون فى ذلك « عبرة لمن يعتبر » .

ليدن — أغسطس سنة ١٨٩٢

الباب الأول

السيادة العربية

— ١ —

كيف انتشر الإسلام ؟

هناك فرق عظيم بين انتشار المسيحية وانتشار الإسلام . فقد انتشرت المسيحية انتشاراً وثيداً وسط وابل من الاضطهادات والآلام ، كما يدل على ذلك ما أثر عن عيسى عليه السلام من تلك الكلمات : « إن مملكتي ليست من هذا العالم » . وقد استطاعت المسيحية أن تحتفظ بطابعها على الرغم من انسياها قروناً عدة بين شعوب مختلفة ومدنيات راقية . أما الإسلام فكان على العكس من ذلك . فإن محمداً (عليه الصلاة والسلام) لم يلبث أن أصبح له نفوذ روحى وزمنى عظيم بعد سنين قلائل من الجهاد والاضطهاد كما يدل على ذلك غير آية من القرآن ، وذلك بتحول أهل المدينة إلى الإسلام . وقد أصبح الإسلام بفضل ذلك النفوذ الذى كان يتمتع به الرسول ديناً قوياً قام بحمد السيف وانتشر بين الشعوب عن طريق الإنذار والوعيد . ولم يكن اعتناق أهل جزيرة العرب للإسلام ، أو بالأحرى خضوعهم له ، نتيجة دعاية سامية وادعة . فقد أرغم ما كان للنبي من قوة ونفوذ بعض القبائل العربية من أهل البدو على الدخول فى الإسلام ، كما لم يكن إخضاعها حين ارتدت عنه بعد وفاة الرسول عن طريق الإقناع والمحاجة بكتاب الله

بل بقوة السيف . فقد أرغهم خالد بن الوليد (سيف الله) إلى الرجوع إلى الإسلام^(١) .

(١) هذا لا يتفق مع صريح قوله تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) . أضف إلى ذلك منافاته لما رواه الثقة من المؤرخين عن بدء انتشار الإسلام . فقد بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة بعض أصحابه ممن كان يثق بهم ، فأسلم أبو بكر وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ، وتبعهم غيرهم . وطالما كان يعرض الرسول نفسه في موسم الحج على القبائل داعياً من أقبل إلى مكة من سائر العرب إلى الإسلام . وكان من هؤلاء جماعة من الأوس والخزرج من أهل المدينة ، فأجابوه إلى مادعاهم إليه من اعتناق الإسلام ثم رجعوا إلى المدينة ودعوا قومهم إلى هذا الدين ، فلم يبق دار من دور أهل المدينة إلا وظهر فيها الإسلام . مضى ذلك في جزيرة العرب دون أن يستل النبي سيفاً أو يقاتل عدواً . كذلك اتبع الرسول الطرق السلمية في نشر الإسلام خارج جزيرة العرب . وإلى القارىء ما كتبه الرسول إلى كسرى يدعو به إلى الإسلام ، ذلك الكتاب الذى تسوده روح السلم والموادعة : « بسم الله الرحمن الرحيم ! من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وأن لا إلا إله الله ، وأنى رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً . أسلم تسلم ، فإن أبيت فليك إثم المجوس » . فمزق كسرى كتاب الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقال الرسول : « مزق الله ملكه ! » على أن كسرى لم يقف عند تلك الاهانة ، بل كتب إلى باذان عامله على النين : « ابعث إلى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين من عندك جليدين فليأتيا به » . فبعث باذان رسولين يحملان كتاباً إلى الرسول يأمره فيه أن ينصرف معهما إليه ، فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلاً من قريش ، فسألاه عن الرسول فقالوا هو بالمدينة . واستبشروا بهما وفرحوا ، وقال بعضهم : أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك ، كفيتم الرجل . فخرج الرجلان حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا له : « إن كسرى قد بعثنا إليك لتنتقل =

لم يتردد النبي (عليه الصلاة والسلام) في رمي أهل الكتاب بالكذب والتضليل واتهامهم بالتحريف في كتبهم حين رأى أن دينه الذي كان يرمي

== معنا « . فصرفها الرسول على أن يعودا إليه في الغد . فأتى رسول الله الخبر من السماء » أن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله « . فلما قدم الرسول أن أخبرها الرسول هذا الخبر فقال له : « إنا قد نعمنا عليك ما هو أيسر من هذا ، أفكتبك هذا عنك ونخبه الملك ؟ » قال « نعم ! أخبره ذلك عني وقولا له إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى وقولا له إنك إن أسلمت أعطيتك ماتحت يديك وملكتك على قومك من الأبناء » . فعاد الرسول إلى باذان فقضا عليه ماتنبا به النبي فقال : « والله ما هذا بكلام ملك ، وإني لأرى الرجل نبيا كما يقول : ولنتظرن ما قد قال ، فلئن كان هذا حقا فإنه لنبي مرسل . وإن لم يكن فسرى فيه رأينا » . فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه : « أما بعد فإني قد قتلت كسرى . ولم أقتله إلا غضبا لفارس لما استحل من قتل أشرفهم . فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب فيه إليك (يعني الرسول عليه الصلاة والسلام) . فلا تهجه حتى يأتيك أمرى فيه » . فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذان قال « إن هذا الرجل لرسول » ، فأسلم وأسلم من كان معه من الفرس ببلاد اليمن (الطبرى ج ٣ ص ٩٠)

كذلك كتب الرسول إلى هرقل إمبراطور الدولة البيزنطية (الطبرى ج ٣ ص ٨٧) وإلى المقوقس عامله على مصر كتابين يدعوها إلى الإسلام بالوسائل السلمية دون أن يلجأ إلى إذكاء نار الحرب .

وإن ما ذهب إليه المؤلف ليتنافى أيضاً مع ما سار عليه الخلفاء الراشدون مع أهل البلاد التي فتحوها واحترامهم لحريتهم الدينية ومحافظتهم على حقوقهم المدنية يدل على ذلك أمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأهل إيلياء الذي نقله عن الطبرى (ج ٢ ص ١٥٩) : « هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان . أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا نهدم ، ولا ينتقص =

إلى نشره بادئ ذي بدء بين مواطنيه لم يرض اليهود كما لم يرق للنصارى . وهكذا استطاع الإسلام أن يحاج أهل الكتاب بتصريجه أنه أرق الأديان

= منها ولا من حيزها ولا من صليهم ولا من شئ من أموالهم . ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم . . . »

من هذا يظهر أن الإسلام لم ينتشر في جميع أدواره بحمد السيف والإرهاب . وإلا لماذا يقول فان فلوتن في انتشار هذا الدين في القرن السابع الهجرى في الوقت الذى ضعفت فيه الدولة الإسلامية بزوال الخلافة العباسية وسقوط بغداد في أيدي التتار ؟ وإلى القارئ كيف وجد ذلك الدين السمع الطريق إلى نفوس هؤلاء الفاتحين المتبررين من المغول . يقول الأستاذ سير توماس أرنولد في كتابه (« الدعوة إلى الإسلام » ص ٢١٨ — ٢١٩) : « لا يعرف الإسلام من بين ما نزل به من الخطوب والويلات خطبا أشد هولاً من غزوات المغول . فلقد انسابت جيوش جنكيزخان انسياب الثلوج من قنن الجبال واكتسحت في طريقها العواصم الإسلامية وأتت على ما كان لها من مدنية وثقافة . . . على أن الإسلام لم يلبث أن نهض من تحت أنقاض عظمته الأولى وأطلال مجده التالدة ، واستطاع بواسطة دعاته أن يجذب أولئك الفاتحين المتبررين ويحملهم على اعتناق . ويرجع الفضل في ذلك إلى حملس الدعاة من المسلمين الذين كانوا يلاقون من العصوبات أشدها لمناهضة منافسين عظميين هما المسيحية والبوذية ، وكانا يحاولان إحراز قصب السبق في ذلك المضمار . وليس في تاريخ العالم نظير لذلك المشهد الغريب وتلك المعركة الحامية التى قامت بين البوذية والمسيحية والإسلام — كل ديانة تنافس الأخرى لتكسب قلوب أولئك الفاتحين الذين داسوا بأقدامهم تلك الديانات العظيمة ذات الدعاة والمبشرين في جميع الأقاليم والأقطار » . ويقول السير توماس أرنولد في مكان آخر (ص ٢٢٦ — ٢٢٧) عند كلامه عن انتشار الإسلام في بلاد الصين « وبالرغم من هذه المصاعب التى لقيها دعاة المسلمين ، فقد أذعن المغول لدين هذه الشعوب الإسلامية التى ساموها الخسف وجعلوها في موطنهم . ولا بد أن يكون هناك كثير من أنصار النبي قد انتشروا في طول أمبراطورية المغول وعرضها مجاهدين في طي الخفاء لجذب هؤلاء =

وأنة وحده هو الدين الحق . وكان من أثر اصطدام الرسول باليهود والنصارى في بلاد العرب أن طرد اليهود من المدينة وشتت الفارات على المسيحيين في بلاد

= الكفار إلى حظيرة الإسلام . ففي عهد أجتاي (بضم الجيم) (٦٢٤ — ٦٣٩ هـ و ١٢٠٦ — ١٢٢٧ م) تحول كرجز (بكسر الكاف وكسر الغين) إلى بلاد فارس من قبل المغول من البوذية إلى الإسلام . كذلك كان آتند (بفتح النون الأولى وسكون النون الثانية) حفيد كويلاي (٦٥٥ — ٦٩٣ هـ و ١٢٥٧ — ١٢٩٤ م) ووالى قان صو مسلما متحمسا ، مما حدا به إلى حمل الكثيرين من أهل تانجوت وعدداً كبيراً من جنده إلى اعتناق الإسلام .

أضف إلى ذلك ما كان لتجار المسلمين الذين نصبوا أنفسهم دعاة للإسلام من أثر في انتشار هذا الدين . فقد كان بركة خان (١٢٥٦ — ١٢٦٨ م) أول من أسلم من أمراء المغول ، وكان رئيساً للقبيلة الذهبية في روسيا . ويقال في سبب إسلامه إنه لقي يوماً عيرا للتجارة آتية من بخارى ، فاخلى بتاجرين منها وسألهمما عن الإسلام ، فشرحا شرحاً مقنعاً انتهى به إلى اعتناقي هذا الدين والإخلاص له .

كذلك كان تكودار أحمد ثالث خانات المغول في بلاد فارس أول من اعتنق الإسلام . وقد شب على المسيحية وتعمد في صباه وتسمى باسم نيقولا ، ثم اعتنق الإسلام عندما بلغ سن الرشد ، وذلك على أثر اتصاله بالمسلمين الذين كان كلفاً بهم ، وسمى نفسه أحمد خان . وقد بذل قصارى جهده في تحويل كافة المغول إلى الإسلام ، فأسلم على يده كثير منهم . ثم بعث تكودار أحمد نبياً اعتناقه الإسلام إلى قلاوون (١٢٧٩ — ١٢٩٠ م) سلطان الممالك في مصر في كتاب طويل يعتبر وثيقة تاريخية تبين منها كيف انتشر الإسلام بين المغول . وإلى القارئ بعض ماورد في هذا الكتاب نقلا عن القلقشندي (صبح الأعشى ج ٨ ص ٦٥ — ٦٨) : « أما بعد ؛ فإن الله سبحانه وتعالى بسابق عنايته ، ونور هدايته ، قد كان أرشدنا في عنفوان الصبا وريعان الحداثة إلى الاقرار بربوبيته والإعتراف بوحدانيته ، والشهادة لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، بصدق نبوته وحسن الاعتقاد في أوليائه الصالحين من عباده وبريته (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) » .

بيزنطه في اللحظة التي انتقل فيها الرسول إلى جوار ربه . وقد ترك النبي خلفائه إتمام مهمته ، وذلك بإخضاع الكفار . ولنعرض الآن لبيان أثر الحروب

= وقد علق الأستاذ سيرتوماس أرنولد على ما كان للإسلام من أثر في تهذيب نفوس المغول — ذلك الأثر الذي وضع وضوحاً جلياً في كتاب تكودار أحمد إلى سلطان المالك بهذه العبارة « وإن من يدرس تاريخ المغول ليرتاح عند ما يتحول فجأة من قراءة ما اقترفوه من الفظائع وما سفكوه من الدماء إلى أسمى عواطف الإنسانية وحب الخير التي أعلنت عن نفسها في تلك الوثيقة التاريخية التي كتبها تكودار أحمد إلى سلطان المالك في مصر ، والتي يدهش الإنسان لصدورها من مثل ذلك المغولي » .

بقي أن نقول كلمة عن الإنتشار الإسلام في أوروبا . كان أذربك خان (Uzback Khan) ، الذي كان زعيماً للقبيلة الذهبية (١٣١٣ — ١٣٤٠ م) والذي اشتهر بتحمسه الشديد للدين الإسلامي وحرصه على تحويل الكثيرين من الأهلين إليه ، أول من جد في نشر الإسلام في كافة أرجاء بلاد روسيا ويذكر لنا التاريخ أنه رغم تحمسه للدين الإسلامي وتفانيه في الإخلاص له كان كثير التسامح نحو رعاياه من المسيحيين ؛ فقد منحهم الحرية التامة في إقامة شعائرهم الدينية . وذهب في تسامحه معهم إلى أبعد من هذا ، فقد سمح لهم بالتبشير لدينهم ونشره في بلاده . ومما يدل على ذلك التسامح تلك الوثيقة التاريخية التي نقلها المرحوم الأستاذ سيرتوماس أرنولد (ص ٢٤١ — ٢٤٢) عن كرامزان (بفتح الكاف وسكون الميم وكسر الزاي) ، وقد جاء فيها : « إن كنيسة بطرس مقدسة ، فلا يحل لأحد أن يتعرض لها أو لأحد رجالها بسوء ، ولا أن يستولى على شيء من عقارها أو متاعها ، ولا أن يتدخل في أمورها . ومن خالف أمرنا هذا بالتعدي عليها فهو مجرم أمام الله وجزاؤه منا القتل » (ج ٤ ص ٣٩١ — ٣٩٤) .

ولم يكن هذا الرسوم كلمات جوفاء أو مجرد « حبر على ورق » . فقد ظهر ذلك التسامح واضحاً جلياً في كتاب أرسله البابا يوحنا الثاني والعشرون في سنة ١٣١٨ م إلى أذربك يشكر له عطفه على رعاياه من المسيحيين ويثني على تلك المعاملة التي كان يعاملهم بها أذربك .

التي شنها المسلمون في نفوس القبائل العربية التي كانت تعتبر الإسلام نبأً ثقيلاً عليهم حتى عصر الفتوحات الإسلامية الأولى . فإن الحال لم يلبث أن تغير .

== وقد حاول نشر الإسلام في جميع بلاد الروسيا البلغار من المسلمين الذين كانوا يقيمون على ضفاف نهر الفلجا حول القرن العاشر الميلادي والذين يدينون بإسلامهم للتجار من المسلمين الذين كانوا يترددون على بلادهم بتجارة الفراء وغيرها من السلع . على أنه يظهر لنا أن هؤلاء البلغار قد دخلوا الإسلام قبل ذلك الحين . فقد أرسل إليهم الخليفة العباسي المقتدر (٩٠٨ — ٩٢٢ م) بعثة من العلماء لتعليمهم أصول الإسلام وعقائده . ثم حاول هؤلاء البلغار تحويل فلاديمير ملك روسيا في ذلك الحين إلى الإسلام ، وكان يدين بالدين الوثني . ولم يقف في سبيل تحويله هو ورعاياه إلى هذا الدين إلا الحتان وتحريم الخمر عند المسلمين .

. Arnold, PP. 242—243

هكذا ظلت حركة الدعوة للإسلام في بلاد الروسيا بطيئة حتى سنة ١٩٠٥ ، حتى صدر مرسوم حرية التدين في الإمبراطورية الروسية . ومن ثم نشطت حركة الدعوة إلى الإسلام في تلك البلاد ، وأخذ الكثير من الروس يدخلون في هذا الدين . ويرجع الفضل في هذا إلى القوة المعنوية التي كان يتمتع بها المسلمون في هذه البلاد . والمصدر نفسه ص ٢٤٢ — ٢٤٣ .

وقد أدخل تاتار القرم من المسلمين إلى الإسلام الكثير من سكان بلاد اليونان وإيطاليا الذين كانوا يقيمون في شبه جزيرة القرم . ويحدثنا أحد الرحالين في القرن السابع عشر الميلادي أن تاتار القوم هؤلاء كانوا يبذلون جهدهم لتحويل مواليهم إلى الإسلام ؛ وكانوا يعدونهم الحرية إذا ما دخلوا في دينهم . وقد نشطت الدعاية للإسلام بين تاتار القرم أيضاً على أثر مرسوم حرية التدين الذي صدر في سنة ١٩٠٥ . ومن أغرب الحوادث في تاريخ الدعوة الإسلامية تحول القرغيز في بلاد آسيا الوسطى إلى الإسلام على أيدي المولوية من التتار الذين نشروا تعاليم هذا الدين بينهم في القرن الثامن عشر الميلادي . ومن ثم أنفقت الأموال الضخمة لبناء المساجد . وقام عدد كبير من المولوية بإنشاء المدارس وتعليم الأطفال عقائد الإسلام . وفي مستهل القرن التاسع عشر كان السواد الأعظم من القرغيز الذين كانوا يقيمون ==

وقد بدأت تلك القبائل تعتبر ذلك الدين ، الذى كان يلائم مواهبهم الحربية ويشبه عليها ثواباً عظيماً فى الدنيا والآخرة ، غرضهم الوطنى الأسمى غداة

= فى تلك السهول الفسيحة الممتدة بين تبيلسك وبلاد التركستان لا يزالون على الوثنية . وقد فكرت الحكومة الروسية فى إفقاد بعثة من المبشرين لنشر الدين المسيحى بينهم . على أنه قد صرفها عن هذا ما كانت تزعمه من وحشية هؤلاء وعجزهم عن فهم الإنجيل . واتهم جماعة من المسلمين هذه الفرصة فحولوا جميع تلك القبائل إلى الدين الإسلامى .

وفى القرن الثامن عشر نشطت الحكومة الروسية من جديد فى تحويل القبائل الوثنية من المغول إلى الدين المسيحى . فى سنة ١٧٧٨ أمرت كاترين الثانية بأن يوقع كل من هؤلاء الحديثى عهد بالمسيحية على إقرار كتابى يتعهدون فيه بترك الوثنية دينهم القديم والتمسك بالدين المسيحى وعقائده . وعلى الرغم من ذلك فإن الذين تعمدوا من المغول لم يدخلوا المسيحية إلا ظاهراً ولم يكونوا مسيحيين إلا بالاسم فقط . وسرعان ما تخلصوا من الكنيسة الارثوذكسية واعتنقوا الإسلام . ولم يكن هذا الدخول فى المسيحية إلا خطوة تمهيدية لدخولهم فى الإسلام . وقد نجح المسلمون فى تحويل أهل جميع القرى من بلاد الروس - وبخاصة القرى الواقعة فى الشمال الشرقى من هذه البلاد - على الرغم من القوانين الشديدة التى سنتها الحكومة الروسية فى ذلك الحين . نخص بالذكر منها ذلك القانون الذى كان يقضى على كل من يحاول تحويل أى مسيحى الإسلام بالحبس مدة تتراوح بين ثمانية وعشر أعوام وحرمانه من جميع الحقوق المدنية . (أرنولد ص ٢٤٦ - ٢٤٩) .

وقد ظهر ميل الروس إلى الإسلام والدخول فيه على أثر مرسوم حرية التدين الذى صدر فى سنة ١٩٠٥ . فى سنة ١٩٠٩ اعتنق الإسلام إحدى وتسعون أسرة فى قرية أتومفا (بسكون الميم) ، كما اعتنق هذا الدين ٣٠٠٠ نسمة بين سنتى ١٩٠٢ و ١٩١٠ . ويقول سير توماس أرنولد : « ويرجع الفضل فى اعتناق هذا العدد الكبير للدين الإسلامى إلى رقى المستوى الأخلاقى فى البيئات الإسلامية ، وإلى حماس القائلين بنشر الإسلام فى تلك البلاد والدعوة إليه . فقد نصب =

انتصاراتهم الأولى على الكفار من الشعوب الأخرى . وبذلك جدوا في نشره بدافع وطني أكثر منه ديني حتى حدود إفريقية الشمالية وفي أكثر بقاع آسيا .

== كل مسلم - حتى الأمي منهم - نفسه داعياً لذلك الدين . ومن ثم لم يستطع الوثنيون من تلك القبائل أن يقاوموا تيار تلك الدعوة الجارف ، ولم يلبثوا أن دخلوا في الإسلام أفواجا . وفي الشتاء كان يذهب الكثيرون من أهل القرى المسيحية حاكّة إلى البلدان الإسلامية ؛ وسرعان ما كانوا يدخلون في الإسلام ثم يعودون إلى قراهم على أشد ما يكونون تحمساً له وللدعوة إليه بين ذويهم .

وقد وجه المولوية من أهل بخارى وغيرها من بلاد آسيا الوسطى وكذا التجار من قزان وجوههم نحو سبيل نشر الإسلام فيها . وبذلك انتشر الإسلام لأول مرة في هذه البلاد بين التتار (الذين كانوا يقيمون في البلاد الواقعة بين نهري إرتس وأوب) . ومع أن الكثيرين منهم كانوا لا يزالون حتى مستهل القرن التاسع عشر على الوثنية ، فإنهم لم يلبثوا أن اعتنقوا الإسلام جميعاً ؛ ولا يزالون على ذلك إلى اليوم . وأما تاريخ إسلام القبائل الأخرى في بلاد سبيل فإنه لا يزال غامضاً . على أنه يغلب على الظن أن اعتناق هذه القبائل للإسلام إنما يرجع إلى عهد قريب .

من هذا يتبين لنا أن الإسلام إنما وجد طريقة إلى القلوب وخالطت بشاشته النفوس عن طريق الحجة والإقناع . أضف إلى ذلك أن النفوس كانت تتطلع منذ مستهل القرن السابع الميلادي إلى مصلح جديد . فقد تطرق الفساد إلى جميع مناحي الحياة ومال ميزان العدل بين الناس ببلاد العرب والفرس والروم . ومن ثم بادر الناس إلى الإسلام لما امتاز به من الديمقراطية الصحيحة والمساواة الحقة (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم . سورة الروم آية ٣٠) .

وأما ما يزعمه « فان فلوثن » من أن محاربة أبي بكر لمن ارتد من المسلمين بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام كان نشرًا للدين بحد السيف فهو غير صحيح ، إذ لم تكن تلك الحروب سوى قمع لثورة داخلية أراد بها بعض من لم يخاطب الإسلام قلوبهم القضاء عليه وهو لا يزال في مهده . لذلك لم يكن بد لأبي بكر =

لم تنتشر المسيحية إلا بعد قرون عدة من الشدة والآلام . أما الإسلام فكان على العكس من ذلك ، إذ لم يكد يمضى على ظهوره اثنا عشر عامًا حتى اعتنقه شعب بأكمله على تمام الاستعداد للتضحية والقيام بأعباء الفتح . على أن هناك ظاهرة أخرى . ذلك أنه بينما كانت المسيحية تنتشر بين الشعوب المتحضرة وتوطد سلطانها بين الأمم ذات المدينيات الراقية كان الشعب العربى لا يزال على بداوته رغم اعتناقه الإسلام . نعم ! كان الجيش الإسلامى لا يخلو من بعض القبائل المتحضرة ، كما كان يضم الكثير ممن لم يكونوا بعيدين كل البعد عن المدينيات والأفكار الدينية التى كانت سائدة بين الشعوب المجاورة لهم . إلا أن روح الصحراء وعوائد البداوة لم تزل تمامًا - كما لا يخفى - من بين المتحضرين وسكان المدن منهم .

لم تكن المسألة مسألة دين انتشر وبسط نفوذه فحسب على بلاد سورية وجزء عظيم من مملكة فارس القديمة . فقد كان هناك أمر آخر ، ذلك أن شعبًا غريبًا غير مثقف قد استطاع بما له من قوة وبأس أن ينفذ إلى الولايات المسيحية ويوطد سلطانه بين أنصار دين زردشت فى بلاد فارس .

وكانت القوانين التى كان يرجع إليها فى تنظيم العلاقات بين العرب وأهل البلاد التى فتحوها غاية فى البساطة . وهى مستنبطة من بعض كتب الصلح التى كان يكتبها الرسول لمن ينتصر عليهم . وكانت تمنح الشعوب التى تفتح أبوابها للمسلمين حرية التدين وملكية الأرض ، كما كانت لا تطالب إلا بالجزية (التى كانت تسمى أيضاً خراج جزية) ، وهى الضريبة التى كان يدفعها الشعوب الخالفة للمسلمين نظير حمايتهم لها ، بينما كان للمسلمين الحق فى تجريب البلاد التى كانوا يفتحونها عنوة وقتل رجالها وسبي نساءها . على أن المسلمين كانوا يفضلون ترك الأرض لأهل تلك البلاد يستغلونها لمصلحة الفاتحين .

لم يكن الغرض من الفتوحات الإسلامية على هذه الصورة هو إدماج شعب في شعب أو العمل على نشر دعوة دينية معينة ، وإنما هو احتلال بقوة السيف^(١) . وتظهر هذه الظاهرة بوضوح في السنة التي سنها عمر بن الخطاب الخليفة الثاني لتشجيع تلك الفتوح .

= من القضاء عليها جهده حتى لا تتصدع أركان الوحدة العربية وتتفرق كلمة المسلمين — المترجمان .

(١) إن جميع أفعال الرسول لتشهد بأن الغرض الأول من دعوته إنما هو إنتشار الدين . ولن تعوزنا الأمثلة الكثيرة للتدليل على ذلك الرأي . فقد روى الطبري (ج ٣ ص ١٢٣ - ١٢٤) أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد بعد فتح مكة داعياً إلى الإسلام ، ولم يبعثه مقاتلاً . فدار خالد حتى نزل على جذيمة . فلما رآه القوم أخذوا أسلحتهم واستعدوا للقتال ، فقال لهم خالد : « ضعوا أسلحتكم فإن الناس قد أسلموا » . فلما وضعوها أمر ببعضهم فقتلوا . فلما بلغ الرسول ذلك رفع يده إلى السماء وقال : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ، ثم أرسل على بن أبي طالب بمال فودى لهم الدماء (دفع لهم الديات) وما أصيبوا به من أموال . وإن التتبع حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ليرى أن غزواته وسراياه إنما كانت للدود عن الإسلام والدفاع عن نفسه وقومه (فقد دبرت قريش قتله حين خافوا خروجه عليه الصلاة والسلام إلى المدينة ، ولا سيما وقد رأت أنه قد أصبح له شيعة وأصحاب من غيرهم . فاجتمعوا في دار الندوة حيث تشاوروا في أمره عليه الصلاة والسلام . وانتهى بهم الرأي إلى إن يأخذوا من كل قبيلة فتى جليلاً وأن يعطى كل منهم سيفاً صارماً فيضربوه ضربة رجل واحد ، وبذلك يتفرق دمه في القبائل فلا يستطيع بنو عبد مناف أن يحاربوا العرب جميعاً) (ابن هشام ج ١ ص ٧٣ - ٧٤)

هذا إلى ما أذاقوا النبي وأصحابه من صنوف العذاب وضروب الأذى مدة إقامتهم بين ظهرانيهم بمكة . وقد شاء الله أن لا تنجح حيلتهم فيما دبروه للرسول ، فهاجر إلى المدينة . إلا أن العرب ما فتئوا يدبرون له المكائد ويتربصون به الدوائر ، =

وكانت تقضى القواعد التي سنّها عمر بأن يكون كل مسلم جندياً من جنود الإسلام ، على أهبة الاستعداد لتلبية داعي الجهاد في كل لحظة دفاعاً عن دينه وأن يمنح من بيت مال المسلمين عطاء معيناً مقابل خدماته . وكان المسلمون يوزعون جنودهم فيما كانوا يفتحونه من الولايات - كسورية والعراق ومصر -

= ولا سيما اليهود من أهل يثرب (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا . فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به - سورة البقرة . آية ١٨٩) وقد أجمع المؤرخون وعلى أن السبب في إجلاء يهود بني النضير إنما يرجع إلى تأمرهم على قتل الرسول . فقد جاءهم الرسول يستعينهم في دية بعض القتلى ، فوعدهم بذلك . ثم خلا بعضهم إلى بعض فقالوا : « إنكم لن تجدوا هذا الرجل على مثل حاله هذه » . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم جالساً إلى جنب جدار من بيوتهم ، فقالوا : « من يعلو على هذا البيت فيلقى صخرة فيقتله بها فيريحنا منه ؟ » فقال عمرو بن جحاش . « أنا لذلك » . فصعد ليلقي بالحجر على الرسول : فأتى الرسول الخبر من السماء بما أراد القوم ، فعاد إلى المدينة ، ثم خرج إلى قتالهم وأجلاهم عن ديارهم .

كذلك كان الحال في « بئر معونة » . فقد ذكر ابن هشام (ج ٣ ص ٤٤ - ٤٥ أن أبا براء عامر بن مالك قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الرسول الإسلام دعاه إليه فلم يسلم ، ثم قال للرسول : « يا محمد ! لو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك » . فقال رسول الله : « إني أخشى عليهم أهل نجد » ، فقال أبو براء : « أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك » . فبعث الرسول المنذر بن عمرو في أربعين رجلاً من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة . فبعثوا أحدهم بكتاب رسول الله إلى عامر بن الطفيل ، فلم ينظر فيه وعدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبوا أن يجيبوه وقالوا : « لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً » . فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم فأجابوه إلى ذلك وخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم وهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم . وكانوا - رضى الله عنهم - من أشهر القراء والحفاظ . =

على المعازل الهامة . كذلك كان الحال في الإمبراطورية الفارسية القديمة وبلاد
ميديا وخراسان وغيرها من الولايات التي كانت تمتد إليها الفتوحات الإسلامية .
وكانت حياة العرب تتفق تمام الاتفاق مع تلك النزعة الحربية . فقد كان
محرمًا عليها ملكية الأرض وكانوا يعيشون من العطاء (وهو أجر تدفعه

= أضاف إلى ذلك ما كان من « سرية بنى الرجيع » (سنة ٤ هـ) . فقد قدم
على رسول الله وفد من عضل والقارة فقالوا : « يا رسول الله ! إن فينا إسلاما
وخيرًا ، فابعث معنا نكرًا من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرءوننا القرآن ويعلموننا
شرائع الإسلام » . فبعث رسول الله ستة من أصحابه . فلما أتوا على الرجيع
(وهو ماء لهذيل) غدروا بهم ، فأخذوا سيوفهم ليقاتلوا القوم . وما زالوا يدافعون
عن أنفسهم حتى قتل بعضهم وأسر البعض الآخر فكانت نهايته القتل .
فكان ذلك سبب غزوة بنى الحيان (ابن هشام ج ٣ ص ٤٩ — ٦٠ والطبري ج ٣
ص ٢٩ — ٣٣) .

وأما غزوة الخندق (سنة ٥ هـ) فيرجع سببها إلى أن بعض اليهود قد نقضوا
الحلف الذي كان بينهم وبين الرسول ، ثم خرجوا إلى مكة فدعوا قريشا إلى حرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعدوهم أن يكونوا معهم حتى يقضوا عليه وعلى دعوته .
ثم جاءوا غطفان فدعوه إلى مثل ما دعوا أهل مكة . فلما سمع الرسول بما أجمعوا
عليه أمرهم ، حفر الخندق حول المدينة وتحصن وراءه هو وأصحابه للدفاع عن أنفسهم ،
ثم عمد عليه الصلاة والسلام إلى الخدعة فأرسل إليهم من أوقع الخلاف بينهم ؛
فعادوا أدراجهم راضين من الغنيمة بالأأياب (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا
خيرًا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزًا) (ابن هشام ج ٣
ص ٦٨ — ٧٠) . وأما بنو قريظة فالحطبت فيهم أشد ، فإنهم ساعدوا الأحزاب
حتى جعلوا الرسول في أشد مواقف الحرج .

وأما فتح مكة فيرجع إلى نقض قريش ما كان بينها وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم من صلح الحديبية (سنة ٦ هـ) . ففي السنة السادسة للهجرة خرج النبي
عليه الصلاة والسلام للعمرة في ألف وأربعمائة من المسلمين ، فوقف القرشيون =

إليهم الحكومة) والمعاون (وهي ضريبة تدفع عيناً على البلاد المفتوحة)
ثم الغنائم والأسلاب التي كان لا ينضب معينها طالما كانت هناك بلاد تفتح
وأقاليم تستغل . ويظهر أن تلك النزعة لم تحب عند العرب في ذلك الوقت ،
فقد كانوا لا يزالون منقسمين إلى قبائل . ولا غرو فقد كانت حياة الصحراء
— بما فيها من ضغن وشحناء وحب للانتقام والتخريب والأخذ بالثأر — لا تزال
على حالها الأول بين القبائل في شرق البلاد وغربها ، ولا سيما في تلك الفترات
التي كانت تضعف فيها السلطة المركزية عن إقرار الأمن في نصابه .

وهكذا يصور لنا الاحتلال العربي بوجه عام شعباً يعيش على حساب
شعب آخر . وهذا هو نفس ما لاحظته قون كريمة إذ يقول : « كان أهل
الولايات المغلوبة يحرثون ويبدرون والمسلمون يحصدون ولا عمل لهم سوى
الحرب وشن الغارات » . (ج ١ ص ١٧١)^(١) وتبين لنا هذه الكلمات بياناً

= في طريقة على مقربة من مكة . ثم دارت المفاوضات بين المسلمين والقرشيين
الذين خشوا بأس المسلمين . وطلب القرشيون الصلح على أن تعقد بين الفريقين
هدنة أمدها عشر سنين . على أن أهل مكة لم يلبثوا أن نقضوا هذه الهدنة ،
وذلك بمساعدتهم بكرة على خزاعة المحالفة للرسول . فاستجارت خزاعة بالنبي صلى الله
عليه وسلم ، فسار إلى مكة في عشرة آلاف . فلما علم أهلها بقدومه خرج
قادتهم ليسلموا . ولما تم له فتحها عفى عن أهلها رغم ما أذاقوه هو وأصحابه
من صنوف الإضطهاد

من كل هذا يتبين لنا أن الغرض الأول الذي كان يسعى إليه الرسول
جهده هو نشر الإسلام بكل الوسائل السلمية ، وأن تلك الحروب التي بينه وبين
الكفار داخل جزيرة العرب أو خارجها إنما ابتدأ بها أعداؤه واضطروه إليها
إضطراباً — المترجمان .

(١) وتوجد نفس هذه الفكرة في إحدى خطب عمر بن الخطاب — الطبرى

يكاد يكون قاطعاً حال السيادة الإسلامية في الأقاليم التي فتحها المسلمون .
على أن المسلمين طالما كانوا خيراً من غيرهم من الفاتحين . ولا غرو فإن أهل
سورية ومصر ، الذين أثقل الرومان كاهلهم بالضرائب الفادحة قبل الفتح
العربي ، لم يقاوموا الفاتحين من العرب مقاومة تذكر . وكذلك كان الحال
في سواد العراق^(١) .

(١) فان برشم : أرض الدولة والضرية العقارية (الخراج) في صدر العصر
الأموي ص ٢٦ .

« أرض الدولة (الأملاك الأميرية) والضرية العقارية (الخراج) في عهد
الخلفاء الراشدين » .

هذا يخالف ما أجمع عليه المؤرخون من أن الفتح العربي كان خيراً على أهالي
البلاد التي فتحها المسلمون . من ذلك عهد عمر لأهل إيلياء ، وكذلك عهد الصلح
بين عمرو والمقوقس . وقد جنى عمرو بن العاص ثمار هذه السياسة في مصر ، فألف
بين القبط والمسلمين ، وكتب كتاب الأمان إلى بنيامين بطريق القبط ورده
إلى كرسيه بعد أن غاب عن البلاد زهاء ثلاث عشرة سنة فراراً من عسف الروم
وظلمهم ، ومنحه السلطان المطلق لإدارة شؤون الكنيسة . ناهيك بأطلاق عمرو
حرية المعتقدات الدينية للمصريين وعدم التعرض لهم في عاداتهم وتأمينهم على أموالهم
ونسائهم وأولادهم ، وما قام به من ضروب الإصلاح وتنظيم الإدارة وتنصيب
القضاة ورسم الخطة لجباية الخراج ، إلى العناية بالرى مما زاد في ثروة البلاد
ورفاهيتها . وقد خفف عمرو عن المصريين عبء الضرائب التي أثقلت كاهلهم
في عهد الرومان ، وساوى فيها بين الأهليين . وسار على هذه السياسة من جاء بعده
من ولاة المسلمين في هذه البلاد .

أضف إلى ذلك مناقضة المؤلف نفسه . فقد ذكر في صفحة ٣ « أن أهل سورية
ومصر ، الذين أثقل الرومان كاهلهم بالضرائب الفادحة قبل الفتح العربي لم يقاوموا
الفاتحين من العرب مقاومة تذكر . وكذلك كان الحال في سواد العراق . . .
هذا إلى ما كانت تقوم به الحكومة العربية من بناء الطرق وحفر الترغ وتوطيد
الأمن وما إلى ذلك من ضروب الإصلاح » .

=

وقد احتفظ المسلمون بالنظام القديم الذى سنه عمر لجباية الضرائب وأقاموا على جبايتها موظفين من أهالى تلك البلاد . ولم تكن الضرائب التى فرضها عمر فادحة على ما ذهب إليه بعض المؤرخين . هذا إلى ما كانت تقوم به الحكومة العربية من بناء الطرق وحفر الترع وتوطيد الأمن وما إلى ذلك من ضروب الإصلاح .

وينبغى أن لا يفوتنا أن الفتح العربى على حالته هذه ، وإن كان معقولا فى بادئ الأمر ، فقد كان لازما أن يصبح غير محتمل اللهم إلا بقدر ما كان يرحب به من النظم الجديدة التى كان يقتضيها ذلك الفتح نفسه . فغلظة الفاتحين من العرب إذن ، وعلى رأسهم الخلفاء ، هى إهمال تلك الحقيقة . وإذا تصدينا للتدليل على أن السيادة العربية لم تأت بخير مطلقا للشعوب التى أخضعها ، فلكى نبين أن العرب قد أبوا فى الوقت الملائم قبول التطورات التى كانت تقتضيها حال تلك الولايات .

الفتوح الإسلامية فى نظر بنى أمية

إن ما أثر عن الفاتحين من العرب فى صدر الإسلام ، وإن كان يدل على ما كان عندهم من النزاهة والزهد فى حطام الدنيا والإخلاص للمصلحة العامة ، فإن الأنانية والجشع لم يلبثا أن وجدا طريقهما إلى نفوس العرب واستوليا على قلوبهم لما كان يقاض عليهم من كل ناحية من النعيم والثراء — ذلك الثراء الذى لم يكن مألوفا لهم والذى كان أقرب إلى إفساد النفوس منه إلى تهذيب الأخلاق .

= وإذا كان بعض هذه الشعوب قد شكت ظلما من أمراء المسلمين فإنما كان ذلك بعد صدر الإسلام الذى يمثل الإسلام تمثيلا صحيحا . وما حدث بعد ذلك العصر من المظالم إنما يرجع إلى سيرة الأمراء لا إلى مبادئ الإسلام نفسه — المترجم .

ففي مدينة الكوفة جمعت الأسرات البارزة منذ أوائل الفتح العربي مبالغ ضخمة مما كانت تدره عليهم الغنائم والأعطيات السنوية ، حتى إن كوفيا رحل إلى الحرب ومعه أكثر من ألف جمل لحمل حاشيته ومتاعه^(١) . وكان الصحابة أنفسهم يملكون الضياع والقصور والثروات الكبيرة . أضف إلى ذلك ما كانوا يمنحونه من المنح العظيمة^(٢) . وكان من أثر ذلك أن ثار أبو ذر في بلاد الشام ودعا الأغنياء وذوى اليسار إلى النزول عن جزء من ممتلكاتهم للفقراء^(٣) .

وطالما كان يفشو الترف وينتشر الفساد تاركاً وراءه الكثير من الحاجات الجديدة والجم من مطالب الحياة الملحة . وكانت الاستدانة هي الوسيلة الفذة لإشباع تلك الحاجات^(٤) ، تلك الوسيلة التي مهدت السبيل لقيام المؤامرات كما كانت الحال في رومة . ومن ثم كانت الثورة ضرورية لإرضاء جشع الدائنين . ولا غرو فكثيراً ما كانت تتخذ ذريعة للاستيلاء على ما في بيت المال من الأموال^(٥) .

(١) الطبرى ٢ : ٨٠٦ (س ٨ وما يليه) .

(٢) المسعودى : مروج الذهب (طبعة دى مينار) . ج ٤ ص ٢٥٣ وما يليها .
فايل : تاريخ الخلفاء . فون كريم

Gesch d. herchenden Ideen, P. 230, 352, 366

(٣) الطبرى ١ : ٢٨٥٨ . فايل ج ١ ص ٣٩٩ وما يليها .

(٤) الطبرى ١ : ٢٧٥٥ (س ١٢ وما يليه) ، ٢٨١١ (س ١٦ وما يليه) ،
٢ : ١٠٢٧ (س ١٢ وما يليه) ، ١١٨٩ (س ٢ وما يليه) ، يعقوبى (طبعة
هوتسا) ٢ : ٢٨١ ، ٣٠٠ وما يليها .

(٥) الطبرى ٢ : ١٠٢٨ (٨) ، ١٠٢٩ (٤) .

على أنه كانت هناك وسيلة أسهل وأشرف من ذلك كثيراً ، وهى الغزوات
وشن الغارات على الكفار . وطالما كان الدافع على ذلك هو شره الولاة
والتقوا أكثر من الرغبة فى نشر الدين ، كما يظهر لنا ذلك فى بلاد خراسان
خاصة .

وقد عقد معظم البلاد المتاخمة لتلك الولايات - طبرستان وطخارستان
وبلاذ ما وراء النهر - الحالفات مع المسلمين منذ الصدر الأول للدولة الأموية .
وكانت هذه الحالفات تكفل لهم حرية التدين وتمنعهم الاستمتاع بشيء من
الاستقلال كما كانت تفرض عليهم ضريبة مقررة . ومما لا ريب فيه أن هؤلاء
الكفار كثيراً ما كانوا يخرجون على تلك المعاهدات مما كان يضطر المسلمين
إلى شن الغارات عليهم من جديد وتخريب بلادهم وسبى نساءهم . وطالما كانت
تفرى الغنائم (بعد استيلاء بيت المال على الخمس) بعض الفاتحين فيشنون
الغارات على بعض الولايات قبل أن يعلنوا الحرب عليها . يؤيد ذلك ما كتبه
البلاذرى^(١) عن حرب جرجان وطبرستان . وأما ما يسميه مؤرخو العرب
فتوح يزيد فلم تكن فى الواقع إلا ضرباً من تلك الحملات التى يجردھا قطاع
الطرق على البلاد الآمنة المطمئنة ، تلى الفتوح التى أسخط ما ارتكبه فيها من
القسوة والعسف الشعوب التى لم تكن تنشد غير السلم .

وإن فيما حدث لسمرقند لثلاثاً حياً . فقد فتحت تلك المدينة أبوابها لسعد
ابن عثمان بعد أن أبرمت بينه وبينها معاهدة ودفعت له سبعمائة ألف درهم
كما قدمت إليه مائة ألف من سكانها رهائن^(٢) . ثم استولى عليها قتيبة بن مسلم ،

(١) فتوح البلدان (طبعة دى غويه) ص ٣٣٤ وما يليها ، الطبرى ٢ : ١٣١٧ وما يليها .

(٢) الطبرى ٢ : ١٢٤٥ و ١٢٤٦ (س ١٨) .

فطرد أهلها واحتلت جنوده مساكنها - كما روى ذلك مؤرخو العرب - على الرغم من أن سكان هذه المدينة لم يخرجوا على تلك المعاهدة التي كانت بينهم وبين سعد بن عثمان^(١). ولما ارتقى عمر بن عبد العزيز عرش الخلافة شكوا أهل سمرقند إليه تلك الحالة الجائرة ، فأمر أحد قضاة بالنظر في هذه المسألة ، فقصى بينهم بحكم يكاد يخفى ما انطوى عليه من الخبث حتى على أشد الناس نزاهة ، وذلك أن يتقابل الفريقان من العرب ومن أهل سمرقند تحت أسوار المدينة ، وأن يؤخذوا بالقوة أو أن تعقد معهم محالفة جديدة . ومعنى ذلك أنه إذا انتصر العرب (وهو ما كان راجحاً) ، فإن سكان سمرقند كانوا لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم في أسوارهم) عاملوا أهل سمرقند معاملة من فتحت بلادهم عنوة ، اللهم إلا إذا فضلوا قبول ما عسى أن يفرض العرب عليهم من الشروط . ومن الجلي أن حكم ذلك القاضي لم يغير تلك الحالة في شيء^(٢).

وتبين لنا تلك الحوادث الكثيرة^(٣) فكرة العرب ورؤسائهم عن مهمتهم في الشرق . فقد كان كل واحد منهم يجعل نصب عينيه مصلحته الشخصية قبل كل شيء . أما الإسلام والعمل على نشره فقد ظل أمراً ثانوياً . من ذلك أن يزيد بن المهلب لم يقنع بولاية بلاد العراق التي كانت لا تفي بحاجاته ، وطمع في ولاية خراسان لما عساها أن تدره عليه من الثروات الضخمة والأموال الكثيرة . وقد أنشد أحد الشعراء عند وفاة المهلب بن أبي صفرة :

(١) الزرخي : وصف بخارى (طبعة شيفر) ص ٤٦ : ٥١ وما يليها .

(٢) الطبري ٢ : ١٣٦٤ ، البلاذري ص ٤٢٠ و ٤٢٢ .

(٣) أشير أيضاً إلى المراجع التالية ليرجع إليها القارئ إذا أراد :

البلاذري ص ٤١٨ (موسى بن خازم وأهالي ترمذ) . الطبري ٢ : ١٧٩

(س ١٦ ، ١٧) ، البلاذري ص ٤٢٠ و ٤٢٢ ، — Schefer, Chres

ألا ذهب الفـزؤُ المقرب للـغنى ومات الندى والجودُ بعد المهلب^(١)

ولا غرو فقد كان سخاء ذلك الـمبنى (المهلب) وبذخه عظيمين ، حتى إنه على الرغم من تجريده من جميع ممتلكاته حين اعتزل الإمارة ، ظل مديناً لبيت المال بـمليون درهم ، ودفع منها مائتي ألف - ثمن ما باعه من مجوهرات ومتنقولات زوجته - ثم سدد عنه أحد موالى أسرته (وكان عاملاً فى بيت المال) ثلثمائة ألف دينار . وأما ما بقى فقد أداه عنه عمه والى مدينة إصطخر إذ ذاك^(٢) . وبلغ ما كان للحجاج قبل يزيد بن المهلب ستة ملايين من الدراهم لم يستوف الحجاج منها سوى ثلثمائة ألف^(٣) .

من تلك المثل نرى أن ما كان يمتاز به الخلفاء الراشدون من البساطة فى العيش قد تغير تمام التغير فى عهد من أتى بعدهم من خلفاء بنى أمية . وليس من العدل أن تهم الأمويين وحدهم بذلك فى الوقت الذى كان أبناء هؤلاء الرجال الذين تم على أيديهم فتح القادسية واليرموك متأثرين بنفس هذه النزعة التى تأثر بها آبائهم الثملون بنشوة هذه الانتصارات التى أحرزوها بسيوفهم . ولم يكن بد من أن يكون هناك ثمة أثر عكسى لتلك الفتوحات . وذلك ما حدث فعلاً . وإلى القارئ ما كتبه المسعودى عن النتائج المحتومة لذلك الفتح ، تلك العبارة التى تعتبر فريدة فى بابها . وقد ظهر أثر ذلك لأول مرة فى عهد عثمان بن عفان ، مما حدا بذلك المؤرخ العربى النزيه أن يقول :

(١) الطبرى ٢ : ١٢٥١ .

(٢) الطبرى ٢ : ١٠٣٤ .

(٣) المصدر نفسه ٢ : ١٢١٣ .

« ولم يكن مثل ذلك في عصر عمر بن الخطاب ، بل كانت جادة واضحة وطريقة بينة . فأين عمر عن ذكرنا وأين هو عما وصفنا^(١) ؟ » .

وقد قال رُتبيل (أمير سجستان) يومًا لأصحابه : « ما فعل قوم كانوا يأتون خماص X البطون سود الوجوه من الصلاة نعالهم خوص ؟ ... فقد كانوا أوفى منكم عهداً وأشد بأساً وإن كنتم أحسن وجوهاً »^(٢) .

ومع ذلك فقد كان الأمويون يختارون عمالهم وولاتهم من بين أولئك المبهدين في النعمة والترف ، والذين تعودوا الاستمتاع بما في الحياة من عبث ولهودون أن يذوقوا عناء العمل ومشقته .

لذلك لا ندهش إذا كانت الروح التي سادت في عهد بني أمية روحاً غير دينية . ولن تعوزنا الأدلة على صحة ما نقول . فقد كان في الحملات التي جردها والغارات التي شنوها على الكفار أكبر شاهد على صحة ما ذهبنا إليه . بقي علينا بعد ذلك أن نعرض لتلك الروح التي كانت تسيطر على النظام الإداري في الولايات الإسلامية في عهد بني أمية .

(١) المسعودي (مروج الذهب) ج ٤ ص ٢٥٥ (لا ٢٥٣ كما ذكر المؤلف) وما يليها .

X بمعنى جياع .

(٢) البلاذري ص ٤٠٠ وما يليها .

ويعزى إلى دينار أمير نهاوند هذا الرأي عن العرب وقبولهم للرشوة . للطبري ١ : ٢٦٣١ (س ١٧ وما يليه) .

الخـراج

لم يثقل نظام الضرائب الذى سنه عمر بن الخطاب كاهل الأهلىن على ماذهب إليه الأستاذ فون كريم (Von kremer) . وقد أضاف إلى ذلك أن الذى كان يستخط أهالى السواد^(١) ويزيد فى حقهم إنما هى الطريقة التى كان يسلكها عمال الخراج فى جباية تلك الأموال . يتبين لنا هذا أيضاً مما حدث فى مصر؛ فقد كان خراجها مليونين من الدراهم (؟) فى ولاية عمرو بن العاص .

(١) Streifziüge, p. 19.

× قد أخطأ فان فلو تن فى ثقله عن البلاذرى . فكل ما ذكره البلاذرى أن عمرا « جى خراج مصر وجزيتها ألفى ألف وجباها عبد الله بن سعد بن أبى سرح أربعة آلاف ألف » . والمراد بها هنا الدنانير دون الدراهم . فقد ذكر البلاذرى فى مكان آخر « أن عمرو بن العاص وضع الخراج على مصر فجعل على كل جريب ديناراً وثلاثة أرادب طعاماً وعل رأس كل حالم دينارين » . على أن ما ذكره البلاذرى بعيد التصديق ، إذ لو خصصنا الجزية الرؤوس مليوناً اقتضى أن يكون عدد من فرضت عليهم الجزية خمسمائة ألف إذا فرضنا أن من فرضت عليهم كانوا ربع السكان . ولا غرو فإن الجزية لم تفرض إلا على البالغين دون الشيوخ والنساء والأطفال .

وأبعد من هذا ما ذكره ابن عبد الحكم (فتوح مصر ص ٧٨) من أن عدد من ضربت عليهم الجزية من المصريين فى عهد عمرو بن العاص كان ثمانية آلاف ألف (٨,٠٠٠,٠٠٠) . وعلى ذلك يكون عدد سكان مصر ٣٢ مليون نسمة — وهو غير معقول — إذ لو كان هذا العدد صحيحاً لبلغت جزية الرؤوس وحدها ١٦ مليوناً من الدنانير . ونحن نميل إلى الأخذ بما رواه المقرئى (الخطط ج ١ ص ٩٩ — ١٠٠) من أن خراج مصر بلغ فى ولاية عمرو بن العاص ١٢ مليوناً من الدنانير بما فى ذلك جزية الرؤوس — المترجمان .

ولم يلبث ذلك الخراج أن بلغ أربعة ملايين من الدراهم (؟) × في ولاية خلفه^(١) . ويتضح من ذلك أن عمر بن الخطاب لم يضع نظامًا ثابتًا لتلك الضرائب . ويرى فون كيرمر أن خراج مصر إنما زاد هذه الزيادة على أثر تعديل الجزية يجعلها أربعة دنانير بدلا من دينارين^(٢) . ولا أدري أين ذكر هذا التعديل . على أن ما ذكره البلاذري يفسر لنا ذلك حيث يقول : « قال عثمان لعمرو إن اللقاح بمصر بعدك قد درّت ألبانها » . فقال عمرو : « لأنكم أعجمتم أولادها » .

وكانت الحال أسوأ من ذلك بكثير في عهد بني أمية ، إذ لم يكن لزامًا في نظر هؤلاء الخلفاء ولا في نظر ولاية الأقاليم أن يراعوا القواعد التي قررها أسلافهم . وقد كتب معاوية إلى وردان واليه على مصر : « أن زِدْ على كل امرئ من القبط قيراطًا . فكتب إليه وردان : كيف أزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزداد عليهم ؟ »^(٣) .

ومن هذا يتبين لنا أن الأمويين كانوا يتجاوزون حدود الضرائب التي فرضتها النظم القديمة . ولم يكن الحال ببلاد اليمن خيرا من ذلك . فقد ارتكب فيها أحد أخوة الحجاج شر أنواع الجور والعسف . فكان يصادر أملاك

(١) البلاذري ص ٢١٦ و ٢١٨ .

(٢) Culturgeschichte, I, 61

(٣) البلاذري ص ٢١٧ Von Hammer ص ٨٣ ومايليها . كوابتشك ص ٩١ . الطبرى ١ : ٢٥٨٤ . كان يكتب الخلفاء الأمويون إلى ولايتهم بمصر أن هذه البلاد قد فتحت عنوة وأن أهلها أرقاء للحكومة الحق في أن تزيد في مقدار الجزية المفروضة عليهم ، وأن تعاملهم كما تريد . أنظر أيضاً .

دوزى : تاريخ المسلمين في الأندلس ج ١ ص ٢٣٣ .

الأهالى وأموالهم ، كما أثار حنقهم وسخطهم بفرضه عليهم ضريبة معينة (وظيفة) ، وذلك عدا العشر الذى قرره الإسلام^(١) . وإن حدث هذا فى ولاية عربية محضة له معناه ، فهو يبين لنا أن الحالة كانت أسوأ بكثير فى البلاد التى فتحها العرب . وقد اعتاد جباة الخراج فى بلاد فارس تقويم المحاصيل قبل زمن الحصاد وإرغام المزارعين على النزول لهم عنها بشمن أقل من الثمن الذى يتبايع به الناس^(٢) . وإن ماورد من التفاصيل فى كتاب الخراج لأبى يوسف ليكشف لنا عن نظام الإدارة ببلاد الجزيرة فى عهد بنى أمية . فقد أضاف زياد بن غنم الفهرى والى هذه البلاد فى عهد عمر بن الخطاب من تلقاء نفسه ديناراً فوق الضريبة المقررة التى كانت تؤخذ عيناً^(٣) . على أن ذلك لم يكف لسد جشع الضحاك بن عبد الرحمن والى هذه البلاد فى عهد عبد الملك . فقد أمر بعمل إحصاء جديد للسكان عامة ، وكلف كل شخص بسداد ما فرض عليه من الضريبة . ومعنى ذلك أن كل فرد كان ملزماً بأن يبين قيمة كسبه

(١) البلاذرى ص ٧٣ .

(٢) ابن سعد : كتاب الطبقات .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة : بلغنى أن عمالك يخرضون (الخرص الحرز وهو التكهن أو الحكم بالظن) الثمار على أهلها ثم يقومونها بسعر دون سعر الناس الذين يتبايعون به يأخذونها قرفاً (القرف القشر . وقرف الحبز ما يتقشر منه ويبقى فى التنور . وقرف الأرض ما يقطع منها مع البقول والعروق ولحاء الشجر . والمراد أخذ الشئ بقيمة تافهة) على قيمتهم التى قوموها ، وأن طوائف من الأكراد يأخذون العشر من الطريق .

(٣) كتاب الخراج (طبعة بولاق سنة ١٣٠٢ هـ) ص ٢٣ . (فى النهاية) . ويؤخذ من قول أبى يوسف « فلم يبلغنى أن هذا على صلح ولا على أمر أثبتته ولا برواية عن الفقهاء ولا بأسناد ثابت » أو النظام الذى أدخله عمر لم يتناول بلاد الجزيرة كما ذهب إلى فون كريم (ج ١ ص ٦٠) .

طيلة العام ، فيترك الوالى له ثمن الكسوة والغذاء وبعض النفقات الضرورية ، ثم يستولى على مابقى باسم بيت المال . وكان من أثر ذلك أن زادت جزية كل شخص ثلاثة دنانير عما كانت عليه من قبل^(١) . كذلك كان الحال فى بلاد العراق حيث كانت تزيد الضرائب الاستثنائية فى عبء ما كان يثقل الأهلىن من الضرائب المقررة . وقد أمر عمر بن عبد العزيز جبابة الخراج أن لا يأخذوا من الأهالى من الدراهم ما زاد وزنه على أربعة عشر قيراطاً^(٢) ، وهو ما أمر به عمر بن الخطاب ؛ وقد رأى أن العمال كانوا يأخذون دراهم أثقل وزناً من تلك الدراهم التى فرضها الخليفة الثانى مما كان يزيد زيادة فاحشة فى الضرائب التى كان يدفعها الأهالى . ويتبين لنا من ذلك النظام الذى أقره عمر بن الخطاب أن الأهلىن كانوا يدفعون عدا الضريبة المقررة نفقات صك النقود وضربها وكذا نفقات العقود الرسمية ومرتبات عمال الإدارة . هذا عدا هدايا النيروز والمهرجان التى لم تلبث أن أصبحت عبئاً على عبء^(٣) .

على أن تلك الأموال المقررة والضرائب الاستثنائية ، وإن أثقلت كاهل أهالى البلاد المغلوبة ، لم تكن وحدها كل مافى النظام الإدارى من نقص ، ذلك النظام الذى لم يكن يرمى إلا إلى غاية واحدة هى جباية الأموال . فقد كان ثمة ما هو أدهى من ذلك وأخطر ، ذلك هو ما عرف عن هؤلاء العمال من الخيانة والعبث بأموال الدولة وإسراف بيت المال وإنفاقه الأموال عن سعة - تلك المثالب التى لا تقل خطورة عما تقدم . ولا غرو فقد كانت تتخذ

(١) كتاب الخراج (ص ٢٣) .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٩ . الطبرى ٢ : ١٣٦٦ . Fragmenta Historicorum arabicorum, p. 47

(٣) اليعقوبى ج ٢ ص ٢٥٨ وما يليها . الطبرى ٢ : ٦٥ (س ٩) ، ١٦٣٦٠ . ابن الأثير ج ٣ ص ٩٩ .

إمرة إحدى الولايات وسيلة للحصول على الثروة وجمع المال من باب غير شريف . يدل على ذلك أيضاً ما شاع على الألسن في تلك الولايات « أكل ولاية أو حلبها كما نحب الفاقة — تلك العبارة التي طالما كانت تستعمل للدلالة على ذلك المنصب ^(١) .

وطالما قدمت الشكايات الكثيرة منذ أيام عمر بن الخطاب ضد الولاية وعمال الخراج الذين كانوا يجمعون الأموال لأنفسهم باسم الدولة . وقد نقل لنا البلاذري (ص ٣٨٤) قصيدة غاية في الغرابة يتهم فيها صاحبها عدداً كبيراً من المحافظين وحكام الرساتيق والمدن في خوزستان وفارس وميديا الذين كانوا — كما يقول — « يسيغون مال الله في الأدم الوفر » ، نذكر منها هذا البيت :

تؤوب إذا أبوا ونفروا إذا غزو فأتى لهم وفرّ ولسنا أولى وفر

وقلما كان يجد الولاية عناء في إخفاء خياتهم واختلاسهم . فترى بعض الحكام في أواخر عهدهم بالولاية يطلبون من الخليفة أن يعفى من كان تحت إشرافهم من الموظفين من أن يقدموا بياناً دقيقاً عما جمعه من الأموال أثناء ولايتهم لتلك الأقاليم ^(٢) . وقد سنَّ عمر بن الخطاب نظاماً لملافاة تلك المثالب الإدارية ، فوضع نظام « المقاسمة » ، وذلك بعمل إحصاء دقيق لثروة الولاية قبل توليتهم ثم إلزامهم عند اعتزالهم أعمالهم بدفع نصف الأموال التي جمعوها أثناء ولايتهم والتي لا تسمح بها رواتبهم ^(٣) . وعلى هذا رد معاوية إلى بيت المال

(١) الطبرى ٢ : ١٠٢٩ (س ٢٦) . البلاذري ص ٩٤ ، ٢٦١ ، ٤١٤ .

(٢) الطبرى ٢ : ٦٩ .

(٣) البلاذري ص ٨٢ ، ٢١٧ ، ٣٨٥ . الطبرى ١ : ٢٨٦٤ س ٤ .

وقد تكلم اليعقوبى (ج ٢ ص ١٨١) عن بعض نواحي الضعف في هذا النظام .

نصف الثروة التي جمعها « ليطيب له الباقي »^(١) . وقد اتبع معاوية مع موظفيه نفس هذه الطريقة (المقاتمة) عند ما ولى الخلافة^(٢) .

ولم يكن الرؤساء وحدهم هم الذين يثرون على حساب بيت المال . فقد كان هناك طائفة من صغار الموظفين لا همّ لهم إلا الإثراء باختلاس أموال الدولة وسلبهم كل ما يصل إلى أيديهم . وكان من أثر تلك الصعوبات التي كانت تعترض الحكومة في سبيل استرداد تلك الأموال أن فكر والى العراق (عبيد الله بن زياد) في استبدال أولئك العمال من العرب بغيرهم من الفرس . ومن ذلك الحين كان يعهد إلى الدهاقين (كبار ملاك الأراضى من هؤلاء) بحباية الخراج . ولا غرو فقد كان هؤلاء الدهاقين « أبصر بالحباية وأوفى بالأمانة »^(٣) . على أن بعض الموظفين قد استطاع بالرغم من ذلك جمع الثروات الضخمة ، إذ كانوا يضعون الأموال التي يجمعونها أمانة عند أصدقائهم أو ذوى قرباهم . وكان بعض الولاة من ذوى المآرب الشخصية في الإبقاء على بعض خلصائهم في تلك المناصب النفعية يغمضون أعينهم عن كل ما كان يرتكبه هؤلاء مع الأهلين من جور وعسف^(٤) .

قد بينا قبل كيف كان الخلفاء الراشدون يحاولون أن يستردوا إلى بيت المال ولو جزءاً يسيراً من تلك الأموال التي كان يجمعها العمال ظلمًا . أما الأمويون فقد سنوا نظاماً غاية في الدقة للأشراف على حباية تلك الأموال . ففي عهد

(١) الطبرى ٢ : ٢٠٢ (س ٦ وما يليه) .

(٢) اليعقوبى ج ٢ ص ٢٦٤ .

(٣) الطبرى ٢ : ٤٥٨ ، ٩٩٥ (س ١٩) .

(٤) راجع أيضاً ما ذكره أبو يوسف من المعلومات الطريفة في كتاب الخراج ص ٦١ (س ١٦ وما يليه) .

عبد الملك بن مروان كان يعمل تحقيق دقيق مع الجباة وموظفى الخراج عند اعتزالهم أعمالهم الإدارية . وكانوا يعذبون حتى يقرؤا بأسماء من أدعوا عندهم ودائعهم وأموالهم ويردوا إلى بيت المال ما سبوه من الأموال ، وهو ما يسمى بالاستخراج أو التكشيف^(١) . وكان للتحقيق مع هؤلاء أماكن خاصة تسمى « دار الاستخراج » . وكان ذلك التحقيق لا يلبث أن يتجاوز الحدود المشروعة ويفدو من شر وسائل الأخذ بالثأر والانتقام الشخصى ، ذلك الانتقام الذى كان يصبه عليهم حتى أولئك العمال المستبدين وتعطشهم للثروة ونهمهم للمال . وقد عم الفساد فى آخر عهد بنى أمية ، حتى كان أول ما يقوم به والى من الأعمال حبس سلفه ومن إليه من الموظفين والصنائع والأتباع ، ثم إطلاق من حبسهم وضيق عليهم ذلك والى السابق . وكان خالد بن عبد الله القسرى والى العراق يتناول راتباً سنوياً قدره ٢٠ مليوناً من الدراهم ، بينما كان ما يخلسه يتجاوز المائة مليون . وقد حبسه يوسف بن عمر هو وثلثمائة وخمسين من موظفيه . وبذلك استطاع أن يسترد منه أكثر من ٧٠ مليوناً^(٢) .

كل هذه الأموال الكثيرة والثروات الضخمة تحمل الإنسان على أن يبحث عن الوسائل والطرق التى جمعت بها ، كما أنها تسهل عليه فى الوقت نفسه إدراك النتائج السيئة لذلك النظام الذى كان متبعاً فى جباية الخراج . كان الموظفون وعمال الخراج ، الذين لا يرتابون فيما ينتظرهم عند اعتزالهم أعمالهم والذين لم يريدوا أن يدعوا تلك الفرصة للإثراء وجمع الأموال الضخمة تمرّ

(٢) الطبرى ٣ : ٥٠٢ . العقد الفريد (طبعة القاهرة سنة ١٢٩٣) ج ١

ص ١٧٩ ، ج ٣ ص ١٣ . وتدل كل من كلمة « توظيف » (يعقوبى ج ٢ ص ٣٨٨) وكلمة « استيفاء » (الطبرى ٢ : ١٤٦٠) على شىء واحد .

(١) الطبرى ٢ : ١٥٨١ ، ١٧٦٤ ، ١٨٤١ . يعقوبى ج ٢ ص ٣٨٨ ، ٣٥٥ .

بهم دون أن ينتهزوها ، لا يترددون في أن يرهقوا الأهالي ويثقلهم بأنواع الضرائب المختلفة . وهكذا كانوا يستطيعون وقت التحقيق معهم أن يؤدوا إلى الحكومة جزءاً من تلك الأموال لطيب لهم الاستمتاع بجزء كبير من تلك الثروات التي كدسوها . ومما لا ريب فيه أن عبء ذلك الجور الذي كان يتزايد من حين إلى آخر ، إنما كان يقع على كاهل تلك الشعوب المغلوبة على أمرها ، التي قلما كانت تصل شكاياتها إلى السلطة المركزية للحكومة^(١) ، والتي كانت تجبي منها تلك الأموال بكل وسائل العنف والتعذيب .

وكانت الطريقة التي تجبي بها هذه الأموال منجلة على ما ذكره الفقهاء . ففي اليوم المحدد لجباية تلك الأموال كان يذهب المطالبون بها إلى ديوان الخراج حيث يجلس عامل الخراج على أريكة عالية ، ثم يتقدم إليه هؤلاء أذلاء خاضعين ، فيمد الواحد منهم يده التي يحمل فيها الضريبة فيدفعها بحيث تكون يد عامل الخراج فوق يده ، ثم يصفعه بعض الحاضرين صفعة يشيعه بها إلى الباب . وكان عامة الشعب يحضرون تلك المناظر التي كانوا يعتبرونها رمزاً لاتتصار المسلمين على الكفار^(٢) .

وأما من عجز عن تأدية الخراج فكان الجباة يسلكون معه بعض وسائل التعذيب . من ذلك تعريضه للشمس المحرقة ، ذلك التعذيب الذي كان يضاعف أحياناً بصب الزيت على الشخص المعذب .

وكانوا يلزمونهم بحمل بعض الحجارة أو جرار الماء في رقابهم ، كما كانوا يوقفونهم على قدم واحدة ساعات طويلة ، ثم يوقفونهم بحيث لا يستطيعون

(١) يرجع إلى الطبرى (٢ : ١٣٥٤ أو الملحق رقم ٣) لمعرفة أعمال السفراء الذين كانوا يوفدون إلى مقر الخلافة لسيط تلك الشكايات .

(٢) كرايتشك ص ٨٧ .

السجود للصلاة^(١) . وفي بلاد ما وراء النهر كان يدع عمال الخراج الدهاقين في الشمس نازعين عنهم ثيابهم ثم يرمونهم بزنانيرهم في وجوههم^(٢) X .

(١) كتاب الخراج ص ١٨ ، ٦١ ، ٧٠ ، ٧١ .

(٢) أنظر الطبرى ٢ : ١٥١٠ .

X نشك كثيراً في صحة ما نقله فان فلوتن عن كتاب karabaceck, das Arabische Papier, p. 87 فيما يتعلق بالطريقة التي كان يجبي بها المسلمون الخراج . والذي يغلب على الظن أن هذا مدموس على فقهاء المسلمين ، لاسيما وأنه لم يذكر لنا المرجع العربي الذي أخذ عنه صاحب هذا الكتاب .
على أن هذا على فرض صحته لا ينهض دليلاً على ما ذهب إليه فان فلوتن ، إذ أن ما ذكره لم يعد أن يكون رأياً من آراء بعض الفقهاء . ولم تكن أقوال الفقهاء وآراء المشرعين في يوم من الأيام حجة للحكم على شعب من الشعوب بحكم من الأحكام ، وإنما يعتمد على الحوادث الجزئية والأمثلة التاريخية في تقدير تلك الآراء والحكم بصحتها . وقد أدلى المؤلف برأيه أعزل من كل دليل معطلا من كل حجة ، إذ لم يذكر لنا حادثه معينه تدل على أن المسلمين كانوا يجبون الأموال من أهالي البلاد التي فتحوها على هذا النحو . ولا تعوزنا المثل الصحيحة على فساد ذلك الرأي . ولا غرو فإن كتب الحديث حافلة بالدهى عن المثلة والعطف على الضعفاء والرفق بالحيوان بله الإنسان .

أضف إلى ذلك وصايا الخلفاء الراشدين لأمرأء الجند . من ذلك وصية أبي بكر الصديق لأسامة بن زيد وجنده عند رحيلهم إلى الشام (الطبرى ج ٣ ص ٢١٣) « يا أيها الناس ! أقفوا أوصكم بعشر احفظوها عني ، لا تخونوا ولا تغلوا (تخونوا) ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تمقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لما كله . وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهن وما فرغوا أنفسهن له » .

كذلك عهد عمر لأهل إيليا (الطبرى ج ٤ ص ١٥٩) . أنظر ص ٨٠٧ بهامش هذا الكتاب — المترجمان .

حالة الموالى السياسية والاجتماعية

أخشى أن يتهمنى القارئ حين أقدم له تلك الصورة السوداء لحكم بنى أمية بأننى أحاول أن أطبق تلك المثل التى أتينا على ذكرها على جميع الأقاليم التى كانت تحت سلطان الأمويين ، أو على الأقل طيلة عهد بنى أمية . على أن ما ذكرته من نقص وعيب فى حكم الأمويين لم يكن إلا استعراضاً لتلك الحوادث التى تروىها لنا المصادر التى اعتمدنا عليها . ومع ذلك فلا مندوحة من التسليم بصحة هاتين الملاحظتين : (١) إننا لا نعلم إلا الجزء اليسير عما نزل بالشعوب المحكومة من ألم وحييف رغم التسليم بنزاهة المصادر العربية وعدم تحيزها فيما يتعلق بحالة تلك الشعوب (٢) إن ما ترويه لنا تلك المصادر مهما كان ناقصاً وضئيلاً فإنه يبرر رأى الذى ذهبنا إليه ، وذلك بتأييدها الحكم الذى ذكرناه آنفاً عن بنى أمية وحكومتهم : ذلك أن المسألة لم تصبح بعد فى نظرهم مسألة دعاية دينية ، بل مسألة نهب وتخريب يشوبه شئ من النظام .

ولكن قد يتساءل المرء : ألم تكن ثمة وسيلة لمن فرضت عليهم الجزية يتفادون بها ذلك الخراج وتلك الضرائب ؟ ألم تكن هناك تلك الوسيلة الفذة ، وهى خروج المغلوبين عن أملاكهم العقارية واعتناقهم الإسلام وانضمامهم إلى صفوف الفاتحين من العرب يقاسمونهم تلك الغنائم التى كانوا يدفعونها إليهم من قبل ؟ .

بلى ! وذلك ما فطن له واستغله منذ اللحظة الأولى معظم الدهاقين وهم ملاك الأراضى من الفرس . وقد أكسبهم ما كان لهم من السيادة أيام حكومتهم الأولى نفوذاً كبيراً على الرعايا من صفار الزراع . ومن ثم لم يلبث هؤلاء أن

أسندت إليهم المناصب الإدارية الهامة وجباية الأموال الأميرية ، وذلك بفضل ما كان لهم من معرفة تامة بتلك البلاد وحال أهلها . ولذلك أصبح هؤلاء الدهاقين بطانة للحكومة ، تتخذ منهم الجواسيس والمفوضين السياسيين ^(١) . وهكذا احتفظت طائفة النبلاء الإقطاعيين من أهل فارس بما بقي لهم من سلطان باعترافهم الإسلام ، كما جمعوا الثروات الضخمة وتمتعوا بنفوذ كبير ، وذلك باستئثارهم بجباية الخراج ^(٢) .

بقي علينا أن نبين حال الطبقة الدنيا من هؤلاء الذين كان يسميهم مؤرخو العرب العلوج . وإن ما كتبه المؤرخون لن يدع في نفس القارئ شكاً في حالة هؤلاء . فإن اعتناقهم الإسلام لم يأت لهم بخير ، اللهم إلا ذلك الأمل الضائع والفشل المتر . فقد وقف طمع العرب وكبرياؤهم ، ثم شرهم ونهمهم عقبة كأداء في سبيل إصلاح ذلك العنصر المضطهد رغم اعتناقه الإسلام . وهذا ما سنعرض له ، بادئين بذكر الحالة الاجتماعية لأولئك الجدود في الإسلام أولاً ، معقبين على ذلك بالكلام عن حقوقهم السياسية .

أما أولى تلك المسائل فسوف لا يصعب علينا معالجتها ، وذلك بفضل البحوث التي قام بها كل من الأستاذين فون كريمير وجولد تزيهر ^(٣) . لا يخفى أن المسلمين من غير العرب قد ألحقوا منذ اعتناقهم الإسلام ببعض القبائل العربية على أن يكونوا موالى لتلك القبائل . ومن ذلك الحين نرى أن حالة الموالى التي كان لا يشوبها أية شائبة من شوائب الخسة أو الانحطاط قد غدت

(١) الطبرى ٢ : ٤٩٢ .

(٢) Von kremer Streifzüge, p. 14 et. n. 4.

(٣) Von Kremer, Culturgeschichte, II. 154 suiv.

Streifzüge, p. 15 suiv.; Goldziher, Islamische Studien, I. 104 suiv.

على النقيض من ذلك منذ اللحظة التي ابتداءً يزيد فيها عدد من فرضت عليهم الجزية من أولئك الموالى زيادة كبيرة . هذا إلى ما كان من احتقار العرب الذين كانوا لا يحترمون سوى مهنة الحرب أولئك الموالى واعتبارهم إياهم طائفة منحطة لا تكاد تختلف عن طائفة الرقيق في شيء ، وذلك لامتهانهم طبقات العمال التي نشأ منها هؤلاء وازدراءهم تلك المهن التي كانوا يزاولونها . وليس بعيداً — على ما يظهر لى — أن يكون لما في كلمة مولى من اللبس — تلك الكلمة التي طالما كانت تطلق أيضاً على الرقيق المعتقد — أثر كبير في احتقار العرب لتلك الطائفة . ولا غرو فقد شاع عند العرب إطلاق لفظ عبد أو رقيق على المولى^(١) ، كما كانوا عدا ذلك ينادونهم بألقابهم دون أسمائهم كما ينادون الرقيق^(٢) . وإذا ما أرادوا الزواج فلم يكن بدمن الرجوع إلى أسيادهم الذين كان لهم حق المعارضة في تلك العقود . وكانوا بمعزل عن باقي الجيش ، لهم رؤساؤهم الخاصون بهم ، كذلك لا يبعد أنهم كانوا يحاربون راجلين^(٣) . وكانوا يقنعون بأحط الأماكن وأرذلها في

(١) كتاب الأغاني ج ٥ ص ١٥٥ ؛ الطبرى ٢ : ٦٨٤ ؛ Van Gelder ،

Mokhtar, p. p. 52

دوزى : تاريخ المسلمين في أسبانيا ج ٢ ص ٧٢ وما يليها .

ليس من المحقق أن ماورد في الطبرى (٢ : ٥٩٦) (س ١٨) ، ٦٢٣ ، (س ٥) له أية علاقة بالموالى .

(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ٩٠ .

(٣) الطبرى ٢ : ١٩٢٠ (س ٤) . قال أمير خراسان لأحد العرب من حاشيته :

« وأنت وأهل بيتك ممن أراد أسد بن عبد الله أن يحتّم أعناقهم ويجعلهم في الرجالة » . ويظهر أن هذا كان خاصاً بالدميين (أنظر مقدمة كتاب البلاذرى والطبرى ٢ : ١٢٥٢ (٤) ، والعقد الفريد ج ٢ ص ٩٢ وما يليها) . ويغلب على ظنى أن الجند الرجالة لم يكونوا غير الموالى أنفسهم .

Opkomst der Abbasiden pp 98. 105 (n 1)

الاجتماعات ولا يدخلون مساجد العرب ، إذ كانت لهم مساجدهم الخاصة
م. × ×

حسبنا تلك المثل الناطقة فإنها وحدها تكفي لأن تمدنا بفكرة واضحة
عن حالة أولئك الموالى الاجتماعية . ونحيل القارى المتعطش للاستزادة
فى هذا الموضوع إلى مؤلفات الأستاذين فون كريمر وجولد تزيهر التى
أشرنا إليها قبل . وسنمضى الآن فى استقصاء حالتهم السياسية لنبين أن
أن جور الحكومة معهم قد انتهى إلى عدم اعترافها لهم بشيء من الحقوق
التى كانت لأخوانهم من العرب . ولا يفوتنا أن نذكر أن النظام الذى أقره
عمر ، والذى يحده القارى فى كتاب « فتوح البلدان » للبلاذرى ص ٢٦١ ،
Von kremer, Culturgeschichte, l. 167 suiv كان يفرض لكل
مسلم دُون اسمه فى سجلات الحكومة (الديوان) مكافأة سنوية عن خدماته
الحربية (وهى العطاء) ، عدا ما كان يمنحه من الأجر (فريضة) لابنائهِ ،
لا فرق فى ذلك بين العرب والموالى .

على أن هناك أمراً آخر جدير بالملاحظة ، ذلك أن عدد هؤلاء لم يكن
كبيراً فى عهد هذا الخليفة . لذلك أصبح العطاء وفقاً على الدهاقين الذين
ساعدوا العرب فى فتوحاتهم^(١) . ويمكننا أن نستخلص مما ذكره البلاذرى
أن العرب فى ذلك الوقت لم يكن يحفظهم أن يقاسمهم غيرهم ممن دخلوا فى

× × هذه مسألة قومية بحثة لا دخل للدين فيها . ولا غرو فقد دعا الإسلام
إلى المساواة بين جميع المسلمين لا فرق بين عربى ومولى وإحلال العصية الدينية
محل العصية القومية — المترجمان .

(١) البلاذرى ص ٤٥٧ فى النهاية .

الإسلام من غير العرب نصيبهم من الغنائم^(١). وقد ذكر اليعقوبي أن علياً وحده هو الذى تمسك بالقواعد القديمة^(٢). ولا نعلم تمام العلم إلى أى حد اتبع الأمويون الطريقة التى خطها عمر فيما يتعلق بالأعطيات السنوية. على أنه لا مندوحة من أن نفرض ذلك الفرض، وهو أنهم قد أنقصوا نقصاً كبيراً أعطية هؤلاء الذين باءوا بسخطهم (كالعلويين مثلاً)، كما استبدوا بما فى بيت المال من الأموال بيدلونها لأفراد أسرهم^(٣). ومع ذلك فقد كان الأمويون على جانب كبير من الحكمة وبعد النظر لثلافي ما عساه يحجره عليهم ذلك النظام الذى كان يقضى بنقص عطاء رعاياهم من العرب عن القدر الذى فرضه لهم عمر بن الخطاب. ولا غرو فقد عرفوا سلطان المال على النفوس. وسنرى إلى أى حد كانوا يحسنون استخدامه ويشترون به حيدة خصومهم.

أما الموالى فكانوا على العكس من ذلك. فقد زاد عددهم فى المدن، وبخاصة فى بلاد العراق، للأسباب التى سنذكرها. كانت البلاد التى يفتحها العرب عنوة (كسواد العراق كله تقريباً وكذا سورية ومصر) تصبح وفقاً على المسلمين. فكان الأهالى (الزرايع) يظلون فى زراعتها على أن يقدموا للفاتحين جزءاً من الغلة ضريبة عقارية (خراج)، بينما كانوا يستمتعون بحرية التدين وحماية المسلمين لهم نظير مبلغ معين يدفع عن رأس كل فرد يسمى جزية (وهى الضريبة الشخصية)^(٤). وكانوا يعفون من تلك الجزية إذا اعتنقوا

(١) المصدر نفسه ص (٣).

(٢) البعقوبى ج ٢ ص ٢١٣.

(٣) الطبرى ٢ : ٥٣٤ و ١٠٢٠ (١١).

Von Kremer, Gesch. der herrsch. Ideen, p. 336 suiv., 393 suiv

(٤) يجب ألا تخلط بين هذه الضريبة المسماة جزية الرؤوس وبين الخراج

وهو الجزية العقارية كما سبقت الإشارة إليه (ص ٢) — ص ١٥ من الترجمة.

الإسلام مع بقائهم على دفع الخراج^(١). ومن ثم لا ندهش أن نرى الجيم
الغفير منهم يفضل ترك ما يملكه من الأرض والرحيل إلى المدن والإقامة بها
جنباً لجنب مع العرب ليعاونوهم إذا ما طلبوا مساعدتهم ، ولا سيما بعد
وقوفنا على ما كان في نظام الخراج وجبايته من سوء ونقص .

وكان لازماً أن تعرض تلك المشكلة ، مشكلة توزيع أجور تلك النجيدات
الجديدة . ومن السهل علينا أن ندرك إلى أى حد كانت تختلف وجهة نظر
كل من العرب والموالى فيما يتعلق بهذه الأجور بقدر ما كان هناك من التعارض
بين مصالح كل من الفريقين . أما العرب فإنهم لم يرضوا أن يقاسمهم الموالى
ثمرات ما يفتحونه من البلاد تلك المقاسمة التي كانت تنقص نصيبهم منها نقصاً
محسوساً . وأما الموالى فكانوا على العكس من ذلك يزعمون أن العطاء إنما هو
حق لجميع المسلمين^(٢) .

وقد ظهر أثر ذلك لأول مرة في الثورة التي أثارها المختار في عهد مروان
الأول بعد أن ضمن مساعدة العنصرين العربى والفارسى من أهل الكوفة .
ومما ندهش له نقص العرب الذين اشتركوا في تلك الثورة نقصاً مطرداً ، بقدر
ما كان يزيد عدد الموالى الذين استألمهم إليه زعيم تلك الثورة زيادة كبيرة
بما كان يدره عليهم من العطاء . ولا غرو فانه « لم يكن فيما أحدث المختار
شيء هو أعظم عليهم من أن يروا المختار يمنح الموالى نصيبهم من الفيء (هو
المال الذى تدره عليهم البلاد التى كانوا يفتحونها) » . وطالما كانوا يقولون
له : « عمدت إلى موالينا ، وهم في أفاء الله علينا ، وهذه البلاد جميعاً .

(١) فان برشم ص ٣٥ .

(٢) الطبرى ٢ : ١٣٥٤ .

فأعتقدنا رقابهم نأمل الأجر في ذلك والثواب والشكر ، فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم شركاءنا في فيئنا « (١) .

وليس أدل على شعور العرب نحو غيرهم من الشعوب الأخرى من تلك العقيدة التي كانوا يدينون بها ، وهي أن أملاك الأجانب وأرضهم ثمن لتركرم لهم حرية البقاء على وثنياتهم ، كما أنها جزاء من الله للمؤمنين منهم . ولم يكن بد من أن ينتهي هذا الزعم بتعصب الشعب العربي لبني جنسه وتشبته بأرجحيته وأفضليته على من سواه من العناصر الأخرى . ولم يرض الفاتحون من العرب الذين لم يكن بد من أن تنتهي مهمتهم بمجرد اعتناق الشعوب المغلوبة للإسلام أن يتركوا ثمرات فتوحاتهم . وكان لذلك أسوأ الأثر لاسيما في أيام الحجاج والى العراق من قبل عبد الملك ثم من قبل الوليد ، ذلك والى الذي اشتهر بالقسوة والشدّة .

ولقد شغل ازدياد دخول هؤلاء في الإسلام ، ولا سيما أولئك الذين ظهرت فيهم روح التمرد في ثورة المختار ، بالالحكومة في نفس الوقت الذي تدهورت فيه مالياتها بسبب إجحال كثير من الولايات أيام الحجاج الذي اختاره بلاط دمشق لمعالجة الأمور في بلاد العراق .

وتتلخص سياسة ذلك الأمير الجديد في هذه الكلمات : يجب أن تعود بلاد العراق — مهد المعارضة التي قام بها الموالي — معقلا للجيش العربي كما كانت من قبل . وهكذا اضطر الموالي الذين كانوا يتطلعون إلى مساواتهم مساواة تامة بإخوانهم في الدين من العرب للعودة إلى أرضهم ودفعهم الجزية كما كانوا يدفعونها من قبل .

(١) الطبرى ٢ : ٦٥٠ وما يليها .

وإننا لمدينون أيضاً للأستاذ فون كريم بتلك المعلومات عن ذلك الحادث الهام في تاريخ الدولة العربية . ولا بد أن يكون القارئ قد وقف على ذلك في كتابه . *Culturgeschichte des Orients*.^(١) ورأى كيف استطاع الحجاج أن يرغم هؤلاء الجدد في الإسلام على دفع الضريبة التي كان يدفعها الكفار ، ثم تلك المقاومة العنيفة التي قاوموا بها الحجاج بانضمامهم إلى صفوف عبد الرحمن ابن الأشعث الذي أشعل نار الثورة على بني أمية . وقد أخذ تلك الثورة مأربق فيها من أمواج الدماء المتلاطمة . ولسكى ترد الحكومة هؤلاء الموالى إلى واجبه نحو الفاتحين وتسد في وجههم كل أمل في تحسين حالهم ، طردتهم وأرسلتهم إلى قراهم بعد أن وشت أسماءها على أيديهم .

وقد روى لنا مؤرخو العرب نتائج تلك السياسة القاسية التي كان الغرض منها العودة بنظام الضرائب إلى ما كان عليه من قبل . فقد أجمع هؤلاء على القول بأن بلاد العراق كانت بعد الحجاج أسوأ البلاد حالاً^(٢) .

من ذلك ما ذكره اليعقوبي (طبعة هوتسم ج ٢ ص ٤٣٨ وما يليها) : « وكان (الحجاج) أول من أخذ بالقذف والظنة وقتل بهما الرجال . وانكسر الخراج في أيامه فلم يحمل كثير شيء ، ولم يحمل الحجاج من جميع العراق إلا خمسة وعشرين ألف ألف درهم » ، (وكان خراجها في عهد معاوية ١٢٠ مليوناً من الدراهم) .

(١) ١ ص ١٧٢ .

(٢) ويمكن المقارنة بين هذه الأرقام وبين الأرقام التي نقلها لنا ابن خرداذبة (طبعة دي غوية) ص ١١ . فإن هذه المبالغ وإن كانت صحيحة فيما يتعلق بالسواد فقط ، فإن الأرقام التي نقلها ابن خرداذبة تكشف لنا عن حالة البلاد بعد الحجاج . ومع ذلك فاني لا أعلق أهمية كبيرة على تلك المبالغ بقدر ما أعلق على الملاحظات التي أبدتها المؤرخون عنها .

كذلك ما رواه الطبري (٢ : ١٣٠٦) من « أن يزيد (بن المهلب) نظر ، لما ولاه سليمان (بن عبد الملك) ما ولاه من أمر العراق ، في أمر نفسه فقال إن العراق قد أخر بها الحجاج ، وأنا اليوم رجاء أهل العراق . ومتى قدمتها ، وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم عليهم صرت مثل الحجاج أدخل على الناس وأعيد عليهم تلك السجون التي قد عافهم الله منها » .

وقد ورد في كتاب *Fragmenta Historicorum Arabicorum* (cf. p. 33) p. 17 « قد حاول سليمان بن عبد الملك معالجة الحالة السيئة التي جرتها سياسة الحجاج . ولا غرو فقد رسخت في الأذهان فكرة سيئة عن حكومة الوليد بسبب تلك الشدة والقسوة التي ارتكبها واليه والتي كانت نتيجةها جذب البلاد وفقرها » .

ومن اليسير علينا أن ندرك أن تلك العبارات قد صدرت من نفوس أشربت قليلاً أو كثيراً روح العداء لحكم الحجاج ، وأنها قد لا تصور حالة البلاد إلا بعد الحرب الداخلية مباشرة ، تلك الحرب التي أشعل نارها ابن الأشعث ، والتي كان يرتبط بمصيرها حياة العرش الأموي أو موته . ولكن هل نستطيع أن ننكر بعد ذلك أن تلك الحرب لم يكن لها من الخطر ما كان لها ببلاد العراق لو لم يشترك فيها ضحايا ذلك النظام الإداري ممن أرهقتهم الضرائب الفادحة ، حتى آخر قطرة من دماءهم ؟ .

فالحجاج وإن لم تقع عليه تبعة تلك الحروب وخراب ذلك الإقليم ، فهو على الأقل مسئول عن نتيجة تلك الحرب . ولعل معترضاً يعترض على أن الحجاج لم يكن في كل ذلك إلا وزير بلاط دمشق ، وأن سيادة العنصر العربي غيره من العناصر الأجنبية لتتفق مع مصالح الدولة الأموية وسياستها ، لا سيما وأنها هي التي وضعت أساس تلك السياسة .

أما أنا فسأكون آخر من لا يعترف بصحة ذلك الاعتراض ولكن ليسمح لى القارئ أن أجيب عنه بذلك الجواب ، وهو أن زوال حكم بنى أمية قد أصبح محتوماً منذ اللحظة التى برهنت فيها الحوادث على أن النظام الذى كان يتشبت به الأمويون لم يكن له ثمة ما يبرر بقاءه .

ويظهر أن ذلك هو ما عناه فون كزيمر حين تكلم عن الخططة التى سلكها الحجاج لقمع الثورة التى قام بها الموالى ، إذ يقول إن تلك الخططة وإن قضت على آمال الموالى والجدد فى الإسلام وطمعهم فى مساواتهم بالشعب الحاكم ، فقد كان سخط هؤلاء للضطهدين - إذا ما دققنا البحث فى استقصاء الأسباب التى انتهت بسقوط الدولة الأموية - هو السبب الذى يعول عليه .

(Streif züge, p. 24, cf. Hersch. Id. p. 334)

وس يظهر لنا مقدار صحة هذا الرأى عند دراسة الحالة فى خراسان .

— ٥ —

الحالة فى خراسان

لم يبق ببلاد خراسان عند وصول العرب إليها سوى طائفة من الولايات الصغيرة لا تربطها حكومة مركزية تدير شئونها ، ولا سيما بعد التقلبات التى مرت بها هى والولايات الأخرى فى آسيا الصغرى ثم الحكومات التى تعاقبت عليها ، وبخاصة أسرات البكتريان (Bactriennes) × وشعوب الأندوسكيث (Indo—Scythe) وغارات الحثيين أو الهون البيض (Haital ou Huns) . × × (blancs)

× بلاد آسيا القديمة ، إحدى مواطن الإيرانيين الذين يعيشون الآن ببلاد التركستان وبلاد الفرس . وحاضرتها بكتريا — المترجمان .

× × من شعوب البرابرة القديمة . وهم الرحل من سكان شمالى شرق أوربا وشمالى غرب آسيا — المترجمان .

وكان السواد الأعظم من سكان تلك البلاد من أصل آرى ، أقوياء البنية عراض الصدور السكيفة الشعر ، وذلك رمز القوة وشدة البأس ، مما استرعى إعجاب الجغرافيين من العرب . ولم يكن يختلف ذلك الشعب اختلافاً جوهرياً عن ذلك الجنس الذى يسميه الرحالة المحدثون باسم تيجيك (Tadjik)^(١) . وقد أطلق ذلك الاسم فى الأصل على العرب ("Arabe" Tadjik—tâzi) . غير أن علماء وصف الشعوب قد اتفقوا على أن التيجيك (Les Tadjik) ، فضلاً عن بعدهم عن أن يكونوا ساميين ، فإنهم من جنس آرى قد امتزج بالدم الطورانى^(٢) .

وكان سكان بلاد خراسان الأصليين من هؤلاء التيجيكين . وأما الطبقة التى كانت لها السيادة فكانت طبقة الدهاقين ، وهم ملاك الأرض والزراع من الفرس ، وكانوا يتمتعون بنفوذ كبير وبخاصة فى بلاد ما وراء النهر حيث كانوا يملكون الضياع الواسعة . أما «البخاراخودة» أو أمراء بخارى فهم فى الأصل من طبقة الدهاقين^(٣) . وكان الدهقان فى هراة يحكم بجانب أمير أجنبي^(٤) ،

(١) أنظر القتاتين اللتين كتبنا عن Persia, Oxus فى دائرة المعارف الإسلامية . البريطانية وما كتبه مسيون Specht فى المجلة الآسيوية الفرنسية ، ولذلك فى (n.21) p. 115 (n.5) p. 17 Geschichte der Perser und Araber, و مجلة الجمعية الآسيوية (١٨٨٣) ج ٢ ص ٣١٧ وما يليها .

من سكان فارس وتركستان من الجنس الآرى . وهم حول مليونى نسمة - المترجمان .

(٢) Khanikoff, Ethnographie de la Perese, p. 87 suiv (٢) Quatreffages et Hamy, Crania Ethnica. p. 503.

(٣) الزرخى : تاريخ بخارى ص ٦ .

(٤) الطبرى ٢ : ١٦٣٦ .

كما كان مركز الأشراف من كبار ملاك الأرض يختلف باختلاف الأحوال التي تحيط بهم . وكان الدهقان - على ما ذهب إليه نلدكه^(١) - لا يكاد يعدو أحياناً أن يكون من بسطاء الفلاحين ، كما كان في بعض الأحيان من طبقة الأشراف الذين يملكون بلاداً (رساتيق) برمتها .

وكان يحكم ذلك الشعب أمراء مختلفون من الأشراف الإقطاعيين القدامى في بعض الإمبراطوريات الواسعة الأرجاء الذين طالما كانت تتم ألقابهم عن أصلهم التركي أو المغولي^(٢) . أما إبان الفتح العربي فإننا نجد من أمراء سجستان رُتبيل (Rotbil)^(٣) ، ومن أمراء سمنجان وروب (Simindjan et Roub) (الروبخان)^(٤) ، ومن جوزجان (الجوزجان)^(٥) ، ومن الخزر (سَبَقَرَى؟)^(٦) ، ومن أمراء الختل (السَّبل) - بفتح السين مع التشديد وفتح الباء -^(٧) ، ومن بدغيس وطخارستان (جيغويه ، الشذ ، وِزَك طَرخان)^(٨) ، ومن مَروروز

(١) Geschicdte der Perser und Araber, p. 440

(٢) الأسماء الآتية منقولة عن تاريخ الطبرى ، ويمكن اعتبارها تكملة لما ذكره ابن خرداذبه (طبعة دى غويه) ص ٢٨ .

(٣) الطبرى ٢ : ١٠٣٦ ، وابن خرداذبه ص ٢٩ .

(٤) شرحه ٢ : ١٢١٩ .

(٥) شرحه ٢ : ١٢٠٦ .

(٦) شرحه ٢ : ١٤٤٨ .

(٧) الطبرى ٢ : ١٠٤٠ و ١٢٢٤ . وهو من ألقاب الشرف (عند الصينيين)

(٨) كان جيغويه ملكاً . وكان يقيم بالقرب منه أحد أشراف الصين ويلقب بلقب شذ (بالصينية شز Ghè—tsz) . وأما نَزك ترخان من أتباع ملك تخرستان فكان يقيم في بدغيس .

(بڌام Badhām)^(١) ، ومن الطالقان (سَهْرَك Sahrak)^(٢) ، ومن
 الفَرَّيَاب Frayâb (تَوَسِك)^(٣) . ومن بلاد ما وراء النهر : الشغد وسمرقند
 (تَرَّخُون - تَرَّخَان)^(٤) ، و (غَوَزَك)^(٥) ، ومن فرغانة X (إخشيد ،
 ألتار Ikhchidh, al - târ)^(٦) ، ومن أمراء كى (ترك خاقان)^(٧) ، ومن
 أمراء كَشْ (ويك Wik)^(٨) ، ومن شومان (فيلسنسب ؟ أوغيسلستان)^(٩) .
 وفي كابل كان يقيم كابل شاه^(١٠) ، بينما كان يحتفظ مرازمة إمبراطورية
 آل ساسان بمراكز مستقلة في مرو ومروروذ وسرخس وطوس وهراة X X

(١) الطبرى ٢ : ١٢٠٦ .

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه .

(٤) الطبرى ٢ : ١١٤٦ .

(٥) المصدر نفسه ٢ : ١٢٢٩ .

وقد ذكرها المؤلف غزل والصحيح غوزك — المترجمان .

X ذكرها المؤلف فرغنة ، وضبطها فرغانة (بفتح الفاء ومد الغين) — المترجمان .

(٦) الطبرى ٢ : ١٣٤٢ ، ١٤٤٠ .

(٧) المصدر نفسه ٢ : ١٤٢٢ .

Torkhakhân في الأصل والصحيح Tork Khakhân — المترجمان .

(٨) الطبرى ٢ : ١٤٤٨ .

في الأصل كَشْ Kech والصحيح كس كما في الطبرى — المترجمان .

(٩) الطبرى ٢ : ١٢٢٧ .

(١٠) المصدر نفسه ٢ : ١٢٠٦ .

كبولشاه في الأصل وضبطها كابل شاه — المترجمان .

X X في الأصل هراة بكسر الهاء والصحيح بفتحها كما ورد في معجم البلدان

لياقوت — المترجمان .

وقوهستان ، كما كان يحكم بلخ إضنهيد^(١) . وقد قبل معظم أولئك الأقيال سيادة العرب دون كبير مقاومة ؛ كما نراهم يبادرون إلى إعتناق الإسلام (كما فعل دهاقين العراق) ويعيشون في سلم ووثام مع غيرهم من أشراف العرب . وكذلك أصبحوا (مع غض النظر عن الاستثناءات التي لامناض منها) محل ثقة الأمراء من العرب وأصدقاء النابيهين منهم . وكانوا يساعدون جيوش المسلمين ضد الأتراك من بلاد ما وراء النهر ، كما كانوا يحتفون بالروساء من العرب احتفاء كبيراً فكانوا يستقبلونهم في قصورهم ويتملقونهم بتلك الهدايا الثمينة التي كانوا يقدمونها إليهم في عيد رأس السنة وفي احتفال المهرجان^(٢) .

ومع ذلك فمن اليسير علينا أن ندرك أنه كان وراء مظاهر تلك الحفاوة وتلك الهدايا ما وراءها . لذلك لاندش — بعد أن وقفنا على ما كانت عليه الادارة العربية — من أن نرى أشراف هذه البلاد ينتفعون من تلك الفتوحات باتصالهم بالجباة وعمال الخراج وإثرائهم على حساب الرعايا . ولم يكن مجرد إلقاء القبض على الكثيرين منهم هو كل ما نعلمه عن هذه الناحية ، فإن ما ذكره النرشخي في كتابه « وصف بخارى » ليبين لنا ذلك الأمر بياناً واضحاً . ولا غرو فقد أدلى إلينا بعبارة قيمة تكمل ما رواه الطبرى تكميلاً لم نكن نتوقعه . فقد روى الطبرى عند كلامه على حوادث سنة ١٢١ هـ أن اثنين من الدهاقين قتلا تمشادة أمير بخارى وعامل الخراج من قبل العرب في ذلك الإقليم^(٣) في حضرة نصر بن سيار نفسه دون أن يذكر لنا شيئاً عن أسباب ذلك العدوان .

(١) الطبرى ٢ : ١٢٠٦ ، ١٢١٨ .

(٢) الطبرى ٢ : ١١٧٥ ، ١٢٢٨ ، (١١) ١٤٤٤ ، (١٠) ١٤٤٨ ، (١٣) وما يليه .

(٣) المصدر نفسه ٢ : ١٦٩٣ وما يليها .

وإلى القارىء ما ذكره النرشخى نقله عن كتاب Chrestomathie persane, tome I. p. 44 cf. 95 suiv. de l' édition
كان نصر بن سيار يحل تغشادة من نفسه محلاً رفيعاً . ولا غرو فقد
أقطعه إحدى ضياعه ثم زوجه إحدى بناته . وقد جاء تغشادة لزيارة نصر
ابن سيار فى فسطاطه ؛ فلم يكده يستقر به المقام حتى حضر اثنان من الدهاقين من
أسرة تغشادة وطلباً المثل بين يدي نصر . وكان يمت كل من هذين إلى أسرة
ذات نفوذ عظيم ، وقد اعتنقا الإسلام على يد نصر بن سيار . فلما أصبحا
بحضرته تظلموا إليه من استبداد تغشادة ، قائلين إنه استولى على أملاكهما
بالقوة . وكان عامل بخارى واصل بن عمرو حاضراً ، فطلب الدهقانان من
نصر أن ينصفهما منه أيضاً بعد أن اتهماه باشتراكه مع تغشادة فى الاستيلاء
على أملاك الغير ظلماً وعدواناً . هذه هى الأسباب التى حملت هذين الرجلين
على هذا الانتقام القاسى ، كما كانت فى الوقت نفسه السبب الذى من أجله
اقتضبت تلك الوقائع من رواية الطبرى .

وهل ثمة بعد ذلك ما يمنعنا من الاعتقاد بأن هذه الحال لم تقتصر على
إقليم بخارى ، وأنه لو كان بين أيدينا الكثير من مثل تلك الأخبار لأمدتنا
بأكثر مما رواه لنا الطبرى عن حال الكثير من الولايات الإسلامية ؟ ومهما
يكن من شئ فقد شاءت الأقدار أن يأتينا ذلك النور من بلاد ما وراء النهر
خاصة ، ذلك النور الذى أضاء لنا اللثام عن نتائج الفتح العربى . ولا غرو فقد
وقعت فيها هذه الحوادث التى أمدتنا بها تلك المصادر .

وبالرغم من أن المسلمين من العرب كانوا يعفون من جميع الضرائب
ويقسمون الغنائم ، فإن الخراسانيين لم يستطيعوا التخلص من عبء تلك
الضرائب رغم اعتناقهم الإسلام ، إذ كانوا لا يزالون يدفعونها كما كان يدفعها
أهل بلاد العراق .

وكانت تسمى الضريبة التي تجبي من الخراسانيين تارة بالجزية وتارة بالخراج^(١). ومن اليسير علينا أن نستنتج من ذلك أنه لم يكن في تلك البلاد سوى ضريبة واحدة كانت تدفع نقداً. يؤيد هذا ما ذكره الطبري (٢: ١٥٠٧) « خراج خراسان على رؤوس الرجال »، ثم ما رواه اليعقوبي (طبعة هوتسما Houtsma ج ١ ص ٢٠٧) « وخراجهم على رؤوس الرجال يوجبون على كل رجل بالغ جزية »^(٢).

ولا يفوتنا أن نذكر أن أمراء كور تلك الولاية على اختلافها قد عقدوا معاهدات السلم مع العرب حين فتحوا بلادهم على أن يدفعوا لهم جزية سنوية معينة. وكانت تلك الجزية موزعة على الأهالي، يشرف على جبايتها بعض عمال الحكومة مع أحد الدهاقين أو مع غيره من حكام الولايات^(٣). وكان ينفق ما يجبي من الضرائب على تموين جيوش الاحتلال. ومن ثم لم يكن بد من أن يثير إعفاء الجدد في الإسلام من الجزية ذلك التعارض الشديد بين هاتين المصلحتين: أولاً — مصلحة الحكومة (مسئولية الحاكم) التي لا تستطيع أن تتخلى عن دفع أرزاق الجند، ثانياً — مصلحة أمير البلاد الذي كان يحتفظ لنفسه بما كان يزيد على الجزية من الضرائب الاستثنائية وكذلك كان الحال ببلاد العراق. وقد اضطرت الحكومة — لكي ترضى المرابطين من جند العرب الذين كان يزيد عددهم على التوالي — إلى فرض الجزية على

(١) وقد وردت هذه الإصطلاحات مختلطاً بعضها ببعض. الطبري ٢: ١٥٠٨

(٦ - ٨، ١٣، ١٤).

(٢) وترجع هذه الطريقة في جباية الخراج إلى عهد الأكاسرة (الطبري ١:

٢٣٧١) « وسائر السواد ذمة، وأخذوهم بخراج كسرى على رؤوس الرجال

على ما في أيديهم من الحصة والأموال ».

(٣) فان برشم ص ٥٤ وما يليها.

أنظر ملحق ١ للوقوف على المعلومات الخاصة بمرو.

الأهلين رغم اعتناقهم الإسلام . وهكذا كان بعض الولاة الذين من مصلحتهم إزدياد دخل البلاد لا يستطيعون أن يروا ذلك النجاح المطرد الذى كان يصادفه الإسلام من قلوب الأهلين بدون أن تتبابل لذلك نفوسهم ويقلق له بالهم . ولتأيد تلك الحقيقة التاريخية نذكر للقارىء شيئاً عن هاتين المحاولتين اللتين كان يقصد بهما تحسين حال أولئك المحدثين فى الإسلام ، ثم نخصص الفصل التالى لشرح الأسباب التى حملت على ذلك .

كان عمر بن عبد العزيز أول من أمر من خلفاء بنى أمية الجراح ، عامله على بلاد خراسان ، أن يضع عن أسلم الجزية التى كان يدفعها الكفار . ومن السهل جداً أن نتنبأان بنتائج تلك السياسة الجديدة .

وكان من أثر ذلك ازدياد اعتناق الناس للإسلام بينما نقص إيراد بيت المال نقصاً محسوساً^(١) . وقد اشترط بعض الولاة لتجاشى ذلك الخطر اختتان وحفظ شيء من القرآن . على أن ذلك لم يُجْدِ نفعاً . ومن ثم كان لازماً العود إلى فرض الجزية كما كانت من قبل أو فقد ثمار ما فتحه المسلمون من البلاد . ويظهر أن عمر بن عبد العزيز قد فطن إلى أبعد النتائج التى عساها أن تجر إليها تلك السياسة . لذلك لم يتقهقر أمامها ، كما لم يتردد فى أن يأمر المسلمين بالجلء عن بلاد ما وراء النهر^(٢) . بيد أنه يظهر لنا أن الجند لم يهتموا بأمر ذلك الجلء ، كما كان طبيعياً أن يبادر الخلفاء بعد موت عمر بفرض ضرائب أكثر فداحة لسد ذلك النقص الذى جرّته سياسته . يدل على ذلك ما رواه الطبرى^(٣) عن هجرة الكثيرين من الشغد من بلاد ما وراء النهر فى عهد من وليها بعد

(١) الطبرى ٢ : ١٣٥٤ .

(٢) المصدر نفسه ٢ : ١٣٦٥ .

(٣) المصدر نفسه ٢ : ١٤١٨ ، ١٤٣٩ وما يليها .

الجزاح . وقد اشتعلت نار الحرب منذ ذلك الحين في تلك البلاد ، ولم يحتفظ المسلمون إلا بالقلع والحصون بعد أن أجلاو الشَّعد ، الذين طلبوا مساعدة الأتراك لهم ، عن سواد بلاد ما وراء النهر .

وأما المحاولة الثانية لتحسين حال أولئك الموالى فكانت بعد سبع سنين ، وذلك في خلافة هشام بن عبد الملك . وكان أول من فكَّر فيها هو أشرس الملقب بالكامل والى تلك البلاد ، ليضع حدًا لتلك الحرب التي خربت المدن الجميلة الواقعة على الشاطئ المقابل لنهر سيحون . وإنا لمدينون للطبرى (٢ : ١٥٠٧ وما يليها) بما رواه لنا عن سياسة ذلك الأمير . فقد قال أشرس يومًا لمن حوله : « إبنونى رجلا له ورع وفضل أوجهه إلى ما وراء النهر فيدعوهم إلى الإسلام » ، فأشاروا عليه بأبى الصيذاء صالح بن طريف مولى بنى ضبة . ولما كان هذا لا يعرف الفارسية ألحق به الربيع بن عمران التميمى مترجماً له . وقد شخص أبو الصيذاء إلى سمرقند ، حين أذن له أشرس برفع الجزية عن أسلم ثم طلب من أصحابه أن يعينوه إذا ما أبى جباة الخراج العمل وفق سياسة الموالى الجديدة .

وكان يقيم غوزك أمير الشَّعد في سمرقند ومعه عامل الخراج حسن ابن أبى العمرطة ، وكان هذا رجلاً نزيهاً يخالف الكثيرين من مواطنيه في نظرهم إلى الفتوحات الإسلامية ، كما كان لا يداجى نفسه في أن هذا الفتح لم يكن (في حقيقة الأمر) إلا تعدياً ليس للدين فيه سوى نصيب ضئيل جداً^(١) .

(١) وهذا ما استنتجته من جوابه حين بلغه أن سبعة آلاف من الأتراك ستحل بهم المزمجة عما قريب فقال : « ما آتونا بل أتيناكم وغلبناكم على بلادكم واستعبدناكم » (الطبرى ٢ : ١٤٨٥) . ومنزى بعد قليل أنه لم يكن هو وحده الذى كان يفكر على هذا النحو .

وقد بلغت جهود أبي الصيداء صالح بن طريف في بادئ الأمر ما كانت ترجوه من النجاح بمعاونة ذلك العامل . فقد زاد اعتناق الناس للإسلام ، وبنيت المساجد على أثر دخولهم في هذا الدين أفواجا . بيد أن هذا النجاح قد ضايق الأمير غوزك الذي كان يرى في ذلك نقصا في دخله هو من ناحية ثم في دخل الحكومة من ناحية أخرى . وقد أفضى بشيء من مخاوفه إلى أشرس ، فكتب هذا إلى عامل الخراج : « إن في الخراج قوة للمسلمين ، وقد بلغنى أن أهل الشُّعد وأشباههم لم يسلموا رغبة ، وإنما دخلوا في الإسلام تعوذاً من الجزية . فانظر من اختن وأقام الفرائض وحسن إسلامه وقرأ سورة من القرآن فارفع عنه خراجه » . وبذلك فشلت تلك الحركة التي قام بها ذلك الوالى أمام ما أقامه في سبيلها الأمير غوزك من العقبات وما أدلى به من الحجج على فسادها وما تجرّه على بيت المال من الخراب . ومن ثم عزل ابن أبي العمرطة وولى مكانه هانىء ابن هانىء ، ثم عين الأشجيد الفارسى مساعداً له .

وكان الغرض من تعيين هذين الرجلين إنما هو القضاء على ما قام به أبو الصيداء من ضروب الإصلاح . وعلى ذلك لم يُجد احتجاج من أسلم من دهاقين بخارى وقولهم لأشرس « ممن تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عربا ؟ » ، كما لم يغن احتجاج أبي الصيداء شيئاً . فقد كتب أشرس إلى هانىء ثم إلى العمال « خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه » . لهذا أخذت روح الفتنة تدب في نفوس أولئك الجدد في الإسلام بعد أن خابت آمالهم ، يعرضهم النابهون من الجند والفقهاء عرباً وموالى . وقد أرسلت الحكومة أحد القواد فقبض على زعماء تلك الفتنة . وهكذا لم يلبث أن أعقب إعفاء المحدثين من الجزية حركة عكسية وسياسة خراجية غاية في الشدة . ولا غرو فقد أصبحت تجبى منهم بالقوة دون أن يراعى في ذلك حتى جانب الضعفاء منهم . ومن

اليسير علينا أن نستخلص مما رواه الطبري (٢ : ١٥٠٨ س ١ - ١٢) أن حركة أشرس لم تقتصر على الشغد ، بل إن نتائجها قد ظهرت أيضاً في بخارى . وإلى القارئ ما رواه النرشخي (Schefer, Chrestomathie persane) ج ١ ص ٤٢ وما يليها ، ص ٥٨ : « ثار أحد أهالي بخارى في عهد ولاية أسد ابن عبد الله على خراسان^(١) وحث الناس على الدخول في الإسلام . وكان السواد الأعظم من الأهلين لا يزال على الكفر ؛ ومن ثم كانوا يدفعون جزية الروس . وقد أحفظ بخاراخودة تغشادة اقتناع الكثيرين منهم بصحة الإسلام واعتناقهم له . ولا غرو فقد كان لا يزال يبطن الكفر رغم إظهاره الإسلام ، فكتب إلى أسد بن عبد الله أن يبخارى رجلاً يعكر صفو الأمن ويلقى بذور الفتنة ويشق عصا الطاعة ، وأن أتباعه يزعمون أنهم مسلمون وليسوا بمسلمين ،

(١) إذا فإن المؤرخ لا يوافقنا في رأينا ، إذ نذكر أن الحوادث التي عرضنا لذكرها هنا قد وقعت في إمارة أشرس . فقد ولي أسد بن عبد الله بلاد خراسان مرتين : الأولى من سنة ١٠٦ هـ إلى سنة ١٠٩ هـ والثانية من سنة ١١٧ هـ إلى سنة ١٢٠ هـ . وقد حل محله أشرس سنة ١٠٩ هـ . وليس بعيداً في رأيي أنه عزى إليه ما حدث في عهد من خلفه . ولم يعرض الطبري لذكر تلك المحاولة التي كان يراد بها تحويل بلاد ما وراء النهر إلى الإسلام في إمارة أسد . وأما الأخبار التي نقلها النرشخي في مختصره الذي بين أيدينا فإنه يغلب عليها الخطأ سواء فيما يتعلق بالأسماء أو التواريخ . وهناك مثالين (ص ١٦) : « فتح قتيبة بن مسلم مدينة بخارى في عهد معاوية (وصحتها الوليد الأول . وقد أقر قتيبة تغشادة « بخاراخودة » تلك المدينة في مركزه ثم أمر أبو مسلم بقتله بمدينة سمرقند في عهد نصر بن سيار وإلى خراسان ، وذلك بعد وفاة قتيبة بستين بعد أن ظل في الحكم زهاء اثنتين وثلاثين سنة » . وعندئذ تكون وفاة قتيبة سنة ٩٦ هـ بينما لم يظهر نفوذ أبي مسلم إلا في سنة ١٢٦ هـ . وإما سنة وفاة وفاة تغشادة بالضبط فهي سنة ١٢١ هـ (ص ٤٣) . « وفي سنة ست وخمسين ومائة (٧٧٢ م) مات أسد بن عبد الله بن مروان » . ومات أسد سنة ١٢١ هـ وكان جده يزيد .

فإنهم لم يسلموا إلا بالسنتهم ، إذ لا تزال عقائدهم القديمة متأصلة في نفوسهم . وإنما اتخذوا هذا ذريعة لإثارة الفتن في المدينة وإغلاق بال الحكومة وإنصاب بيت المال » . وكان من أثر ذلك أن كتب أسد بن عبد الله إلى نائبه مقاتل شريك بن الحارث (؟) يأمره بالقبض على هؤلاء القوم ثم تقديمهم إلى تغشادة ليرى فيهم رأيه . وقد ذكر المؤرخون أن هؤلاء الجدد في الإسلام لجأوا إلى المسجد الجامع يشهدون بأعلى أصواتهم أنه « لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله »^(١) . وقد شق بخارخودة منهم أربعائة دون أن يجرؤ أحد على أن يشفع لهم ، ثم استرق من بقي منهم وأرسلهم إلى أسد بن عبد الله بخراسان . على أن أحداً من هؤلاء ممن فروا من الموت لم يرتد عن الإسلام ، بل ظلوا جميعاً مؤمنين به^(٢) ، ثم لم يلبثوا أن عادوا إلى بخارى بعد موت تغشادة .

وقد جاء ما ذكره النرشخي في الوقت المناسب ، فقد صحح رواية الطبري ومحصها . ومن ثم أصبح ذا قيمة تاريخية كبيرة . ولا شك في أن ما أمدنا به النرشخي لم يكن مصدره سوى تلك المعلومات الموجزة التي رواها لنا مؤرخو العرب . فإذا كان مؤرخ بخارى (النرشخي) قد نقل لنا شيئاً عن إدارة الأمويين ، فإنما روى لنا تلك الحوادث كما تلقاها من أفواه أولئك الجدد في الإسلام أنفسهم وحفظها عنهم . ومما راعى أيضاً عند قراءة مارواه هذا

(١) انظر كتاب الأنساب للبلاذري (طبعة أهلوردت) ص ٣٣٦ وما يليها .
وحزمة الأصفهاني (طبعة Gottwaldt) ص ٢٠٨ .

(٢) وكل ما هنالك هو أن أسداً منحهم الحرية . انظر الطبري ٢ : ١١٦١ حيث نقرأ [سنة ١١٩ هـ] « فبعث أسد بجواري الترك إلى دهاقين خراسان واستنفذ من كان في أيديهم من المسلمين » . وهذا الذي ذكر قد يظل غير واضح إذ لم يذكر لنا النرشخي ما كان يمضي ببخارى في ذلك الحين .

المؤرخ تأييده ما ذهبنا إليه من أن سياسية عمر بن عبد العزيز وأشرس ، إنما كانت تضر بمصلحة أشراف البلاد وتعرضها للخطر بقدر ما كانت تضر بيت المال . وإن فشل هذه السياسة التي كانت ترمى إلى إصلاح حال الموالي وتسويتهم بالعرب ، إنما يرجع بادئ ذي بدء إلى تلك العراقيل والعقبات التي وضعها في سبيلها هؤلاء الأشراف . وعلى ذلك فإننا نخالف ذلك المؤرخ فيما ذهب إليه من أن الكراهة الدينية هي التي حدثت بتغشادة أن يقف من هؤلاء الجدد في الإسلام ذلك الموقف العدائي . فكل ما بأيدينا من الشواهد إنما ينم عن استبداد ذلك الأمير الذي كان - رغم اعتناقه الإسلام - يرى أن تحول رعيته إلى هذا الدين سوف يحرمه من تلك الوسيلة الفذة لاستنزاف أموالهم . على أن هناك أمراً آخر هو أدهى من ذلك وأنكى ، ذلك ما رواه لنا هذا المؤرخ ومن سبقه من المؤرخين من انضمام كبار الموظفين من العرب إلى ذلك الأمير ، على الرغم مما كان في ذلك من التضحية بالدعوة إلى الإسلام والوقوف في سبيل نشره .

ومن ثم كان من البديهي أن تقوم العقبات الكؤود في خراسان ، وكذا في بلاد العراق في سبيل سياسة عمر . ومن أجل ذلك فإنني لا أزال أكرر هذا السؤال : ما هو الداعي إلى هذا الاستبداد الحزن ؟ لا بد أن يكون الغرض منه إنما هو توطيد احتلال قد أصبح لا مبرر لوجوده ، ولا سيما بعد أن تحول أهالي تلك البلاد المحتلة إلى الإسلام . ومما لا ريب فيه أن ذلك لم يكن رأى الأغلبية من العرب في صدر الإسلام . فهؤلاء - كما نعلم - كانوا يدينون بتلك العقيدة ، وهي أن ما يغنمونه من البلاد التي يفتحونها ، إنما هو ثمرة مشروعة لدفاعهم عن الإسلام دون أن يفتنوا لما قد تنتهي إليه تلك العقيدة من التعارض بينها وبين الدعوة إلى الإسلام والعمل على نشره . ومن ثم لا ندهش إذا شاهدنا في الولايات الشرقية للدولة الإسلامية قيام حركة شعارها تأويل أحكام الشريعة

وتفسيرها تفسيراً أقل حرجاً وضيقاً ، تلك الحركة التي كان المقصود منها مناوأة العرب والأمويين جميعاً ، والتي لم يرد الفاتحون من العرب والأمويين بوجه خاص أن يدعنوا لما كانت تدعو إليه من المطالب العادلة وما كانت تنشده من ضروب الإصلاح .

— ٦ —

سياسة عمر بن عبد العزيز

نحو الموالى وأثرها

تحدثنا بعض المصادر الموثوق بها أن الموالى الذين طردهم الحجاج (أنظر ص ١٧ ، ص ٤١ - ٤٢ من الترجمة) من البصرة والبلاد المجاورة لها اجتمعوا في بعض المعسكرات ناديين حظهم قائلين وائماً وأحمد ! ولا غرو فقد كانوا لا يعلمون أين يذهبون . ومن ثم نرى أهل البصرة ينتحلون المعاذير ليلحقوا بهؤلاء الموالى ويشتروا معهم في نعي ما نزل بهم من حيف وظلم^(١) . كما يروى لنا مصدر آخر^(٢) أن هؤلاء الرجال من أهل البصرة كانوا من القراء أغنى من المشتغلين بدراسة التوحيد . وقد اشتروا اشتراكاً فعلياً في ثورة عبد الرحمن بن الأشعث وأذكوا حماس مواطنيهم بتلك الخطب الحماسية حاملين إياهم على مقاومة بني أمية وحكمهم مقاومة جديده . وإلى القارىء ما ذكره الطبرى في ذلك^(٣) : « فوالله ما أعلم قوماً على بسط الأرض أعمل بظلم ولا أجور منهم في الحكم . فليكن لهم البدار . قاتلوهم ولا تأثموا من قتلهم

(١) البلاذري : كتاب الأنساب ص ٣٣٦ وما يليها .

(٢) الطبرى ٢ : ١١٢٣ .

(٣) المصدر نفسه ٢ : ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ .

نقل المؤلف هذه العبارة عن الطبرى ٢ : ١٠٨٦ ، ١١١٦ (١٤) ، والواقع

أنها وردت في صفحتي ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ — المترجمان .

بنية و يقين ، وعلى آثامهم قاتلوهم على جورهم فى الحكم وتجبرهم فى الدين » .
فتلك العبارات الثورية تبين لنا جلياً أن أولئك القراء كانوا أنفسهم من هؤلاء
الذين تحولوا إلى الإسلام والذين جعلتهم مناصبهم بمعزل عن أن يشاركوا
مواطنيهم حظهـم العائر . ومهما يكن من الأمر فإننا نرى أن هؤلاء المضطهدين
كانوا يعتمدون بمض الاعتماد على عطف تلك الطائفة المحترمة حتى عند أفراد
الطبقة الحاكمة نفسها .

ولم يكن أولئك القراء وحدهم هم الذين كانوا يبعضون النظام الأموى .
ففى شمال العراق خرج أحد الأشراف على بنى أمية ، وهو مطرف بن المغيرة
ابن شعبة الذى ثار فى شمال العراق يدعو إلى « الحكم بالحق والعدل فى
السيرة » ^(١) . ويحمد القارىء تاريخ هذه الثورة فى كتاب الأستاذ قائل
(Weil . Geschichte der Khalifen, vol. I. p. 422) . ولم يكديـح
الوقت الذى توتى فيه هذه الحركة أكلها حتى ذهب مطرف ضحية لها . وعلى
الرغم من فشل تلك الحركة الاصلاحية فإن الرغبة فى تحقيق ما كانت ترمى
إليه من الاصلاح كانت لا تزال تحفز الناس على معاودتها من حين إلى آخر .
ولا غرو فقد صادفت تلك الحركة نجاحاً كبيراً على يد عمر بن عبد العزيز .

وقد أجحف مؤرخو الغرب فى الحكم على هذه الاصلاحات التى قام بها
ذلك الخليفة ، والتى كان الغرض منها القضاء على ما قام فى سبيل انتشار الإسلام
من العقبات ، وذلك بمنحه الموالى الحقوق التى كان يستمتع بها المسلمون من
العرب وحدهم وإعفاءهم من الجزية التى كان يدفعها الكفار ثم مقاسمتهم
إخوانهم المسلمين نصيبهم من الاعطيات السنوية ^(٢) .

(١) الطبرى ٢ : ٩٨ الحكم بالحق والعدل فى السيرة .

Von Kremer, Cultrgeschte, vol. I. p. 171 suiv., Müller, (٢)
Der Islam, vol. I, p, 438 suiv.

ولا ريب في أن سياسة ذلك الخليفة لم توفق إلا آمالاً لم تستطع الحكومة تحقيقها . فقد كانت الحال تتطلب علاجاً آخر غير تلك السياسة التي سار عليها عمر بن الخطاب . ففي العراق أنضبت الأعيات السنوية بيد المال بعد أن تأثرت موارده تأثراً محسوساً من جراء إلغاء الجزية في خراسان . وهكذا أعقبت تلك الفوضى في الشؤون المالية بعد موت عمر بن عبد العزيز سياسة خراجية أقصى ما تكون جوراً وعسفاً .

وعلى الرغم من ذلك فينبغي أن يتورع المؤرخ عن القسوة في الحكم على تلك الإصلاحات التي قام بها عمر بن عبد العزيز . ومن العدل أن أطالب الذين يشايعون الحجاج بن يوسف ضد ذلك الخليفة المصلح بالإجابة عن هذين السؤالين : (١) ألم يكن خيراً للأمويين أنفسهم مساواتهم جميع العناصر في الحقوق ، تلك السياسية التي لا يبعد أن يكون عدم الأخذ بها هو السبب الأول في سقوط دولتهم ؟ (٢) وإذا لم تكن تلك المساواة في مصلحة الخلفاء من بني أمية ، ألم تكن من مصلحة الإسلام نفسه ؟ ليس ثمة أحد كائننا من كان يستطيع أن يشك في صحة هذه الملاحظة الثانية . فقد انتهى النظام العسكري الذي وضعه عمر بن الخطاب قبل أن يرتقى عمر بن عبد العزيز عرش الخلافة . وكان عمر بن عبد العزيز أول من فطن من خلفاء بني أمية إلى أن وقت التفرغ للإصلاحات الداخلية قد آن ، كما اقتنع بذلك عمر بن الخطاب من قبل . ومن ثم كان يحول جهده دون القيام بفتوحات جديدة^(١) . ولم تكن غلطة عمر بن عبد العزيز سوى رجعيته ومحافظته الدينية وتمسكه الشديد بالنظام الذي سنّه عمر بن الخطاب الذي كان يقتفى أثره لما كان يكنه له في أعماق

(١) انظر ص ٢٢ (ص ٥١ من الترجمة) .

نفسه من الاحترام والاكبار والذى لم يكن إلا صورة صادقة منه رغم ما كانت تتطلبه الحالة من العدول عن ذلك النظام عدولا تاماً . فقد كان لزاماً أن تجد الحكومة أعمالاً جديدة ، غير الغزو والفتح ، المرابطين فى الولايات الإسلامية من جند العرب حتى لا يكونوا عالة على بيت المال ، ولا غرو فقد كانت السياسة التى سار عليها عمر بن عبد العزيز تحول دون ملكية الجند للأرض ، بينما كانت الحالة تقضى بمنحهم إياها لاستغلالها واستثمارها ، كما كانت تسخو فى منح الأعطيات حتى للموالى من المسلمين فى الوقت الذى كانت تتطلب فيه مالية البلاد إلغاء تلك الاعطيات حتى ما كان يمنح منها للعرب أنفسهم . وهكذا حال ذلك التصرف الذى أنضب موارد الدولة وجر الخراب على بيت المال دون نجاح تلك السياسة التى كانت ترمى فى ذاتها إلى الإصلاح ، وإعفاء الجدد فى الإسلام من الجزية . ومن ثم نرى أن سياسة عمر بن عبد العزيز كانت أبعد أثراً فى وهن العرش الأموى من سياسة الحجاج بن يوسف وسوء إدارته ؛ فإن الآمال التى أثبتت فى النفوس لم تنطفىء جذوتها حتى أصبحت الشعوب العرب من غير العرب تنتظر خلاصها من حكم بنى أمية ، بعد أن غدت تلك السياسة الخراجية الظالمة فى نظرهم عبئاً ثقيلاً لا قبل لهم باحتماله ، تلك السياسة التى فاجأهم بها الأمويون ولا سيما فى خلافة هشام بن عبد الملك^(١) على أثر فشل ذلك الإصلاح الذى قام به عمر بن عبد العزيز .

— ٧ —

ثورة الحارث بن سريج

يهيئنا الآن أن نتتبع تلك الحركة الإصلاحية فى خراسان أكثر من غيرها فى الولايات الإسلامية ، تلك الحركة التى دفع الأهلىن إلى القيام بها

(١) أنظر يعقوبى ج ٢ ص ٣٧٦ لاستقصاء ما كتبه عن العراق .

ظلم بنى أمية وسوء إدارتهم . فمن هذه البلاد خرجت تلك الصيحة التي قلبت دولتهم . ونستطيع أن نبين مما رواه لنا المؤرخون مدى انتشار ذلك الحزب المتذمر في خراسان أكثر منه في غيرها من الولايات الإسلامية . وقد بينا قبل (ص ٢٣ وص ٥٢ — ٥٣ من الترجمة) أن خضوع الشَّعْد لذلك النظام الجديد للضرائب لم يتم دون أن يقوم في وجهه ويحول دون تطبيقه بعض الرجال من ذوى النفوذ والشأن . وكان على رأس تلك الحركة زعيمان من الموالى هما أبو الصَّيْدَاء وثابت قطنه^(١) . أما ثابت فكان ذائع الصيت محبوباً من الشعب في خراسان ، كما كان شاعراً مُفْلِقاً ، حفظ لنا كتاب الأغاني بعض قصائده (ج ١٣ ص ٤٩ — ٦٤) . وقد انتصر انتصاراً مؤزراً في الحروب التي دارت رحاها بين المسلمين والأتراك في بلاد ما وراء النهر^(٢) ، وأبلى بلاءً حسناً في جهاد الكفار حتى لقي حتفه في ساحة القتال . وأما قطنه فكان من خلصاء يزيد بن المهلب اليميني المشهور . وقد أسند إليه ذلك الوالى بعض المناصب الهامة^(٣) ؛ ولهذا كان لا يتحرج العرب عن اعتباره مساوياً لهم في السؤدد والشرف ، ويهمننا إلى حد بعيد جداً أن نعرف الشيء الكثير عن أخلاق هذا الرجل وميزاته . وقد أمر والى سمرقند بحبسه هو وأبى الصَّيْدَاء ليتفرغ للشَّعْد ويتمكن من قمع ثورتهم . ويظهر أن سياسة ذلك الوالى قد أثمرت الثمرة المرجوة ونجحت النجاح المطلوب . على أن هناك أمراً آخر هو أهم من هذا ؛ فقد شغل غزو الأتراك بلاد ما وراء النهر بال الحكومة زمناً ، ووحد للمرة الثانية بين أولئك المتذمرين وبين الحكومة لدفع ذلك الخطر المشترك ،

(١) الطبرى ٢ : ١٥٠٩ .

(٢) المصدر نفسه ٢ : ١٥١٤ وما يليها .

(٣) الأغاني ج ١٣ ص ٤٩ .

ذلك الغزو الذى كان نتيجة لسوء المعاملة التى لقيها أهل هذه البلاد^(١) من ناحية العرب .

وقد اشتهر فى تلك الحروب رجل من تميم يدعى الحارث بن سريج بن ورد ابن سفيان ابن مجاشي^(٢) ، أخذ على عاتقه إتمام تلك الحركة التى قام بها ثابت وأبو الصيذاء ومواصلة الثورة على بنى أمية . وكان الحارث مسلماً ورعاً زاهداً مصلحاً ، طالما حارب الأتراك فى صفوف المسلمين ، ثم المسلمين فى صفوف الأتراك ، أو بالأحرى حارب الحكومة احتجاجاً على ما كانت تثقل به كاهل الأهلى من الضرائب . وكان يزعم أنه المهدي الذى بعثه الله لتخليص المضطهدين والأخذ بناصر المظلومين . لذلك أشعل نار الثورة على بنى أمية لتحرير أولئك المستعبدين ورفع ذلك النير عنهم . هذا هو الحارث ابن سريج - ذلك الرجل الغريب الأطوار بلاريب - الذى كشفت أعماله عن كثير من خبايا تلك الحركة الخراسانية ، وحلت ما كان فيها من أحاج وألغاز . وإلى القارئ شيئاً عن سيرة ذلك المصلح^(٣) . اشترك الحارث اشتراكاً جديداً فى محاربة الأتراك فى عهد أشرس كما تقدم ، ثم غير خطته بعد ست سنوات تعاقب فيها على ولاية خراسان بعد أشرس الجنيد ، ثم عاصم بن عبد الله . ومن ثم نراه يخرج على بنى أمية ويسير نحو حاضرة الخلافة من تلك البلدة الصغيرة « النخذ » × .

(١) الطبرى ٢ : ١٥١٠ . قد ارتد السغد وأهل بخارى عن الإسلام وطلبوا العون من الترك .

(٢) الطبرى ٢ : ١٥١٣ . لم يذكر الطبرى إلا هذين الإسمين : حارث بن سريج . وقد ورد هذا الإسم فى مخطوط رقم ٣٣٢ (Warner) ص ٣٩٠ .

(٣) وهذه الحوادث التى عرضنا لبحثها قد وردت بكتابتى Opkomst der Abbasiden ص ٥١ وما يليها .

× النخذ أو أندخوذ (الطبرى ٢ : ١٥٦٦) لانخوذ كما ذكر المؤلف . المترجمان .

وأما أنصاره فكانوا من العرب (وينتمون إلى حزبين متنافرين من مضر واليمن) ثم من الفرس (الدهاقين) . وكان كل ما يرمى إليه الحارث هو الرجوع إلى القرآن والسنة ، وانتخاب حكومة ترضى عنها الأغلبية^(١) . وسرعان ما استولى الحارث على المدن الواقعة على شواطئ نهر سيحون (Oxus) . بيد أن الحاضرة استطاعت أن تصد غاراته . وقد قضت تولية أسد بن عبد الله القسرى إمرة هذه البلاد بعد عاصم ووصوله إليها - في جند لم تنهك قواها الحرب - على تلك المفاوضات التي أوشكت أن تنتهى بإبرام معاهدة بين عاصم وبين الحارث الذى اضطر أمام هؤلاء الجند إلى التخلي عما فتحه من البلاد والانسحاب إلى طخارستان ومنها إلى بلاد ما وراء النهر (١١٨ هـ) . ومنذ ذلك الحين انضم الحارث إلى الأتراك ضد العرب . وفي سنة ١٢٠ هـ وتلى هشام (ابن عبد الملك) نصر بن سيار بلاد خراسان . وكان نصر أكثر الموالين للعرش الأموى كفاءة ؛ وبذلك استطاع أن يوطد دعائم السلم في بلاد ما وراء النهر (١٢٣ هـ) ، كما تمكن في الوقت نفسه من حمل الخليفة على العفو عن الحارث سُرَيْج (١٢٦ هـ) . بيد أن الحرب التي اشتعلت نارها بين القبائل العربية في سورية قد اجتاحت الأقاليم والولايات الإسلامية بعد موت الوليد الثانى ، وبخاصة في مرو حاضرة خراسان حيث خرجت اليمانية على نصر .

(١) وأرى أنه يجب أن تكمل هذه العبارة بتقدير هذه الكلمة « من آل النفي » . وعلى ذلك تكون العبارة : وانتخاب حكومة من آل النبي ترضى عنها الأغلبية . أنظر ما كتبه كترمير في مجلة الجمعية الآسيوية الفرنسية ، أكتوبر ١٨٣٥ ص ٣٢٧ (Quatremère, Journal Asiatique, Oct. 1835, p. 327) وقد اخترت التفسير الذى ذكرته بعد مقارنته بعبارة « من رضى الناس (المسلمون) بتوليته » وعبارة « من يرضون لأنفسهم على مثل الحال التى هم فيها » . الطبرى ٢ : ٤٩٩ (١٥) ٩٨٤ (١٦) ٤٨٨ .

وبذلك استطاع الحارث الذى ظل على تمرده وسخطه على الأمويين أن يطرد نصراً من حاضرة خراسان بمعونة هؤلاء اليمانية . بيد أن الشقاق لم يلبث أن عكّر صفو ذلك الحلف بين هذين الفريقين بسبب ما كان بينهما من المصالح المتعارضة تمام التعارض . فأعلن اليمانيون الحرب على الحارث ومن معه ، تلك الحرب التى لم تضع أوزارها بين الفريقين إلا بعد موته سنة ١٢٨ هـ^(١) .

ومن اليسير أن نستخلص مما تقدم أن هذه الثورة لم تكن إلا تنمة لتلك الحركة . ولا غرو فقد لعب كلٌّ من بشر بن جُرْمُز وقاسم الشيباني من أنصار الحارث دوراً هاماً في تلك الفتنة التى أثارها الشُّغْد^(٢) ، كما كان السواد الأعظم ممن اشتركوا في تلك الثورات من الدهاقين من صفار الملاك الذين كان يضطهدهم أمراء الولايات وعمال الخراج (انظر ص ٢٠ من الكتاب ، ص ٤٨ من الترجمة) . يضاف إلى ذلك هذا الفريق من أتباع الحارث من سكان القرى الذين أتوا مدينة ترمذ ، ووقفوا على أبوابها يئنون من ظلم بنى مروان (من الأمويين)^(٣) وعسفهم . وكانت أولى مطالبهم اختيار عمال اشتهروا بالفة والعدل . ويظهر لنا مما رواه الطبرى (٢ : ١٩١٨ وما يليها) أن الحكومة قد اضطرت أخيراً إلى النزول على إرادة هؤلاء وقبول مطالبهم . فكان يُعين مندوبان ، أحدهما من قبل الحكومة والآخر من قبل الشعب ، يوكل إليهما اختيار العمال وحشمهم

(١) وقد ورد اسم الحارث في المؤلفات الصينية تحت اسم Hu—lo—Chan . أى حارث المروى (نسبة إلى مرو وحاضرة خراسان) . انظر كتاب Bretschneider ص ٩ فيما يتعلق بما كتبه الصينيون عن العرب والولايات العربية . وأنا مدين بما نقلته هنا للمسيو دى غوية .

(٢) الطبرى ٢ : ١٨٦٨ . راجع أيضاً ٢ : ١٥٠٨ .

(٣) الطبرى ٢ : ١٥٨٣ .

على معاملة دافعى الضرائب باللين والرفق . ويظهر أن تلك الإمتيازات لم يكن لها من أثر فى نفوس الأهلىن ؛ فإن التذمر ما فتىء يملأ قلوبهم حتى إن كثيراً من حاشية الوالى نفسه قد اتهموا بمالأة هؤلاء المتذمرىن^(١) .

ومما يكشف لنا عن ميول الحارث وميول أنصاره تسميتهم بهذا الاسم الذى طالما عرفوا به وهو المرجئة^(٢) .

وتخالف المرجئة الخوارج فى تكفيرهم الخلفاء الثلاثة ، عثمان وعلياً ومعاوية وأنصارهم ، ذاهبين إلى القول بأن كل من آمن بوحداية الله لا يمكن الحكم عليه بالكفر وأن ذلك موكول لله وحده يوم القيامة مهما كانت الذنوب التى اقترفها والمبادئ السياسية التى يدين بها . فهم يرجئون (القرآن الكريم ٩ : ١٠٦) الحكم على إخوانهم فى الدين إلى الله وحده^(٣) (الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) .

وكانت مسألة المسائل فى ذلك الحين هى موقف الجدد فى الإسلام . وقد لعبت المرجئة دوراً هاماً فى التوفيق بين المصالح المتعارضة بين العرب وغيرهم من المسلمين ، حين تطور النزاع بين الأحزاب والطوائف وحلت تلك المشكلة الإجتماعية الجديدة محل الخلاف على الإمامة . وقد ذهبت المرجئة إلى القول بأنه لا يحل للحكومة أن تعامل هؤلاء كما لو كانوا لا يزالون على كفرهم بعد أن أصبحوا مسلمين لهم مال المسلمين وعليهم ما عليهم . وعلى هذا كانوا لا يتخرجون

(١) الطبرى ٢ : ١٩٢٠ .

(٢) المصدر نفسه ٢ : ١٥٧٥ .

(٣) انظر مقالتي فى « الارضاء » فى المجلة الألمانية مجلد ٤٠ ص ١٦١ وما يليها .

عن قتال أبة حكومة تقر مثل تلك المظالم^(١) . ومن ثم لاندesh بعد أن وقفنا على حوادث الشدة والعسف في بلاد ما وراء النهر أن نرى هؤلاء يحرمون سفك الدماء البريئة ويجهرون بأن جميع المسلمين إخوة في الدين^(٢) . وصفوة القول أن كل ما كان ينشده هؤلاء إنما هو العودة إلى مبدأ المساواة بين الشعوب الذي أقره الإسلام وأنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى .

كان ذلك بلا ريب شعور السواد الأعظم من أتباع الحارث . على أن بعضهم قد ذهب إلى أبعد من هذا ، فضمنوا عقيدة التوحيد معنى أخلاقياً ودينياً عميقاً ، تلك العقيدة التي يجب أن تظل — حسب زعمهم — إعترافاً قلبياً وعقيدة باطنية . وقد عُرِى إلى جهنم بن صفوان أحد رؤوس المرجئة وكاتم السر للحارث بن سريج^(٣) هذه الكلمات : « إيا الإيمان عقد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية^(٤) » (في دار الإسلام وعبد الصايب وأعلن التثليث في دار الإسلام ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عز وجل ولي الله عز وجل ومن أهل الجنة) . وعلى ذلك فقد ذهب جهنم إلى القول بأن الإسلام الصحيح والإيمان الحق شيء واحد . وكان من الطبعي أن تدفع مثل هذه العقيدة أصحابها إلى احتقار الفرائض العملية

(١) الأغاني ج ١٣ ص ٥٣ ، ٥٥ ، القرظى خطط ج ٢ ص ٣٤٩ (أنظر جهنم بن صفوان) . ورى في العراق بعض المرجئة يحاربون في صفوف يزيد بن المهلب الذي ثار على بنى أمية . الطبرى ٢ : ١٣٤٩ .

(٢) الطبرى ٢ : ١٩٣١ وما يليها ، الأغاني ج ١٣ ص ٥٢ (١٩) .

(٣) الطبرى ٢ : ١٩١٨ ما يليها ، ١٩٢٤ .

(٤) ابن حزم : مخطوط ليدن ج ٢ ورقة ١ (طبعة القاهرة سنة ١٣٢٠ هـ ج ٤

للإسلام^(١)، ووضعهم واجبات المرء نحو من يحيط به من الناس فوق أداء الفروض التي جاء بها القرآن على الوجه الأكمل . ومن هذه الناحية كان مذهب الإرجاء في خراسان أشبه شيء بآثر عكسي أخلاق لذلك الإسلام الشكلى دين الحكومة العربية في ذلك الحين — تلك الحكومة التي أصرت على عدم المساواة بين جميع رعاياها في الدين باتباعها ذلك النظام الجائر لجمع الضرائب وجباية المكوس × × .

وأما ما يبتكره البعض على الحارث من مخالفته الأتراك ضد المسلمين فإنى أميل إلى القول بأن ذلك كان راجعاً إلى عوامل أخرى دون حنقه على العرب وسخطه عليهم لهزيمتهم إياه . وأما الجدد في الإسلام من إقليمى بخارى وسمرقند، وإن كانوا قد انصرفوا عن العرب (الأمويين) وخرجوا عليهم ، فليس معنى هذا أنهم قد ارتدوا عن الإسلام . يؤيد ذلك ما ذكره المؤرخون عن وجود قاض مسلم بين أولئك الذين عادوا من منقاهم مع الحارث^(٢)، مما يدلنا على أنه قد انضم إلى الأتراك الكثيرون من المسلمين غير الحارث ، وهم من غير شك من أولئك المحدثين في الإسلام من أهالى بلاد ماوراء النهر وكانوا يرمون بمساعدة الحارث بن سريج إلى استرداد حقوقهم السياسية ومساواتهم بالمسلمين من العرب .

(١) Zeitschrift d. D. M. G. II. p: 170

× × لئن صح هذا فإن الدولة الأموية باتباعها هذا النظام قد بعدت البعد كله عما دعا إليه الإسلام من المساواة بين جميع المسلمين في جميع الحقوق السياسية والمدنية ، لا فرق في ذلك بين عربى وعجمى . يؤيد ذلك قوله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) سورة الحجرات آية ١٠ ، وقوله تعالى (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) سورة الحجرات آية ١٣ — الترجمان .

(٢) الطبرى ٢ : ١٨٦٨ .

ويحمل بنا قبل أن نمضى فى هذا البحث أن نلقى نظرة ولو سطحية على ما أسلفنا من البحوث حتى لا تنفصم عرى مالدينا من البراهين والحجج بين تلك الحوادث المعقدة التى أتينا على ذكرها .

لقد صورنا للقارىء — اعتماداً على ما وقفنا عليه من المعلومات — الحالة السياسية والاجتماعية لتلك الشعوب المحكومة فى عهد الاحتلال العربى وما تلا ذلك من الاضطراب ، كما رأينا كيف أصبح الأمويون بتحمسهم فى الدفاع عن ذلك النظام من أشد الناس خطراً على الدعوة الإسلامية .

وقد استطعنا بفضل ما هدانا إليه بحثنا أن نقف على أغراض تلك الحركة العكسية التى قامت فى الولايات الشرقية للدولة الإسلامية من جراء اضطهاد بنى أمية لأولئك الموالى ، تلك الحركة التى لم تلبث أن تطورت إلى حركة دينية ترمى إلى إسلام أوسع نطاقاً وأكثر عالمية وأقل حرجاً مما كان يفهمه الأمويون تدل على مدى عالميته تلك العبارة : « إن الإسلام لا يعرف للفاصلة بين الشعوب » .

ولم نحمد تلك الحركة بموت الحارث بن سريح (٥١٢٨ هـ) . فانه لم يكد يمضى على وفاته عام واحد حتى أشعل أبو مسلم نار الثورة على بنى أمية ، تلك الثورة التى قلبت عرشهم كما انتهت بزوال النفوذ العربى فى القسم الشرقى للدولة العربية .

ومن هنا نرى أن نجاح أبى مسلم لم يكن ابن ساعته : وإنما يرجع إلى دخول عنصر جديد من المطامع القومية فى نفوس المسلمين من غير العرب ؛ ذلك العنصر هو الشيعة .

ومن ثم لم يبق أمامنا إلا أن نعى بدراسة نمو هذه الأفكار الشيعية وانتشارها .

البَابُ الثَّانِي

الشيعة

- ١ -

نشأة الفرق الإسلامية

لا بد للمؤرخ الذي يريد أن يقف على مدى انتشار المذاهب الإسلامية وتطورها أن يحصر بحثه في عصر عربي خاص .

ومما هو جدير بالملاحظة أن هذه الطوائف التي نشأت بين العرب في البلاد التي فتحوها إنما كانت ترمى بأذى ذى بدء إلى غرض سياسى محض رغم ظهورها بهذا المظهر الدينى :

كانت الإمامة (وهى القيادة العليا للمسلمين) أولى المسائل التي فرقت بين المسلمين ومزقتهم شيعاً وأحزاباً . أما حزب بنى أمية (ومقره بلاد الشام) الذى كان له النفوذ فى ذلك الحين فكان يدافع عن عرش الأمويين ، إذ كان يرى أن أسراء هذا البيت أحق الناس بالخلافة بعد الخلفاء الراشدين (أبى بكر وعمر وعثمان) ، وأنهم أصحاب الحق فى الأخذ بثأر عثمان والمطالبة بدمه لما كانت تربطهم به من أواصر القرابة . وكان يناوئ هذا الحزب :

١ - حزب أهل المدينة وهم أنصار النبى ، الذين كانوا لارتباطهم باليمانيين من العرب يعتبرون أن وصول بنى أمية إلى الحكم إنما هو انتصار لأعدائهم القدامى من مشركى مكة .

٢ - حزب الشيعة وهم أنصار أهل البيت المتحمسون للدفاع عن حقوقهم فى الخلافة ، ولا سيما حق على .

٣ — حزب الخوارج وهم الجمهوريون الذين كانوا يقولون باختيار الخلفاء من بين الأكفاء أتى كانت الطبقة التي ينتمون إليها ، كما كانوا يرون أيضاً عزل الخليفة منذ اللحظة التي يفقد فيها ثقة الأغلبية .

وكان الخوارج أشد هذه الأحزاب الأربعة تعصباً . وأما الأحزاب الأخرى ، فإنه على الرغم من أن الحرب كانت لاتكاد تضع أوزارها بينهم ، فقد كان يجمعها مبدأ مشترك هو انتخاب الخليفة من قبيلة قريش . وهم وإن كانوا يعتبرون خصومهم كفاراً ، فإن ذلك لم يمنعهم من أن يعيشوا معهم في وئام تام مادام في استطاعة الحكومة أن تغلب وتبسط نفوذها بالجند أو بالمال ^(١) . وأما الخوارج فكانوا على العكس من ذلك لا يذعنون لهذا النوع من نظم الحكم ، كما كانوا يرمون أعداءهم السياسيين بالكفر ويعاملونهم معاملة الكفار . وكان شعارهم « لاحكم إلا الله » ، تلك العبارة التي لم يكن يقصد بها إلا حكم السيف .

لا يضع المؤرخون الذين تأثروا فيما كتبوه عن بنى أمية بكرهه العباسيين لهم ولأشياعهم حيث وضعناهم عند كلامنا عنهم فيما تقدم . ولا غرو فقد كان هؤلاء يصورون جهاد الأحزاب لبنى أمية — حين يعرضون للكلام عنه في كتبهم — بأنه جهاد ديني لا يكاد يختلف فيه موقف أنصار بنى أمية عن الموقف الذي كان يقفه الكفار ضد النبي حين قام بالدعوة إلى الإسلام . وكانوا يستندون في ذلك إلى سوء سيرة يزيد الأول ويزيد الثاني والوليد الثاني من الخلفاء الأمويين ، ولا سيما ما كان من هتك حرمة المدينة المنورة في عهد

(١) الطبرى ٢ : ٣٤٠ (س ١٩ وما يليه) ، ٨١٠ . كانوا يقولون في الكوفة : « من أعطانا الدراهم قاتلنا معه » . يدل على ذلك هذا البيت الهجائي :
ولا في سبيل الله لاقى حماته أبوكم ولكن في سبيل الدراهم

يزيد الأول وإباحة الحرم المكي بعد استيلاء عبد الملك على مكة . أضيف إلى ذلك اتخاذهم المقاصير لتعجب الخليفة عن الناس ^(١) وإلقاءهم خطبة الجمعة قبل الصلاة حتى لا يتفرق الناس دون سماعها ، مخالفين في ذلك سنة الرسول وسنة خلفائه أبي بكر وعمر وعثمان ^(٢) .

على أنه يتبين لنا مما كتبه المعاصرون لبنى أمية خطأ أولئك المؤرخين من أعداء الأمويين وتشويههم للحقائق . ولاغرو فقد كان السواد الأعظم من العرب يرى في حزب بنى أمية حزب الدين والنظام ^(٣) ، كما أن عدداً كبيراً من المسلمين كان لا يرى في الاستيلاء على المدينتين المقدستين إلّا ضرورة دعا إليها موقف أهل الحجاز العدائي دون أن يرى في ذلك أى انتهاك لحرمتيهما ^(٤) .

كان أنصار بنى أمية يرون أنفسهم فحسب المسلمين حقاً . ومن ثم كانوا يكفرون خصومهم ويعاملونهم بنفس تلك القسوة التي كانوا يعاملون بها الكفار ^(٥) . فكان معاوية في نظر الحزب الأموي خليفة الله ، كما كان ابنه يزيد إمام المسلمين ، وعبد الملك « إمام الاسلام » و « أمين الله » و « جنة الدين » ، وهكذا ^(٦) . وأما سبهم على بن أبي طالب جهاراً ،

(١) ابن رسته (طبعة دى غوية) ص ١٩٢ (٥) ؛ القرظى : خطط ج ١

ص ٦٠ - ٣٤ . V. Viet, L' Art arabe, p. 34 .

(٢) Goldziher, Islamische Studien, P. 41—19

(٣) انظر ما نقلناه بذيّل الكتاب رقم ٢ .

(٤) انظر الأبيات ١٧ ، ٢٠ وما يليها من قصيدة أبى صخر الهذلى . ديوان هذيل

طبعة Wellhausen ص ٩٢ .

(٥) الطبرى ٢ : ٤١٤ (س ١١ وما يليه) ، ٤١٥ ، ٤٢٥ (س ٥ وما يليه)

وبوجه خاص ص ٤٦٩ ، ٤٧١ (س ١٥ وما يليه) .

(٦) وقد وردت هذه النعوت التي أتينا على ذكرها في البلاذرى (طبعة

Ahlwardt ص ١٢ ، ٣٠٣ ؛ العقد الفريد ج ١ ص ١٢٢ (س ١٦ وما يليه) .

فلا نكاره حق معاوية في الخلافة . وخلاصة القول إن عليا وإن كان يكنه
الكثيرون من أنصاره « أبا تراب » فإن البيت الأموي لم يعدم أنصاراً
يدافعون عنه ويتحمسون له وهم العثمانية ^(١) ثم المروانية ^(٢) .

وقد وضعت الحرب أوزارها بين الطوائف الإسلامية في خلافة عبد الملك
ابن مروان (٦٥ — ٨٦ هـ) الذي قضى على ثورة الخوارج في موقعة حرواء
(٦٧ هـ) بعد أن هزمهم هزيمة منكرة (٦٥ هـ) بالقرب من عين الوردية ،
كما انتهت أيضاً تلك الثورة التي أثارها أهل الحجاز باستيلاء الأمويين على مكة
وقتل عبد الله بن الزبير آخر من كانوا يمثلون حزب الأنصار . وأما ثورة
الخوارج فقد ظلت حتى سنة ٧٧ هـ حيث خمدت جذوتها على أثر وفاة قطري
ابن الفجاءة ببلاد طبرستان .

الطبرى ٢ : ٧٨ ، ٧٤٣ ، ٨١٠ (س ٦٠٥) ، ١١٧٦ (س ٩) . ديوان
الفرزدق (طبعة بوشير) ص ٢١٩ والنص العربى ص ١١ وما يليها .

(١) Goldzier p. 381 l.l. Coldziher. الطبرى ٢ : ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٥٠ ؛
Goldzier p. 118 l.l. suiv. وقد قصر جولدتسهر العثمانية على المتطرفين
من أشياع بنى أمية ، على حين كان يطلق هذا اللفظ أيضاً على بعض الأحزاب المحايدة .
انظر ابن الفقيه (طبعة دى غوية) ص ٣١٥ . « ما أهل البصرة فعثمانية يدينون
بالكف يقولون كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل » . وهذا جلى ؛
فقد كان هناك كثيرون كانوا لا يشايعون بنى أمية في سورية . ومع ذلك فقد كانوا
لا يرضون عن قتل عثمان لا لشيء سوى أنه مع أبى بكر وعمر ، كما كان أحد الصحابة
الذين اشتهروا بالإخلاص لمحمد (صلى الله عليه وسلم) . ومن بين هؤلاء العثمانية
البصرية (الذين قاتلوا في صفوف طلحة والزبير) ، كما كانوا أيضاً من الأنصار
من أهل المدينة - الأغاني ج ١٥ ص ٢٧ (س ٣) .

(٢) ولم تظهر هذه التسمية إلا عند ماولى مروان الخلافة بدمشق - الطبرى
٢ : ٨٠٤ (س ٣ ، البلاذرى (طبعة Ahlwardt ص ٢٢١ .

أما عصر الوليد الأول وسليمان بن عبد الملك فكان عصر انتقال وفتح لا يكاد يمدنا بشيء عن تلك الأحزاب .

على أن الأمويين لم يستطيعوا القضاء على تلك الأحزاب واستئصال شأقتها (اللهم إلا إذا استثنينا حزب الأنصار) . فالخوارج والشيعة الذين مزق جند بني أمية أوصالهم وأفقدوهم خيرة رجالهم ، وإن لم يبق لهم من القوة ما يمكنهم من مقاومة الأمويين وإعلان الحرب عليهم جهاراً ، فإن مبادئهم مافئت أن انتشرت ، وذلك لملاءمتها لتلك الحالات الاجتماعية الجديدة التي نشأت في الدولة العربية في الشرق . وهكذا تطور هذا النزاع السياسي للأحزاب العربية إلى جهاد اجتماعي ديني .

لم يصغ الأمويون — كما رأينا — إلى أية حركة من حركات الإصلاح . وأما محاولة عمر بن عبدالعزيز فإنها لم تزد إلا حرجاً لما كانت تتأثر به من تحفظ ورجعية لا تتفق مع حالة الدولة الاقتصادية . ولا غرو فقد أنضبت بيت المال وألجأت الحكومة إلى الرجوع إلى نظام الضرائب الذي وضعه الحجاج ابن يوسف ، وذلك بتهيئة الفرص لاعتناق الإسلام ورفع الجزية عن أسلم . ومن ذلك الحين انفصلت الدعوة إلى الإسلام والعمل على نشره عن سياسة الأمويين الاقتصادية على أثر ما ظهر بينهما من التعارض . وإن في الثورة التي قام بها أنصار الحارث لأقوى دليل على صحة هذا القول . فقد خاض المسامون غمار هذه الحروب التي استعرت نارها بين الطوائف وضموا شكواهم إلى شكوى الأعداء القدامى للبيت الأموي . وهكذا ظل النزاع على الإمامة قائماً ، ولم يزد دعاة أهل الحق والعدل إلا احتداماً وتأججاً .

ففي بلاد العراق والجزيرة نصَّب الخوارج أنفسهم منذ خلافة عمر بن عبدالعزيز حماة للضعفاء والمضطهدين وحرباً على المستبدين والطاغين ^(١) .

(١) الطبري ٢ : ١٦٣٤ et ibid paenult ٤١ suiv. Fragmenta, p. 41

وفى إفريقية مد هؤلاء الخوارج البربر المتذمرين من حكم الأمويين بالأسلحة التى استعانوا بها على قتال ولائهم فى تلك البلاد ^(١) : كذلك ثار ببلاد اليمن عبد الله بن يحيى الخارجى الملقب بطالب الحق احتجاجا على ذلك الاستبداد الظاهر وتلك المعاملة القاسية التى كان يعامل بها ولاية بنى أمية أهل تلك البلاد ^(٢) . وكان الخوارج فى ذلك الوقت غير الخوارج الذين حاربهم الأمويون وانتصروا عليهم من قبل ؛ فقد كانوا يحاربونهم بسيف الدين ويقارعونهم بحجج الإسلام . وقد وضع الخوارج تلك القاعدة ، وهى أن مرتكب الكبيرة كافر — حين تطور النزاع بينه وبين أعدائهم من الأمويين وانحصر بين الرضى أو عدم الرضى عن كل حكومة جائرة أيا كانت تلك الحكومة ، بعد أن كان نزاعا شخصيا محضاً ينحصر فى شرعية خلافة فلان أو فلان × × وهكذا ظلت تلك القاعدة القديمة التى وضعها الخوارج — وهى تكفير المؤمن العاصى — رغم تغير موضوعها واختلافه باختلاف الأحوال التى كانوا يطبقونها عليها .

وبدلنا حال هؤلاء الخوارج — وكذلك حال المرجئة — على مدى تأثير ذلك التطور الجديد فى نمو حركة هذه الطوائف وانتشارها .

وكان من أثر ذلك أن عرضت للبيت الأموى مشكلة لم يكن يحلم بها أصلا . فقد بدأ حارب الأمويون أعداءهم السياسيين بأسلحة تكاد تكون

(١) الطبرى ١ : ٢٨١٥ . وقد ترجمت هذه العبارة فى الملحق الثالث .

(٢) الأغاني ج ٢٠ ص ٧٩ (س ١٥ ، ٨ ، ٧) . أنظر الملحق الرابع .

× × كان موضوع هذه القاعدة موضوعا شخصيا معينا لا يكاد يعدو شخص على ومعاوية ، ثم تطور من الحكم على الأشخاص إلى الحكم على المبادئ . ومن ثم صار الخوارج أعداء أية حكومة جائرة ، أموية كانت أم علوية . والسر فى هذا التطور دخول غير العرب فى هذه الطائفة التى غدت منذ ذلك الحين لا ترى مانعا من إسناد الخلافة إلى الموالى — المترجمان .

متكافئة . وها نحن نرى هؤلاء المناوئين لعرش بنى أمية يظهر من جديد بقوة لا قبل للأمويين بها في نفس اللحظة التي كان هؤلاء يعتقدون أنهم قد قضوا عليهم القضاء الأخير . ولا غرو فقد كانت تعوز بنى أمية القوة المعنوية الضرورية لقمع تلك الثورة النفسية . وكان جواب الحكومة الوحيد على شكايات الخوارج ومطالبهم الجديدة هو إعلان الحرب عليهم جهاراً .

وقد انهزم أولئك الثائرون الغلاة في بلاد العرب والعراق وبلاد الجزيرة بفضل ما أظهره مروان الثاني آخر خلفاء بنى أمية من الحزم والجد في مناجزتهم . على أن الأمويين ، وإن كانوا قد انتصروا على هؤلاء الخوارج في تلك المرة أيضاً ، قد فقدوا آخر جندي من جنودهم .

ومن ذلك الحين نرى حزب الشيعة يعاود الظهور بقوة لم يستطع الأمويون مواجهتها .

وقد تفرعت الشيعة من ذلك الحزب السياسى الذى قضى عليه الأمويون بحروراء ، ثم انتشرت وقامت بحركة سياسية اجتماعية دينية واسعة النطاق ضمت إليها جميع العناصر الإسلامية المعادية للعرب وللأمويين جميعاً . وهكذا كانت نشأة تلك الحركة ، وهو ما سنعرض له فيما لى .

— ٢ —

عقائد الشيعة

حارب الشيعة من عرب الكوفة الأمويين أول الأمر للدفاع عن حق على فى الخلافة ثم للأخذ بثأر ابنه الحسين الذى قتل بين ظهرانىهم دون أن يجروا أحد منهم على إغاثة .

ولم يكن إخلاص العرب من أهل الكوفة لآل البيت بريئاً من جهات كثيرة . فقد أنساهم ما كانت تفعمهم به الحكومة الأموية التى كانوا يدينون لها بالخضوع والطاعة من الأعطيات والأرزاق ما قطعوه على أنفسهم من

العهود والمواثيق لآل على كلما دعاهم هؤلاء لمناصرتهم ، كما تركوا المختار منذ اللحظة التي منح فيها الموالى نفس الحقوق التي كانت للعرب من أهل الكوفة (أنظر ص ١٦ من الكتاب وص ٤٠ — ٤١ من الترجمة) . ويفسر لنا حسن لقاء الكوفيين لدعاة البيت العلوى تقلب أهل الحضر من هذه البلاد وما جيلوا عليه من الشقاق والنفاق ، ثم خوفهم من قتال الخوارج الذين كانوا يذبجونهم كما تذبح الشاة ، وكراهيتهم أن يروا سوادهم في أيدي الأمويين الذين كانوا يطلقون عليه بستان قریش .

على أنه قد ظهرت منذ أيام المختار أفكار جديدة كان لها أثر كبير في نفوس الكثيرين من الشيعة .

ويظهر أن هذه الأفكار التي نشأت في مبدأ أمرها في البيئات الغير العربية إنما كانت بقية من عبادة الملوك ، تلك العبادة التي كانت مشهورة عند قدماء الفرس بعد أن خالطها بعض العقائد الأشراقية X X ، والتي لا يبعد أن

X X الأشراقية أو اللاءدية وهي مذهب من مذاهب الفلسفة الدينية ، نشأ في بحر الدين المسيحي . ويزعم أتباعه أن لهم معرفة تامة بالطبيعة وبصفات الله ، كما يعتقدون أن طريق النجاة إنما هو العلم لا الإيمان .

وهذا المذهب قريب من الأفلاطونية والمانوية . أما أنصاره فهم إما أفلاطونيون حاولوا التوفيق بين الأفلاطونية وطقوس المسيحية ، وإما مسيحيون أرادوا الجمع بين المسيحية وبين العقائد التي كانت سائدة في الشرق القديم .

وقد ساعدت مناواة رجال الكنيسة لهذه الطائفة واضطهادهم لأتباعها على ظهورها وانتشارها . ويبلغ عدد فرقها سبعين فرقة ترجع جميعها إلى خمس فرق أساسية :

(١) الفرقة الفلسطينية ومن زعمائها سيمون المجوسى Simon le Magicien وقد خلط بين العقائد اليهودية التي أخذها عن التوراة بعقائد بعض الديانات القائمة بتعدد الآلهة وجمع منها قواعد مذهبه (٢) والفرقة الأشورية وهي قرية من الزرادشتية (٣) والفرقة المصرية ومن أشهر زعمائها بزيلدس Basilides . وفالتين Valentin

تسكون قد انتقلت إليهم عن طريق الديانة البابلية القديمة .
وكان من بين العقائد المسلم بها عند الشيعة من أهل الكوفة أن
الحكمة العالية التي أفاضها الله على محمد (صلى الله عليه وسلم) ليفصل على

(٤) والفرقة المعتزلة (المنشقة) (٥) ثم الفرقة الأسوية وتعتمد في عقيدتها أكثر
من غيرها من الفرق والأخرى على كثير من نصوص الإنجيل .
وأساس جميع هذه المذاهب هو القول بوجود إلهين أو مصدرين أساسيين
لوجودهما إله الخير وإله الشر . ومن ثم لا تكاد تختلف عن المانوية في شيء اللهم
إلا بقدر ما كانت تتماز به من الرق الفكرى .

ويتلخص مذهب هؤلاء الأشراقين في أن هذا العالم الذى نعيش فيه قد صدر
عن إله غير معصوم من الخطأ ، وأن أول ما خلق منه هى النفوس الطاهرة
والأرواح الخالصة من كل شائبة . ثم تلا ذلك التجسد وهو هبوط الروح من ملأها
الأعلى ودخولها فى الجسم واختلاطها بالمادة . وقد ابتداء هذا التجسد بدخول الأرواح
فى أجسام النساء . وهذا التجسد فى نظرهم هو الخطيئة الكبرى التى يجب التكفير
عنها بالتوبة . ولما كانت المادة عندهم هى مصدر الشر ، كان كل جسم فى نظرهم
مقبوحا وكل لذة بدنية مزدولة . ومن ثم نشأ مقهم للزواج وتحريمهم ملكية الأشياء
وبعضهم للحياة الدنيا .

وقد استطاع أنصار هذا المذهب التوفيق بين طقوس مذهبهم وبين مطالب
الحياة المادية وتغادى تلك الصعاب التى قد يضطروهم إليها تطبيق مبادئهم على شئون
الحياة الدنيوية ، فلجأوا إلى بعض الحيل والفتاوى . من ذلك قولهم بأن الملاذ
وإن كانت مرذولة فلا بأس من تناولها بقدر ما تقضى بذلك حاجة الحياة وضرورة
الوجود مادامنا نستنكرها بقلوبنا . وقد تابعهم فى ذلك كثير من الطوائف
الأخرى ، وظلوا على ذلك حتى جاء كاربورات Carporate فلم ترقه تلك الفتاوى
وما جرت إليه من فساد أخلاق ، فحرم جميع الملاذ . ثم جاء ابنه إيفان Epiphane
فحرم الملكية الفردية ودعا إلى الاشتراكية .

أنظر كلمة Gnostic فى دائره معارف لاروس ودائرة معارف كاسل
— المترجمان .

هديها في الأمور وفق إرادة الله لم تزل بموت النبي ، وإنما ورثها عنه أعقابه .
وكان البعض يعزو إليهم علماً لم يحصلوه على النحو الذي تحصل به العلوم البشرية
وإنما تلقوه من لدن الحكمة الإلهية مباشرة . وهاك ما كتبه الخليفة هشام إلى
واليه يوسف بن عمر^(١) : « أما بعد فقد علمت بحال أهل الكوفة في حبهم
أهل هذا البيت ووضعهم إياهم في غير مواضعهم لأنهم افترضوا على أنفسهم
طاعتهم ووظفوا عليهم شرائع دينهم ومخلوهم علم ما هو كائن » .

وقد بلغ من تشيع أهل الكوفة لآل على أن كانوا يؤمنون بكل حديث
أيا كان ، سواء تضمن أو لم يتضمن بعض الأمور التي تتعارض مع ظاهر
ما جاء به القرآن مادام ذلك الحديث قد جاء على السنة الأئمة من آل على^٢
ومن ثم كان أهل الكوفة يبيحون القليل من النبيذ . وإلى القاريء ما ذكره
في ذلك صاحب العقد : « بينما كان زيد بن علي في بعض أزقة الكوفة إذ
مر به رجل من الشيعة ، فدعاه إلى منزله وأحضر طعاما . فسامعت به الشيعة
فدخلوا عليه حتى غص المجلس بهم ، فأكلوا معه ثم استقى . فقيل له أي
الشراب نسقيك يا ابن رسول الله ؟ قال أصلبه وأشدّه . فأتوه بعقيق من نبيذ
فشرب وشربوا ثم قالوا يا ابن رسول الله ! لو حدثتنا في هذا النبيذ
بحديث رويته عن أبيك عن جدك فإن العلماء يختلفون فيه . قال نعم ! حدثني
أبي عن جدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتركبن طبقة بنى إسرائيل
حذوا القذة بالقذة × والنعل والنعل . ألا وإن الله ابتلى بنى إسرائيل بنهر
طالوت (القرآن الكريم ٢ : آية ٢٤٩ لا ٢٥٠ كما ذكر المؤلف) أحل منه
الغرفة والغرفتين وحرم منه الشرب . وقد ابتلاكم بهذا النبيذ أحل منه القليل
وحرم منه الكثير . وكان أهل الكوفة يسمون النبيذ نهر طالوت^(٢) » .

(١) الطبري ٢ : ١٦٨٢ .

× القذة بالضم ريش السهم والجمع قذذ .

(٢) العقد الفريد ج ٣ ص ٤١٧ .

وكان طبيعياً أن يعتبر الناس هؤلاء الأئمة أنفسهم المرجع الوحيد لتفسير هذا الاعتقاد وتحديد مداه بعد أن تأصل في قلوبهم الاعتقاد بعصمتهم . وإلى القارئ تلك العبارة التي أثرت عن علي^(١) : « أحلم الناس صفاراً وأعلم الناس كباراً . ألا وإنا أهل البيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا ومن قول صادق سمعنا . فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا ؛ معنا راية الحق ، من يتبعها لحق ومن تأخر عنها غرق » .

ويتضح لنا الاعتقاد بعصمة الأئمة من لفظ « المهدي » ، وهو لقب الشرف الذي كان يلقب به الأئمة من آل البيت (ومعناه الهادي إلى الطريق المستقيم)^(٢) .

وكان بعيداً أن تقتصر تلك العقائد التي أتينا على ذكرها على أهل العراق وعلى طائفة معينة من الجدد في الإسلام ولا سيما إذا علمنا أنها نشأت في الكوفة وتأثرت بالديانات السابقة للإسلام . وقد انتشرت تلك العقائد في جزء عظيم من الدولة الإسلامية بقدر إزدياد تدمير المسلمين وسخطهم ثم ضعف الدولة الأموية وانحلالها . وقد ظهر الاعتقاد بأنه ليس ثمة صلاح لهذه الأمة إلا على أحد الأئمة من آل البيت في جميع الولايات الإسلامية ، حيث أدرك الناس أن الأمويين أصبحوا لا يعنون إلا بمصالحهم الشخصية دون مصلحة الدين الذي أخذوا على عاتقهم نشره .

وكان طبيعياً أن لا تعوذ الأمة الإسلامية الرجال السياسيون والزعماء المتحمسون الذين يرقبون الفرص لتركيز ميول الجماهير ويستغلون تلك الأمانى المبهمة لقيادة الأمة نحو وجهة معينة ، كما هو الحال في

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ١٦٢ .

(٢) الطبري ٢ : ٥٤٦ (٢) ٦٠٨٠ ، ٣٥٠ ، (١٤) ٣٥٣ ، (٢٠) الكامل للبرد

(طبعة رايت) ص ٧١٠ ؛ سنوك هرجرونية (٧ n . 6) Der Mahdi .

أوقات الشدة والتذمر حيث تضل العقول وتبلبل النفوس وحيث لا تزال الأفكار في دور الاختار . وهكذا ظهرت في ذلك الوقت العصيب البعثات المنظمة (الدعاة) في جميع الولايات الإسلامية يحثون الناس على اعتناق العقائد الشيعة .

ويجب علينا ، لكي ندرك مدى أثر تلك البعثات ، أن نعرض للكلام على أولئك المتطرفين من الشيعة الذين يسميهم العرب « الغالين أو الغلاة » .

— ٣ —

طوائف الشيعة

من اليسير تقسيم هؤلاء الغالين أو المتطرفين ، الذين كان يعتبرهم الفقهاء من العرب إحدى طوائف الشيعة ، والذين كان تقديس آل البيت جزءاً هاماً من معتقداتهم ، إلى طائفتين هما السبئية والكيسانية .

أما السبئية (أنصار عبد الله بن سبأ الذي كان يرى أحقية علي بالخلافة منذ أيام عثمان بن عفان) فكانوا يعتقدون أن جزءاً إلهياً تجسد في علي ثم في خلفائه الأئمة من بعده . وليس من الضروري - حسب زعمهم - أن يظهر ذلك الجزء (الروح) الإلهي دائماً في ذلك العالم ، بل يجوز أن يعود إلى مقره الألهي حتى يتجسد في شخص آخر . ويسمون الفترة الذي يغيب فيها ذلك الجزء « الغيبة » ، ورجوعه إلى الأرض « الرجعة » ، كما يسمون انتظار ظهور الإمام « التوقف » .

ويعتقد هؤلاء الذين يقولون بالتوقف أن علياً يحيى في السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه ، بينما يحيز البعض الآخر انتقال ذلك الجزء الإلهي إلى أولاد علي من بعده . ومن ثم ينتظرون ظهور الإمام . ويزعم هؤلاء أن ابن ملجم الخارجي لم يقتل علياً وإنما قتل الشيطان بعد أن

تشكل بشكله ، إذ كانوا لا يسمون بفناء الجزء الإلهي الذي تجسد في شخص على ، أو بالأحرى كانوا لا يعتقدون بموت على ^(١) .

ويظهر أن عقيدة السبئية إنما بنيت على الرأي القديم القائل بتجسد الألوهية ، بخلاف ما ذهب إليه الكيسانية التي ظهرت منذ أيام المختار حين ثار بالكوفة ^(٢) . وتغلو الكيسانية في اعتقادها باحاطة الأئمة بالعلوم الإلهية ، فتذهب إلى أن محمداً بن الحنفية قد أحاط بالعلوم كلها ، وأن أخويه الحسن والحسين قد عهدا إليه بالأسرار كلها وبعلم التأويل والباطن . وقد انتهى اعتقاد الكيسانية بوجوب انفراد الإمام بتأويل الشريعة إلى القول بضرورة طاعته ، إذ أن طاعته لم تكن إلا طاعة للقانون الإلهي (وهذا ما يميزهم عن غيرهم من المعتدلين من الشيعة) . ويقول الشهرستاني « إن جميع الكيسانية يعتقدون أن الدين طاعة رجل ، وأن طاعتهم لذلك الرجل تبطل ضرورة التمسك بقواعد الإسلام » (كالصلاة والصوم والحج وهكذا) ^(٣) .

(١) الشهرستاني (طبعة Cureton) ص ١٣٢ ومايلها ترجمة (Hoorbriicker, II. 411 لا يتفق معازاه الشهرستاني إلى السبئية مع ما ذكره الطبري (Weil, I. 173) عن عبد الله بن سبأ . من ذلك قوله إن لكل نبي وصي أو وزير ، وإن الوصاية كانت لعلی باعتباره وزير محمد ، وإن محمداً سيعود إلى الأرض .

على أني لم أتردد في الأخذ بما ذكره الشهرستاني . فقد شاع مذهب تجسد الألوهية في شخص على من قبل ، سواء عزي هذا المذهب إلى ابن سبأ أو لم يعز إليه . انظر طاهر الأصفهاني Weil, I. 259, Haarbriicker II. 41 والبلاذري Z. d. D. M. g. XXXVII. p. 391 والشهرستاني ص ١٣٢ ، وابن رسته طبعة دي غوية) ص ٢١٨ (س ٦ ومايلها) ، وكتاب المعارف لابن قتيبة ص ٣٠٠ .

(٢) فان جلد : المختار ص ٨٢ ومايلها .

(٣) الشهرستاني ص ١٠٩ .

ومن هنا يتضح لنا الفرق بين عقيدتي السبئية والكيسانية ، فقد كانت السبئية تقول بحلول الجزء الإلهي في الإمام وتجعل له نصيباً من الألوهية نفسها ، بينما تعتبره الكيسانية رمزاً للعلم الإلهي . وصفوة القول أن السبئية وإن كانوا يعتبرون إمامهم شخصاً مقدساً ، فإن الكيسانية يبذلون له الطاعة باعتباره رجلاً رفيع المنزلة محيطاً بعلوم ما وراء الطبيعة . وتتفق الطائفتان في القول بالرجعة ، أي رجعة الإمام . إلا أن السبئية يقولون بعودة الإمام من مقره السماوي ، على حين ترى الكيسانية أن الإمام لا يعلم به حتى ساعة ظهوره . وقد ظهرت هذه العقيدة في شعر الشعراء المشهورين الذين يدينون بعقيدة الكيسانية ^(١) . من ذلك قول كثير في محمد بن الحنفية :

وسبَّطَ لا يذوقُ الموتَ حتى يقودَ الخيلَ يتبعها اللواء
تغيبُ لا يرى عنهم زماناً برضوى ^(٢) عنده غسل وماء ^(٣)

وقد ضعف نفوذ السبئية على مر الحوادث . إلا أن مذهبهم في التجسد مافتيء ينمو وينتشر ^(٤) . وسنرى أن هذا المذهب قد ظهر في شكل جديد حين نعرض للكلام على عقيدة الراوندية .

أما الكيسانية ، ومن بينهم الهاشمية ، أنصار أبي هاشم بن محمد بن الحنفية ، فكانوا يقولون : « إن لكل ظاهر باطناً ، ولكل شخص روحاً ،

(١) أنظر ما كتبه مسيو بارييه دي مينار عن لفظ « سيد » في المجلة الآسيوية (١٨٧٤) ج ٢ ص ١٥٩ وما يليها .

(٢) جبل بالقرب من ينبع حيث كانت ممتلكات آل البيت .

(٣) الشهرستاني ص ١١١ والأغانى ج ٥ ص ١٨٢ وما يليها .

(٤) وقد اشتركوا في الثورة التي أثارها المختار وعبد الرحمن بن الأشعث (ديوان الفرزدق طبعة بوشير ص ٦٣٢ . وفي النص العربي ص ٢١٠) .
ومما لا ريب فيه أن هذا الاسم كان خاصاً بهذا المذهب . فقد جرى العرف بطلاق السبئية على جميع الغلاة من الشيعة .

ولكل تنزيل تأويلا ، ولكل مثال في هذا العالم حقيقة في ذلك العالم ، والمنتشر في الآفاق من الحكم والأسرار مجتمع في الشخص الإنساني ، وهو العلم الذي استأثر على عليه السلام به ابنه محمد بن الحنفية ، وهو أفضى ذلك السر إلى ابنه أبي هاشم . وكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الإمام حقاً » ^(١) .

ولعقيدة الهاشمية أهمية كبيرة في تاريخ الشيعة . فقد ساعد ما ذهبت إليه من التأويل والقول بأن لكل ظاهر باطناً على تسرب الكثير من العقائد غير الإسلامية إلى الشيعة - تلك العقائد التي انتقلت إليها عن المجوسية والمناوية ×

(١) الشهرستاني ص ١١٢ (طبعة مصر سنة ١٣١٧ هـ ج ٢ ص ٢٠١) .
× المناوية نسبة إلى ماني . وقد حاولت هذه الطائفة — كما حاول القديس من الاشراقيين — التوفيق بين المسيحية والوثنية في الشرق . وقد أخذت عقائدها وطقوسها عن التواراة وعن الفارسية القديمة Parsisme ثم البوذية . ويقول أنصار هذه الطائفة بالإنثينية وهي العقيدة الأساسية لديانة الفرس . ومن ثم يقولون بوجود مصدرين إلهيين لهذا العالم ، أحدهما إله الخير ويرمزون له بالنور والثاني إله الشر ويرمزون له بالظلمة ، ويسمون الأول إله النور والثاني إله الظلمة ، وهو الإله الذي صدر عنه هذا العالم المادي . وقد ندد عليهم بعض شعراء المسلمين بقوله :

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبّر أن المناوية تكذب
وقد بلغ من احتقارهم للمادة أن كانوا يزعمون أن الشيطان قد خلق منها . وانتشرت المناوية في الشرق ولاحيا في بلاد الفرس والهند ، وفي بلاد التبت والصين والتركستان حيث ظلت مزدهرة بها حتى القرن الحادي عشر الميلادي ، ثم انتقلت إلى الغرب حتى وصلت إلى جنوبي إيطاليا . وقد دعا القديس أوغسطين Saint Augustin إلى هذا المذهب وعمل على نشره زهاء ثمان سنوات . ومناواة كل من فالنتين Valentin سنة ٣٧٢ م ثم تاودوسيس الأول Theodosius 1. سنة ٣٨١ م مناواة شديدة وأصدر آضده المراسيم الشديدة .

أنظر دائرة معارف لاروس — المترجمان .

والبوذية وغيرها من الديانات الذي كانت سائدة في آسيا قبل ظهور الإسلام . وقد هيا النفوس إلى اعتناق الإسلام انتصار المسلمين بعد أن هدموا الكثير من العقائد القديمة . على أنه سرعان ما ظهر أثر عكسي لهذا النجاح الذي أحرزه المسلمون في نشر دينهم . فقد عصفت في تلك الولايات التي فتحها العرب عاصفة من عواصف البغض للإسلام X ولشكل دين سماوى وسارت

X . لم يقل أحد من المؤرخين أن أحداً ممن هدام الله إلى الإسلام وشرح صدورهم له قد أرتد عنه بعد أن دخل فيه راضياً : ولن تعوزنا الأمثلة التاريخية الكثيرة لتأييد هذا الرأي ؛ فقد كان مشركو قريش يسومون المستضعفين من المسلمين سوء العذاب ليفتنوهم عن دينهم ، فلم يزدحم ذلك إلا إيماناً وتسليماً . من ذلك ما ذكره ابن الأثير من أن مشركي قريش كانوا يخرجون عمار بن ياسر وأباه وأمه إلى الأبطح (الرمل المنبسط على وجه الأرض . وهو بين مكة ومنى — أنظر هذا اللفظ في معجم البلدان لياقوت) إذا حميت الرمضاء ويعذبونهم بحررها . فمات ياسر ، وأغلظت امرأته سمية القول لأبي جهل قطعها بحربة فماتت ؛ وهى أول شهيدة في الإسلام ثم أمعن المشركون في تعذيب عمار بالحر تارة وبوضع الصخر على صدره تارة ، ثم بالتغريق تارة أخرى .

وهذا بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خلف الجمحي من مشركي قريش يلقيه في الرمضاء على وجهه وظهره إذا حميت الشمس وقت الظهيرة ، ثم يأمر بالصخرة الكبيرة فتلقى على صدره ، ويقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى . وكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يقول : أحد أحد ! فيقول ورقة : أحد أحد والله يا بلال . ولم يزل على هذا العذاب حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه .

أما خباب بن الأثر فقد عذبه الكفار عذاباً شديداً ، فكانوا يوثقون ظهره بالرمضاء ثم بالرضف (وهى الحجارة المحماة بالنار) ؛ فلم يزد ذلك إلا تمسكا بالإسلام . وإخلاصاً له . وقد هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد معه المشاهد كلها .

جنباً لجنب مع تدمير الموالى وتمردهم . ولما كان الإسلام يعاقب المرتدين عنه بالقتل لم يجرؤ أحد من هؤلاء على الارتداد عن هذا الدين جهاراً ؛ ومن ثم

== ولم يقتصر تعذيب قريش المسلمين على الرجال بل تعداه إلى النساء . فقد أسلمت لبَيْفَةَ حَارِثَةَ مَوَاضِيٍّ بَنَ عَدِيٍّ قَبْلَ إِسْلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؛ فَكَانَ عُمَرُ يَمْنَعُ فِي تَعْذِيبِهَا حَتَّى يَمْلَ ، ثُمَّ يَدْعُهَا وَيَقُولُ : إِنِّي لَمْ أَدْعِكَ إِلَّا سَامَةً . وَلَمْ تَزَلْ فِي هَذَا الْعَذَابِ حَتَّى اشْتَرَاهَا أَبُو بَكْرٍ وَأَعْتَقَهَا (ابن الأثير ج ٢ ص ٣٠ — ٣٢) .

وقد شهد كل من أبي سفيان وهرقل إمبراطور الروم للإسلام بتلك الشهادة التي تعتبر وثيقة تاريخية على ما لهذا الدين من أثر في النفوس وسلطان على القلوب في ذلك الحديث الذي دار بينهما . وكان أبو سفيان إذ ذاك من أئمة الكفر وزعماء المشركين ومن ألد أعداء الرسول عليه الصلاة والسلام . أضف إلى ذلك حقه على الإسلام والمسلمين بعد أن وُتِرَوه في غزوة بدر الكبرى وقتلوا سبعين من صناديد قريش ممن كانوا يحاربون المسلمين تحت لوأته . وإلى القارىء طرفاً من هذا الحديث .

« قال أبو سفيان : خرجنا في نفر من قريش تجاراً إلى الشام ووالله إننا لبغزة إذ هم علينا صاحب شرطته (شرطة هرقل) ، فقال : أنتم من رهط هذا الرجل الذي بالحجاز (يعني النبي صلى الله عليه وسلم) ؟ قلنا : نعم ! قال : انطلقوا بنا إلى الملك . فانطلقنا معه . فلما انتهينا إليه . . . قال : أيكم أمس به رحماً ؟ قالت : أنا . . . فقال : ادنه (اقرب) . فأقعدني بين يديه وأقعد أصحابي خلفي ثم قال : إني سأسأله ، فإن كذب فردوا عليه . فوالله لو كذبت ماردوا على . ولكني كنت امرأ سيداً أتكرم عن الكذب ، وعرفت أن أيسر ما في ذلك إن أنا كذبت أنه يحفظوا ذلك عليّ ثم يحدثوا به عني ، فلم أكذب . فقال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يدعى ما يدعى . قال : فجعلت أزهد له شأنه وأصغر له أمره وأقول له : أيها الملك ! ما يهلك من أمره ، إن شأنه دون ما يبلغك . فجعل لا يلتفت إلى ذلك مني ثم قال أنبئني عما أسألك عنه من شأنه . قلت : سل عما بدا لك . قال :

ذهب هؤلاء يتلمسون سعادتهم الروحية بعيداً عن الإسلام وعقائده . وقد وجدت العقائد البابلية القديمة والآرية وغيرها الطريق إلى نفوس هؤلاء .

كيف نسبه فيكم ؟ قلت : محض ، أوسطنا نسبا . قال : فأخبرني هل كان أحدهم من أهل بيته يقول مثل ما يقول فهو يتشبه به ؟ قلت : لا . قال : فهل كان له فيكم ملك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه ؟ قلت : لا : فأخبرني عن أتباعه منكم من هم ؟ قلت : الضعفاء والمساكين والأحداث من العلمان والنساء ؛ وأما ذوو الأسنان والشرف من قومه فلم يتبعه منهم أحد . قال : فأخبرني عمن يتبعه أحبه ويلزمه أم يقلبه ويفارقه ؟ (وفي رواية أخرى هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه ؟) قلت : ماتبعه رجل ففارقه . قال ! هل يغدر ؟ فلم أجد شيئاً مما سألتني عنه أغمره فيه غيرها . قلت لا ! ونحن منه في هدنة (يريد صلح الحديبية) ولا نأمن غدره . قال : فوالله ما التفت إليهما مني . ثم كر على الحديث فقال : سألتك كيف نسبه فيكم فزعمت أنه محض ، من أوسطكم نسبا ، وكذلك يأخذ الله النبي إذا أخذه لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسبا ، وسألتك هل كان أحد من أهل بيته يقول بقوله فهو يتشبه به ، فزعمت أن لا ، وسألتك هل كان له فيكم ملك فاستلبتموه إياه ، فجاء بهذا الحديث يطلب ملكه فزعمت أن لا ، وسألتك عن أتباعه فزعمت أن لا ، وسألتك عن أتباعه فزعمت أنهم الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء . وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان ، وسألتك عمن يتبعه أحبه ويلزمه أم يقلبه ويفارقه ، فزعمت أن لا يتبعه أحد فيفارقه ، وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه (وفي رواية أخرى وكذلك الإيمان حين تحالط بشاشته القلوب) ، وسألتك هل يغدر ، فزعمت أن لا . فلئن كنت صدقتني عنه ليغلبني على ماتحت قدمي هاتين ، ولوددت أني عنده فأغسل قدميه . انطلق لشأنك . قال فقامت من عنده وأنا أضرب إحدى يدي بالأخرى وأقول : إى عباد الله ! لقد أمر أمر ابن أبي كبشة (يعني الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان يكنيه كفار قريش بأبيه من الرضاع استخفافاً به . وأبو كبشة هذا هو زوج حليمة السعدية التي أرضعت الرسول) أصبح ملوك بني الأصفر (يعني الروم) يهابونه في سلطانهم بالشام ! » .

وهكذا نشأ من اختلاط هذه العقائد بالإسلام مذاهب جديدة طالما كانت تظهر فيها العقائد الإسلامية تغمرها الأمواج المتلاطمة من الخرافات والبدع .

صحيح البخارى (طبعة بولاق سنة ١٣١٣ هـ) ج ١ ص ٨ ، الطبرى (طبعة القاهرة) ج ٣ ص ٨٥ — ٨٧ ، فتح البارى (شرح البخارى) لابن حجر العسقلانى (القاهرة سنة ١٣١٩ هـ) ج ١ ص ٢٤ — ٣٤ ، عمدة القارى (شرح البخارى للعيني) (القاهرة سنة ١٣٠٨ هـ) ج ١ ص ٩١ .

وليس أدل على صحة ما ذهبنا إليه مما جاء فى كتاب الدعوة إلى الإسلام ص ٢٢٣ وما يليها . للرحوم السيرتوماس أرنولد فقد ذكر أن شابا من المسيحيين اعتنق الإسلام بسمرقند ، فشكا المسيحيون ذلك إلى أحد رجالات المغول من ذوى النفوذ ومن أكر المشايخين للمسيحية ، ثم اتهموا المسلمين بتحريضهم المسيحيين على الدخول فى الإسلام . فأمر ذلك المغولى بإحضار هذا الشاب وأخذ يغريه على الارتداد عن الإسلام حيناً وبالتهديد والوعيد حيناً آخر . ولما يجد ذلك نفعا فى صرف هذا الشاب عن دينه بالمال الجديد لجأ الأمير إلى وسائل الشدة ، ولم يدع نوعاً من أنواع التعذيب إلا أذاقه إياه ، فلم يزد ذلك إلا إيمانا . ولما لم يعبأ بوعود ذلك المغولى وتهديده أمر به قتل . وهكذا استشهد هذا الشاب مؤثراً الموت على الارتداد عن الإسلام . ويذكرنا هذا بقول الشاعر العربى :

ولست أبالى حين أقتل مسلماً على أى جنب كان فى الله مصرعى
وهكذا ظل الإسلام فى كل أدواره لا يدخل قلب امرئ إلا كان أحرص
عليه من حياته ، يبذل نفسه دون الإرتداد عنه ويرق دمه فى سبيل الحرص عليه .
ومالنا نذهب بعيداً وقد أيد المؤلف نفسه صحة ما ذهبنا إليه فى غير موضع
من هذا الكتاب ، ولا سيما حين عرض للكلام عن ثوره الموالى والجند فى الإسلام
إذ يقول (ص ٣٢ من الكتاب ، ٦٦ من الترجمة) مانصه : « وأما الجند
فى الإسلام من إقليمى بخارى وسمرقند ، وإن كانوا قد انصرفوا عن العرب
(الأمويين) وخرجوا عليهم ، فليس معنى هذا أنهم ارتدوا عن الإسلام » ،
ثم قوله (ص ٢٤ من الكتاب ، ٥٤ — ٥٥ من الترجمة) « وقد أحفظ بخارى

وقد تيسر للأفذاذ من ذوى العقول المرنّة التوفيق بين حياتهم الأولى ومظاهر الحياة التى تتطلبها ذلك الدين الجديد ، على الرغم مما لاقوه من الانقلابات الاجتماعية الخطيرة والأزمات الفكرية العنيفة . وأما العامة فقد وقفوا فى

خودة (أمير بخارى) تغشادة اقتناع الكثيرين منهم (أهل بخارى) بصحة الإسلام واعتناقهم له . ولا غرو فقد كان لا يزال ييطن الكفر رغم إظهاره الإسلام . . وقد شفق بخارى خودة منهم أربعائة . ثم استرق من بقى منهم وأرسلهم إلى أسد ابن عبد الله بخراسان . على أن أحدا من هؤلاء ممن فروا من الموت لم يرتد عن الإسلام ، بل ظلوا جميعاً مؤمنين به . »

ولهذا قد اختلط على « فان فلون » ، كما اختلط على الكثيرين من المستشرقين الذين كتبوا فى التاريخ الإسلامى ، بغض بعض أهل الولايات الإسلامية لبعض أمراء المسلمين بكرهه هؤلاء للإسلام وسخطهم عليه حتى خيل إليه أن هؤلاء قد سئموا الإسلام وملوه .

أما هؤلاء الذين ارتدوا عن الإسلام عقب وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فإنهم لم يرتدوا عنه لبغضهم إياه وكراهتهم له ، وإنما ظنوا أن الإسلام قد انتهى بوفاة الرسول . أضف إلى ذلك أنهم لم يخرجوا على عقيدة التوحيد عماد هذا الدين ، بل زعموا أن الزكاة إنما هى إتاوة يدفعونها للرسول . ومن ثم لم يجدوا مبرراً لدفعها بعد وفاته .

على أن هؤلاء لم يكونوا مسلمين حقاً ، فقد كان السواد الأعظم منهم من هؤلاء الأعراب الذين مردوا على النفاق . وقد نعى الله سبحانه وتعالى عليهم هذا فى غير آية من القرآن من ذلك قوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم . وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم) (ينقصكم) من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم . إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون . قل أتعلمون الله بدینکم والله یعلم ما فى السموات وما فى الأرض ، والله بكل شىء عليم) — الحجرات سورة (١٤ - ١٦) . وبما يدل على أن هؤلاء لم يسلموا حقاً وإنما تورطوا فى الدخول فى الإسلام منهم بإسلامهم على الرسول عليه الصلاة والسلام . وقد ندد

وسط الطريق . وهذا ماحدث في السفين الأولى للهجرة ؛ فقد لجأ الناس إلى تأويل الإسلام حسب أهوائهم ، لما كان يعوزهم من القوة المعنوية للإرتداد عنه ومجاهرتهم بالخروج عليه X X . ومن ثم ابتداءوا يستنبطون

عليهم القرآن في ذلك بقوله (يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا . قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَى إِسْلَامِكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنْ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كَمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) - سورة الحجرات آية ١٧ - المترجمان .

X X لعل « فان فلوتن » يقصد أولئك الوصوليين الذين لم يدخلوا الإسلام عن اقتناع بصحته وإدراك لسمو مبادئه ، وإنما دخلوه لأنه دين الفاتحين ولما عساه يدره عليهم من النفع أو يدرأ عنهم من الشر . وتلك سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ، إذ لا تسكاد تحلو أمة من الأمم من ذلك الفريق من ضعاف النفوس ومرضى القلوب ، ولا سيما في تلك الأوقات العصيبة والانتقالات السياسية والاجتماعية العنيفة حيث يقوم دين جديد على أنقاض دين قديم وتقوم دولة فنية على أطلال دولة متداعية . ولقد ملى الإسلام وابتليت الأمة العربية بتلك الطائفة التي اتخذت الإسلام جنة لتدبير المؤامرات ضد المسلمين . ولم يكن قتل عمر بن الخطاب على يد أبي أولؤة إلا نتيجة لتلك المؤامرة التي دبرها له الهرمزان لما كان يكنه من الحقد للعرب بعد أن ثلوا عرش الفرس ومزقوا دولتهم . كذلك اتخذ بعض اليهود والنصارى الإسلام ستاراً يكيدون من وراءه لهذا الدين الخفيف ، فأدخلوا فيه الكثير من الخرافات والأساطير التي لا تمت إلى هذا الدين الخفيف بصلة . ولولا ما قام به علماء المسلمين ، ولا سيما علماء التفسير ومصطلح الحديث لمقاومة ذلك الخطر الداهم لضاع الإسلام ولعصفت به أعاصير تلك الضلالات والبذع التي أثارها عليه هؤلاء الأعداء على الإسلام منذ القرن الأول الهجرى .

أنظر نيكلسون : تاريخ العرب الأدبي ص ١٩٧ .

وقد بينا سياسة الإسلام حيال هؤلاء المرتدين عند الكلام على قتال أبي بكر لأهل الردة (أنظر هامش (١) صفحة ١٤ - ١٥ من الترجمة) . على أن الإسلام

منه ما يلائم ميولهم ويتمشى مع حاجاتهم على حين أنهم تركوا الكثير من الفرائض الدينية التي كانت لا تروقهم . وكانت الطريقة الفذة التي كانوا يلجأون إليها ، هي التأويل الذي وضع أساسه الأئمة من سلالة محمد (صلى الله عليه وسلم) . وهذا ما حدا بجميع الساخطين والمتذمرين من الغلاة المتطرفين إلى الانضمام إلى الشيعة في الدعوة إلى آل البيت .

وأما معاقبة الإسلام من ارتد X عنه بالقتل فذلك أمر اقتضته سياسة الدولة أكثر من الحرص على إسلام هؤلاء ، إذ كان أخوف ما تخافه الدولة الإسلامية من الإبقاء على هؤلاء المرتدين أن ينقلبوا عيوناً عليها ، وبذلك يصبحون شراً مستطيراً يهدد كيانها . ولا غرو فإن السياسة والدين لا يكاد يفصل أحدهما عن الآخر عند المسلمين :

كان شديد الحيطه في أمر المرتدين ؛ فكان لا يأخذ في ذلك بالشبه ولا يحكم فيه بالظنه ، إذ كان يمهل المرتد ثلاثة أيام يناقشه خلالها علماء المسلمين وبقاؤهم فيما التبس عليه من أمر الدين وما عرض له من الشبه في صحته ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة . إلى القارىء طائفة من أقوال الأئمة في هذا الموضوع : قال أبو حنيفة : إذا ارتد المسلم عرض عليه الإسلام وأجل ثلاثة أيام ، لأن الظاهر أنه دخلت عليه شبهة ارتد لأجلها ، فعلياً إزالة تلك الشبهة ، أو هو يحتاج إلى التفكير لبنين له الحق فلا يكون ذلك إلا بجملة ، فإن استعمل كان على الإمام أن يمهله ، ومدة النظر مقدرة بثلاثة أيام في الشرع كما في الخيار (خيار الشرط وخيار الرؤية في البيوع) . فلهذا يمهله ثلاثة . كتاب المبسوط لشمس الدين السرخسى (القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ) ج ١٠ ص ٩٨ - ١٠٠ .

ويقول بعض فقهاء المالكية ما نصه : واستتيب المرتد وجوباً ولو عبداً أو امرأة ثلاثة أيام لبليائها من يوم الثبوت لا من يوم الكفر بلا جوع ولا عطش

المهاشمية

وهنا يتساءل المرء : كيف كان موقف الأئمة من هذه المعتقدات التي بالغوا فيها وكانوا السبب في ظهورها ؟ على أن التاريخ قد كفانا مؤنة الجواب عن هذا السؤال . فقد أنكر الأئمة بادئ الأمر ما نسب به إليهم الشيعة من تلك الصفات كحاطتهم بجميع العلوم والأسرار . ولا غرو فقد رمى على في النار كل من دعاه إلها من هؤلاء الغلاة ، ونفى عبد الله بن سبأ إلى المدائن ^(١) .

بل يطعم ويسقى من ماله وبلا معاقبة وإن لم يتب . أنظر باب الردة وأحكامها في الشرح الكبير للدردير (طبعة بولاق سنة ١٣١٩) ج ٤ ص ٢٧٠ ، حاشية الدسوقي ج ٤ ص ٢٦٧ .

ويقول الإمام الشافعي : « ويجب استنابة مرتد ذكراً أو غيره لأنه كان محترماً بالإسلام ، وربما عرضت له شبهة فتزال . وقيل يمهل ثلاثة أيام » . أنظر باب الردة في حاشية البعري على شرح المنهج (طبعة بولاق سنة ١٣٠٩ هـ) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : « ومن ارتد عن الإسلام من الرجال والنساء وهو بالغ عاقل ، دعى إليه ثلاثة أيام » .

أنظر كشف القناع على متن الإقناع (طبعة القاهرة سنة ١٣١٩ هـ) ج ٤ ص ١٠٠ — ١٠٥ .

X على أنه لا ينبغي أن يكفر مسلم يحتمل عمله أو قوله الكفر إلا إذا كان التكفير بقوله أو بعمله مجمعاً عليه . وقد صرح العلماء بأنه لا يكفر مسلم بقول يحتمل الكفر مع تسع وتسعين وجهاً ويحتمل الإيمان من وجه واحد .

أنظر باب المرتد في حاشية رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين . (طبعة مصر سنة ١٢٧٢ هـ) ج ٢ ص ٢٨٣ — ٢٩٢ — المترجمان .

(١) الشهرستاني ص ١٣٢ .

وجاء محمد بن الحنفية فشارك أباه في آرائه الدينية ، وتورع عن أن ينتفع ويستفيد مما أحرزه أنصاره من النجاح في الدعوة لآل البيت ، كما أنكر عليهم ما كانوا ينسبونه إليه من إحاطته بعلوم ما وراء الطبيعة ^(١) .

على أن موقف هؤلاء الأئمة السليبي لم يلبث أن تغير حين بدأ العلويون يدركون مقدار ماقد يستفيدونه من هؤلاء المفتونين بهم والمتحمسين في الدعوة لهم ، ولا سيما بعد مارأوه من ضعف الدولة الأموية وما دب إلى جسمها من الانحلال . وكان عمر بن عبد العزيز يمتق الهاشمين لحبهم كثيراً ^(٢) من الشيعة الغلاة وصديق أبي هاشم الحميم ؛ وقد تكلمنا عنه في الباب الأول . وإلى القارئ حكاية نقلها عن كتاب الأغاني علها تصف ميول أبي هاشم ودهائه : كان أبو هاشم يرسل العيون لينقلوا إليه أخيار كثير . فإذا ما قابله أبو هاشم قال له : فعلت كذا وكنت بمكان كذا . وقد أخبره ذات يوم بما دار بينه وبين رجل آخر من الحديث كلمة كلمة ، فصاح كثير : « أنت رسول الله » . وقد بينا أنه كان هناك حزب يدعى حزب الهاشمية يقدس أنصاره أبا هاشم ويزعمون أنه أحاط بالعلوم كلها ، ويرون أنه أحق بالإمامة من غيره . ونستطيع أن نستخلص مما رواه لنا بعض المؤرخين أن أبا هاشم كان أول من نظم الدعوة لجذب الأنصار إلى هذا الحزب ^(٣) .

(١) كتاب الطبقات الكبير لابن سعد (مخطوط Gotha) ١٧٤٨ . أنظر لفظ محمد بن الحنفية : فبلغ محمداً أنهم يقولون إن عندهم شيئاً أى من العلم قال فقام فينا فقال إنا والله ماورثنا من رسول الله إلا ما بين هذين اللوحين ثم قال اللهم حلا وهذه الصحيفة في ذؤابة سيفي .

(٢) ج ٨ ص ٣٤ .

(٣) الطبري ٣ : ٢٥٠٠ . يعقوبي ج ٢ ص ٣٥٦ وما يليها . ابن خلكان (طبعة وستفلد) رقم ٥٧٩ ص ١٠٠ .

وقد ظهر لنا أن هذه الدعوة — وإن كانت دينية في أصلها ونشأتها — لم توجه دعائها نحو الغلاة من الشيعة إلا لتضم إلى صفوفها الكثيرين من المعتدلين ممن لم يحملهم بغضهم لمن كان يضطهدهم من ولاة الأمويين إلى كراهة الإسلام ، كما اضطرت بطبيعة الحال إلى التوفيق بين الإسلام والعقائد غير الإسلامية ، تلك العقائد التي كانوا لا يكشفون عن خباياها إلا لمن يكرسونه لهذه الدعوة . على أن الدعاة من الهاشمين قد أخذوا يطلعون العامة شيئاً فشيئاً على سر الدعوة الهاشمية حتى غدا ذلك جزءاً مكملًا لنظام الدعوة الفاطمية فيما بعد . ولم يكن لتلك الدعوة سوى عيب واحد وهو أنه كان يشترط في الدعاة الإخلاص التام للإمام والطاعة العمياء لأوامره . ومن ثم كان أكثر ما يخشى من ناحية هؤلاء الدعاة أن يستثوا استعمال ما لقنوه من أسرار الدعوة وأن يخونوا الأمانة التي حملوها فيدعون لأنفسهم .

كان العراق — كما لا يخفى — مهد الدعوة الهاشمية . فكان داعي الدعاة يقيم بالكوفة ، على حين كان دعائه يطوفون البلاد المجاورة لها . وقد انفرد صاحب كتاب العيون^(١) بالقول بأن خراسان كانت مهد هذه الدعوة . ولما كان ما ذكره صاحب هذا الكتاب إنما هو مقدمة لما تلاه من تلك الحوادث التي سنأتى على ذكرها ، كان من السهل أن نحكم بأن ما ذكره ذلك المؤرخ لم يكن إلا استنتاجاً خاطئاً . أضف إلى ذلك أن هناك من الأدلة ما يبين أن المدعوة الخراسانية إنما ابتدأت على يد العباسيين أولاد العباس عم النبي بعد أن استخلفهم أبو هاشم وألقى إليهم بمقاليده الدعوة^(٢) .

وإن تاريخ استخلاف أبي هاشم لأبناء عمه من العباسيين لأمر لا يكاد يجهله من له بعض الإلمام بالتاريخ الاسلامي .

(١) كتاب العيون ص ١ — ١٧ وما يليها .

Fragmenta historie. arabi. p. 180

(٢) ابن الفقيه (طبعة دي غويه) ص ٣١٥ . القدسي ص ٢٩٠ وما يليها .

مات أبو هاشم سنة ٩٨ هـ بالحميمة ، وهي قرية صغيرة من قرى فلسطين على حدود الصحراء الكبرى شمالى بلاد العرب ، حيث كان يعيش محمد ابن عبد الله بن العباس بعد أن أقصاهم حنق عبد الملك بن مروان عن بلاط دمشق . ويقال إن أبا هاشم لما شعر بدنو أجله أوصى إلى ولد العباس بحقه فى الإمامة ، وأمدهم بأسماء داعى دعائه فى الكوفة ومن يليه من الدعاة ، كما سلمهم كتباً يقدمونها إلى هؤلاء الدعاة . ومهما يكن من شىء فقد رأينا الإمام محمد بن على (العباسى) يضطلع بأعباء الدعوة بعد موت أبى هاشم ^(١) .

وليس من الصعب علينا أن نقف على الأسباب التى وجهت أنظار الإمام الجديد إلى بلاد خراسان . فقد امتاز أهلها عن سواهم من أهل الولايات الأخرى — التى كانت خليطاً من العرب وغيرهم (كالعراق مثلاً) — بالقوة والشجاعة ، كما ظلوا بعيدين عن كفاح الأحزاب السياسية فى دمشق حاضرة الدولة الإسلامية فى ذلك الحين . ولا غرو فقد كانت خراسان بلداً عذراء لم تنل منها الأهواء ولم تنقسمها الاختلافات الدينية ، يدل على ذلك خطبة الإمام محمد (بن على بن عبد الله بن العباس) ننقلها عن ابن الفقيه الجفرافى : « أما الكوفة وسوادها فشيعة علىّ وولده ؛ وأما البصرة وسوادها فعمانية تدين بالكف ، تقول كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ^(٢) ؛ وأما الجزيرة فخرورية مارقة ، وأعراب كأعلاج ، ومسلمون فى أخلاق النصارى ؛ وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبى سفيان وطاعة مروان ، وعداوة راسخة وجهل متراكم ؛ وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر . ولكن عليكم بأهل خراسان ، فإن هفاك العدد الكثير والجلد

(١) أنظر العقد الفريد ٢ : ٣٥٢ ، ، Fragm. hist. arab. p. 181 .
ابن قتيبة (طبعة وستنفلد) ص ١١ والعبارات التى ذكرناها قبل ص ٤٤ حاشية (٣) (ص ٨٠ — ٨١ من الترجمة) .
(٢) أنظر ص ٣٠ حاشية ٣ من هذا الكتاب .

الظاهر ، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تنقسمها الأهواء ولم يتوزعها الدغل ؛ وهم جنود لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل ، وهامات ولحي وشوارب وأصوات هائلة ، ولغات نغمة تخرج من أجواف منكسة . وبعد فاني أتفاءل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق » .

على أن هناك أمراً آخر — وإن لم يدل عليه كلام الإمام — قد جعل اختيار خراسان بوجه خاص اختياراً موفقاً ، ذلك أن الخراسانيين الأقوياء الأشداء قد قاسوا أسوأ صنوف الاستبداد من نير الأمويين . ولسنا بحاجة إلى تكرار مساوئ النظام الإداري في عهد الأمويين ؛ فقد تكلمنا عنه فيما تقدم . وحسبنا أن نذكر القاريء بما كان من تدمير الأهلين وكرهتهم العمال الذين عرفوا بسوء السيرة ثم رغبتهم الصادقة في المطالبة بالمساواة والعدل ، تلك الرغبة التي وقتنا عليها من ثنايا الحركة التي قام بها الحارث بن سُرَيْج . وهكذا كانت خراسان أرضاً خصبة لا تنقصها سوى بذور الدعوة لآل البيت^(١)

وقد أخلص الدعاة العباسيون لتلك الدعوة وأظهروا حماسة شديدة لنشرها في الولايات الإسلامية ، فكانوا يجوبون بلاد خراسان لبثها ، وظاهر أمرهم التجارة أو الحج إلى مكة . ولا غرو فقد كان الولاة يضطهدونهم ويسومونهم العذاب قتلاً وصلباً دون أن يرقبوا فيهم إلا ولا ذمة . ولما كان هؤلاء الدعاة من اليمانية ولد قحطان والمضرية من عرب الشمال ، كانوا يجوبون المدن والقرى حيث يصورون استبداد الأمويين بأسوأ الصور ويتهمونهم بأنهم لا يزالون ييطفون الكفر على الرغم من إدعائهم الإسلام . وكانوا لا يدعون لشخص معين ، وإنما كانوا يذيعون بين الناس أنه لا خلاص لهم إلا إذا ولى أمرهم آل البيت . ومن ثم نجحت جهود هؤلاء الدعاة . وقد عرفوا كيف

(١) الطبري ٢ : ٩٥٠ و ١٤٣٤ و ١٥٠١ والدينوري (طبعة Girgass)

يجذبون إلى صفوفهم الكثيرين من ذوى رأى والجاه ، فكان لانضمامهم إلى الدعوة أثر عظيم فى قيام الدولة العباسية . نخص بالذكر من بين هؤلاء سليمان ابن كثير الخزاعى الذى بايع جده الرسول تحت شجرة الحديبية^(١) . وليس بعيداً أن يكون أبوه قد رابط بخراسان مع المرابطين من الجنود العربية ، على حين كان يقيم هو فى سفيدنج^(٢) ، وهى قرية بواحة مرو . كما لا يفوتنا أيضاً أن نشير إلى شبيب بن قحطبة الطائى الشرنخشبرى^(٣) ، وكان من أنصار على . كما كانت تربطه بآبن سريج علاقة وثيقة لما كان بينه وبين زعيم المرجئة^(٤) من صلة الجوار القريب . وقد أسس هذان الرجلان مع عشرة آخرين جمعية أشبه بمجلس شورى تحت رئاسة داعى الدعاة ؛ ثم اتخذ كل منهم لقب « نقيب » على نحو ما كان يفعله الإسرائيليون فى مجلس شوراهم (القرآن الكريم ٢ : ١٥) الذى كان يتسكون من اثنى عشر حواريا ، ثم النقباء من أهل الشورى الذين انتخبهم الرسول من أهل المدينة^(٥) . وهكذا تأثر العباسيون فى تنظيم دعوتهم بمجلس الحواريين عند اليهود من ناحية ، فاتخذوا اثنى عشر نقيباً ، كما تأثروا من ناحية أخرى بمجلس الشورى فى عهد الرسول ، فاتخذوا سبعين داعياً^(٦) .

وهكذا سار كل مادبره العباسيون سيراً حسناً إلى أن اتفق لهم حادث لم يكونوا ينتظرونه فعكرو صفو سياستهم على ماسياتى بيانه .

(١) أنظر هذا اللفظ فى كتاب الأنساب للسمعانى ، أنظر أيضاً Sprenger,

ج ٣ ص ٢٤٥ .

(٢) ونصادف هذا الاسم فى الطبرى ٢ : ١٥٩٥ .

(٣) أنظر لفظ شرنخشير فى كتاب الأنساب للسمعانى .

(٤) الطبرى ٢ : ١٩٣٢ (١٥) .

(٥) Sprenger, vol. II. p. 532

(٦) الطبرى ٢ : ١٥٨٦ ، ١٩٨٨ .

الخزمية والرواندية

كانت الكوفة — التي ظهر منها الدعاة العباسيون — في مستهل القرن الثاني للهجرة مهداً لتشييع متطرف غير إسلامي . وهكذا لم يلبث الإسلام أن أصبح خليطاً من ديانات شتى ، على أثر إتصاله بالديانات والعقائد التي كانت سائدة في بلاد العراق قبل ظهور الإسلام (كديانة الفرس القدماء Parsces والمناوية والصابئة وغيرها) وذلك للتوفيق بينه وبين تلك الديانات المختلفة (وقد عرضنا لهذا في صفحة ٤٣ — ص ٨٢،٧٥ من الترجمة) وكان الدعاة يقومون بنشر الدين الإسلامي بين الناس بحماسة وحمية رغم هذا التغير الذي طرأ عليه في ذلك الحين ويدافعون عنه باخلاص وغيره . يدل على ذلك ما كان من الحكم بالاعدام على الكثيرين من الفلاة والمبتدعين منذ أيام علي أبي بن طالب إلى عهد المنصور العباسي (حين أصبحت بغداد حاضرة البلاد الإسلامية) ، وذلك لجرأتهم على الابتداع في الإسلام وإدخالهم فيه ما ليس منه . ففي الكوفة نشأ مذهب الكيسانية ؛ وكانوا يرون أن الدين طاعة رجل واحد ، وأن طاعة ذلك الرجل تفقيهم من الاثمار بأوامره والانتها بخواهيه ، ثم الهاشمية الذين فتحوا الباب على مصراعيه لكثير من الأفكار المضطربة والعقائد المتباينة . وقد ساعدهم على ذلك ما ذهبوا إليه من القول بالتأويل . ولم يكن بد من أن يتأثر دعاة بني هاشم ثم العباسيون الذين نشأوا في هذه البيئة بتلك الروح غير الإسلامية . ومن ثم لم أتردد في أن أنسب إلى دعاة أبي هاشم التشيع لعقيدة الهاشمية ، تلك العقيدة التي كانت — إذالم أكن مخطئاً — عماد دعوتهم .

وأما الدعاة العباسيون فانا لا نعلم بالضبط كيف كانوا ينشرون دعوتهم .

فقد أمر النقباء الغلاة من الدعاة بأن لا يصرحوا باسم المدعو له ^(١) ، وأن يظل هذا الاسم سرّاً مكتوماً إلى أن تحين ساعة الخلاص من نير الأمويين ، على حين أن أخفوا عن المعتدلين منهم سر عقيدتهم . على أن هؤلاء الدعاة كانوا على الرغم من ذلك متطرفين مغالين يواجهون الموت في سبيل دعوتهم بشجاعة تذكرنا بهؤلاء الشهداء الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل المذهب الباطني ، تلك التضحية التي لا يمكن أن أعزوها إلا إلى ما تأصل في نفوسهم من الاقتناع الديني بصحة دعوتهم ^(٢) .

وإلى القارئ هذه العبارة التي نقلها الطبري عن المدائني المؤرخ المتوفى سنة ٢١٥ هـ فإنها تمدنا بآراء سديدة ^(٣) قال : « إن رجلاً من الراوندية كان يقال له الأبلق وكان أبرص ، فتكلم بالفلو ودعا بالراوندية ، فزعم أن الروح التي كانت في عيسى بن مريم صارت في علي بن أبي طالب ثم الأئمة في واحد بعد واحد إلى إبراهيم بن محمد (سبط العباس عم النبي) ، وأنهم آلهة واستحلوا الحرمات . فكان كل رجل منهم يدعو الجماعة منهم إلى منزله فيطعمهم ويسقيهم ويبيع لهم « الحرمات » . فبلغ ذلك أسد بن عبد الله فقتلهم وصلبهم . فلم يزل ذلك فيهم إلى اليوم ، فعبدوا أبا جعفر المنصور وصعدوا إلى الخضراء فألقوا أنفسهم كأنهم يطايرون . ^(٤) »

(١) الطبري ٢ : ١٩٨٨ (٣) .

(٢) أنظر مارواه الطبري ٢ : ١٥٠١ وما يليها .

(٣) الطبري ٣ : ٤١٨ .

(٤) Sejecta historiae Halebi, ed. Freytag, p. 15, (٤) Theophilos. ed. , Boor, p. 430.

ولا يزال يعزى إلى طائفة النصيرية من الفرس القدرة على الطير في الهواء حتى اليوم ، كما يعزى مثل ذلك أيضاً إلى بعض البوذيين (Bodhistattva)
De Gobineau, Trois ans en Asie, P. 367 suiv.. Zeitschr.
d. D. M. G, XLV, p. 590 n. 2.

وخرج جماعتهم على الناس بالسلاح فأقبلوا يصيحون بأبى جعفر أنت أنت
(يعنون أنت الله) .

وعقيدة الراوندية جديرة بالبحث والدرس . ويمكن الرجوع إلى ما كتبه
Herbelot ; Bidliotheca Oriesntali, i, v.

فايل ج ٣ ص ٣٧ وما يليها ميللر ج ١ ص ٤٩٤ . ولاسيا وأن المعلومات التي
نقلناها عن المصادر التي اعتمدنا عليها ليست وافية فيما يتعلق بعقيدة هؤلاء .
وكل ما يهمنا في هذا الموضوع هو أن المدائني قد عزا إلى الدعاة العباسيين آراء
وعقائد مماثلة لعقائد الراوندية ، إذ لا يشك في أن هؤلاء الذين صلبهم أسد
ابن عبدالله وإلى خراسان من دعاة العباسيين كانوا من الراوندية^(١) .

وليس أدل على ذلك مما ذكره بعض المؤرخين عن ثالث الدعاة واسمه
خداش (من خداش بمعنى مزق بأظافره . وإنما سمي بذلك الاسم كناية عن
تمزيقه الدين . وكان خداش يشتغل بصناعة الخزف بالحيرة (بالقرب من
الكوفة) ؛ وكان مسيحياً ثم أسلم واشتغل بتدريس القرآن ثم انضم إلى
الدعوة العباسية ، فبعثه داعي الدعاة بالكوفة إلى خراسان حيث أخذ يث
الدعوة لمحمد بن علي . ولم يلبث أن انصرف عن العباسيين وأخذ يذيع عن
الإمام العباسي بعض العقائد الباطلة وينشر بين الناس عقائد الخرمية ويدعو
إلى الاشتراكية مما أدى إلى قيام النفور بين الإمام (العباسي) والشيعة من
أهل خراسان . وقد ظل ذلك حتى بعد موت خداش سنة ١١٨ هـ حيث أمر
أسد بن عبد الله بقطع أطرافه ثم قتله .^(٢)

(١) أمر أسد بقتل بعض الدعاة العباسيين في سني ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٧ ، ١١٨

(٢) الطبري ٢ : ١٥٨٨ .

وهذه الحوادث — رغم ما فيها من نقص — قد تجيز لنا بأن نعتبر خدasha أحد هؤلاء الراوندية الذين عرض لهم المدائني . على أن تلك المعلومات لا تكفي هي ولا مذكوره المدائني لإبداء رأى قاطع عن حقيقة مذهب أولئك الدعاة من العباسيين . لذلك نكتفي بذكر بعض الملاحظات العامة عن هذا المذهب .

كان السنيون لا يفهمون شيئاً عن تلك الطوائف التي كانت تحاول الوصول من وراء الشعائر الدينية إلى حكمة جميع الشرائع وسرها ، إذ كانوا يعتبرونها أرقى وأرفع من تلك الظواهر الدينية ، وذلك لبغض أهل تلك الطوائف جميع الديانات السماوية لما كانت تثقلهم به (حسب زعمهم) من الواجبات وتفرضه عليهم من الفروض .

من ذلك مثلاً ما رمى به السنيون أهل هذه الطوائف من محاولة تبرير ارتكاب المحرمات حين قال بعضهم إن أوامر القرآن ونواهيه لا قيمة لها في نظر المؤمنين الذين أدركوا أسرار الدين ورأوا أنهم في حل من الخروج عليها . ويرى بعض الباحثين أن هناك صلة بين اسم الحرمية الذي قد يكون مشتقاً من حُرْم اسم لمدينة بيلاد ميديا^(١) — أو كلمة حُرْم ، ومعناها « لذيذ » . فإذا ما تكلمنا عن « حرم دينيا » Khorram-dinia فلنكن نبين أن هؤلاء كانوا لا يعرفون ديناً غير اللذة . ومن هنا يتبين لنا أن هذه الطوائف وإن كانت قد جعلت للنساء مكانة أرقى من المسكنة التي كانت لهن في البلاد الشرقية وأباح لهن الظهور في المجتمعات الدينية^(٢) ، فلم يكن ذلك إلا بقصد الاستمتاع بظهورهن في تلك المجتمعات .

(١) ميللر ج ١ ص ٤٠٥ .

(٢) دي جوينوج ١ ص ٣٦١ دي ساسي ج ٢ ص ٣٩٧ وما يليها . بداوت :

سنة بين الفرس ص ٢١٦ .

على أن ما ذهبت إليه هذه الطائفة من الاستمتاع باللذة التي لا حد لها لم يكن العامل الوحيد فيما كان يمكنه أهل السنة من البغض لهذه الطوائف ، وإن كنا لا نستطيع في الوقت نفسه أن نفكر أنه كان لغو بعض المتطرفين من أهل هذه الطوائف أثر كبير في بغض السنيين لطائفة الخرمية ^(١) . يؤيد ما ذهبنا إليه هذه البحوث الجديدة التي قام بها مستر « براون » عن البابية X

Browne, II. p. 523

(١)

X أسس هذه الطائفة ببلاد الفرس سنة ١٨٤٤ — ١٨٤٥ م ميرزا علي محمد الشيرازي ولما يناهز الخامسة والعشرين من عمره . وكان قبل أن يؤسس هذا المذهب أحد تلاميذ السيد كاظم من أهالي مدينة رشت وزعيم طائفة الشيوخ إحدى طوائف الشيعة الغالية . وتماز البابية من بين طوائف الشيعة بالقول بوجود سطة بين الإمام الثاني عشر وأتباعه ؛ ويسمون هذه الواسطة « ركني رابع » أو « الشيعي الكامل » وهو أحد الأبواب الأربعة التي يتصل الإمام عن طريقها بأتباعه أثناء غيبته الصغرى (٢٦٠ — ٣٢٨ هـ و ٨٧٤ — ٩٤٠ م) . لذلك سمي هذا المذهب « البابي » . ولم تكن تسميته بهذا الاسم راجعة إلى « باب الله » أو « باب الدين » كما زعم بعضهم أن ميرزا علي محمد قد تلقب بهذا اللقب . على أن ميرزا هذا لم يلبث أن عدل عن هذا اللقب (باب) ولقب نفسه « نقطة » . فظل لقب باب شاغرا إلى أن تلقب به أحد تلاميذه حسين محمد من أهالي مدينة بشرويه ببلاد الفرس .

وفي سنة ١٨٦٣ م زعم ميرزا حسين علي الملقب « بهاء الله » وأحد أتباع صبحي عزيز زعيم البابية في ذلك الحين بأنه النبي المنتظر (من يظهره الله) ، فتبعه كثير من البابية على حين أن رفض عزيز وأتباعه القليلون الاعتراف بما ادعاه بهاء الله . ومنذ ذلك الوقت انقسمت البابية إلى طائفتين : العزيلية والبهاية . وقد بذلت الحكومة الفارسية المساعي لطرده البابية من بغداد ، فغادرتها إلى القسطنطينية ثم إلى أدرنة . وفي سنة ١٨٦٨ م اعتقل بهاء الله وأتباعه بعسكاً في سورية ، على حين أن نفي صبحي عزيز وأتباعه في جزيرة قبرص ، فظل بها

في بلاد الفرس^(١). ولم تدخر المصادر الفارسية التي يصح الاعتماد عليها في هذا الموضوع وسعاً في كيل التهم للباييين بنفس السكيل الذي كان المسلمون في صدر الاسلام يكيلون به تلك التهم نفسها لطائفة الخرمية، ويزعم أصحاب هذه المصادر أن جميع الباييين كانوا لا يتقيدون بالشريعة الإسلامية ولا يدينون بها، وأن كل شيء مشترك بينهم سواء في ذلك الثروة أو النساء، حتى تبسط مملكة «باب» سلطانها على العالم أجمع وتسنع قوانين جديدة لتنظيم الحياة الروحية والزمنية^(٢). وقد نشرت جريدة طهران اليومية الكثير من المقالات في كفر الباييين وإلحادهم واتجاههم نحو الاشتراكية، تلك الاشتراكية التي لم تكن إلا مظهراً جديداً للاشتراكية التي كانت سائدة في أيام مزدك^(٣).

حتى مات سنة ١٩٠٨. وأما بهاء الله فقد مات بعكاء سنة ١٨٩٢، خلفه ابنه عباس افندي الملقب بأبي البهاء.

وقد دب الانقسام بين طائفة البهائية على إثر قيام محمد علي أحد أبناء بهاء الله الأربعة وادعائه الزعامة بعد أبيه. على أن عباس افندي لم يلبث أن انتصر على أخيه واستقل بالأمر دونه. وقد انتشرت البهائية في أمريكا على يد إبراهيم جورج خير الله الذي بدأ يدعو لمحمد علي البهائي في مدينة شيكاغو. ولا يزال هناك فريق كبير يدين بالذهب البهائي في أمريكا إلى اليوم. ويرجع ذلك إلى مقام به دعاة البهائية، وعلى رأسهم ميرزا أبو الفضل، لبث تعاليم هذا المذهب ودعوتهم إلى عباس افندي. أنظر دائرة المعارف البريطانية ثم ما كتبه كل من دي جويينو، براون.

The New History of the Bab (Cambridge, 1893)

— المترجم —

“The Babis of Persia” (J. R. A. S.), vol xxi, p. 881 (١)

”A Traveller, ‘snarrative written to illustrate the edisode of the Bâb.”

Mirza Casim Beg, Le Journ. asiat. 1866 t. I p. 482. (٢)

(٣) لمعرفة مزدك والمزدكية أنظر Nöldeke

بيد أنه ليس ثمة ذكر مطلقاً لذلك الغلو الذي نحن بصدده في كتب البابيين التي محصها مستر « براون » تمحيصاً تاماً ، والتي تعد دراسة ممتعة ولا سيما فيما يتعلق بالنتائج التي وصل إليها . وإذا كان انصراف هؤلاء عن الاشتراكية يعتبر تحدياً لها ، فمن البعيد جداً أن يحتم زعماء هذا الحزب على أتباعهم التمسك بتلك الاشتراكية باعتبارها قاعدة لا يمكن الخروج عليها . أضف إلى ذلك أنه لم يرد شيء مطلقاً عن تلك الاشتراكية في كتبهم .

لذلك لا يجمل بنا أن نأخذ بكل ما يمدنا به المؤرخون من العرب على علاته عن طوائف الخرمية التي أتينا على ذكرها . وأما تلك النزعة التي كان يرميهم بها أهل السنة ، وهي إستباحة المحرمات ، فمدشوها هذه الحالة النفسية الماثلة لتلك الحالة التي كانت مسيطرة وقتئذ على بعض الناس كجهنم بن صفوان (أنظر ص ٣١ وما يليها ص ٦٥ من الترجمة) ، الذي لم يدخر أهل السنة وسعاً في رميه بنفس تلك التهم ^(١) . على أن تلك النزعة لم تكن أكثر من كراهة للتمسك بالشعائر الدينية — ذلك التمسك الذي طالما كان يتخذ ذريعة لاضطهاد الشعوب الأجنبية — ثم بغض للظلم واحتقار لجمع الثروات بوسائل دينية . أما نظرية التجسد التي جمع الراوندية بينها وبين عقائدهم غير الإسلامية فقد حاولوا بها الخلط بين عقيدة السبئية (أنظر ص ٤٠ من الكتاب ، ص ٨٩ — ٩٠ من الترجمة) ومذهب الكيسانية الذي يقول أتباعه باستمرار النبوة . لذلك لا يبعد أن يكون خدش الخرمي هو أول من دعا لذلك المذهب الذي طالما كان يبشر به الباطنية (أنصار مذهب وحدة الوجود) ثم المصلحون من الفرس ، وهو مذهب تجسد الحكمة الإلهية في شخص من الأشخاص . ومن ثم لم تقتصر النبوة عندهم على تلك الفترة القصيرة من الوحي ، وإنما هي — حسب زعمهم — حكمة خالدة لا يزال يشع نورها على الأرض ، سواء ظهرت في شخص معين أو ظلت مختبئة في مقرها الإلهي .

انتقال الدعوة العباسية

من العراق إلى خراسان

وليس بعيداً أن يكون خدّاش قد دعا لنفسه بعد أن خرج على الدعوة العباسية وتخلص من قيودها ، وزعم أنه يحيط بالأسرار الألهية كما فعل غيره من الدعاة ، ثم أقام نفسه زعيماً بعد أن كان داعياً فحسب ياتمر بأوامر رئيسه^(١) . وهكذا تحقق الخطر الذي تنبأنا به من قبل ، وهو أن يسئ الدعاة استعمال ما علموه من أسرار الدعوة وأن يخونوا الأمانة التي حملوها فيدعون لأنفسهم جهاراً . وقد بينا أثر ذلك فيما سبق . وقد استطاع خدّاش أن يضم إليه بعض النقباء -- ومن بينهم أحد أولاد سليمان بن كثير^(٢) -- ثم انقطعت الصلة بين الخراسانيين وداعي الدعاة في العراق وظلت على ذلك حتى موت خدّاش . على أن الدعوة العباسية لم تحمد رغم ما كان يحدق بها من الأخطار ، كما لم يكن للعقائد الشيعية الغالية -- كالتي كان يدعو إليها خدّاش -- أثر كبير في نجاح تلك الدعوة . فان هذه العقائد لم تستطع أن تؤثر إلا في بعض الدعاة ممن كانوا يعطفون عليها ويميلون إليها . وهذه العقائد ، وإن استطاعت وقتاً ما أن تفتن الجمهور بالوعود الخلافة والسعادة الأبدية ، فان عجزها عن أن تقنع العامة ثم دعوتها إلى مذهب الباطنية وقولها بوحدة الوجود قد ردها على أعقابها ورجع بها إلى ذلك الحمول الذي نشأت فيه .

وكان الخراسانيون الذين يختلفون إختلافاً كبيراً عن أهل بلاد فارس الغربية (وهم أهل ميديا والعراق وبلاد الفرس نفسها) أقل نزوعاً إلى حياة

(١) نظر سيرة بعض أشياعه في الذيل السادس من هذا الكتاب .

(٢) Opkomst der abbasiden , p. 40, n. 4.

الفكر والتأمل . ولا يزال منهم حتى اليوم عدد كبير من المسلمين المتحمسين لمذهب أهل السنة . أما كراهتهم للأمويين فانما كانت لحكمهم الظالم ونيرهم الذى لا يحتمل . كذلك لم يكن ميلهم إلى أهل البيت إلا رغبة فيما كانوا ينتظرونه على أيديهم من الحكم بالحق والعدل فى السيرة . لذلك كانوا لا يفضلون إماماً على آخر ، حتى إنهم قد رحبوا بالعباسيين وأخلصوا فى خدمتهم حين علموا آخر الأمر أن الخلافة لهم دون غيرهم من أهل البيت . وكان هؤلاء الدعاة الذين أوفدهم العباسيون من الكوفة لجذب أهل هذه البلاد إلى دعوتهم خطراً شديداً عليهم ؛ غير أنه لم يكن بد من استخدامهم أول الأمر . ومن ثم كان لزماً على العباسيين أن يتلمسوا غيرهم ممن هم أكثر صلاحية وآمن جانباً ، ولا سيما بعد أن فرغوا من وضع أساس الدعوة لهم فى البلاد الإسلامية .

وقد ظفر العباسيون بهؤلاء من بين النقباء الذين كانوا يمثلون الحزب الخراسانى وعلى رأسهم سليمان بن كثير . لذلك وجب علينا أن نعى بوجه خاص بدراسة ذلك الحزب الخراسانى . ويظهر لنا أنه كان ثمة فرق كبير بين هؤلاء النقباء وبين الدعاة من أهل العراق ، كما نرى فى الوقت نفسه أن عقيدة هؤلاء النقباء — وقد نشأوا فى خراسان وأقاموا على مقربة من مرو — لم تختلف فى شئ عن عقيدة السواد الأعظم من مواطنيهم ، وأن الدعاة من أهل العراق إنما كانوا يأتونهم من الناحية السياسية لا الدينية . فقد قال أحد الثوار من أهل اليمن للحارث بن سريج إنه لا يريد العمل إلا بكتاب الله . فصاح قطبة أحد النقباء : « لو كان صادقاً لأمددته ألف عنان » (١) .

وليس ثمة غلو أو إغراق فى تلك الكلمات . فقد صدرت من مسلم يرى فى كتاب الله المثل الأعلى للعدالة والحق . وكان أشباع الحارث بن سريج دون غيرهم يعرفون كيف يصبرون حتى تحين الفرصة ، كما أدرکوا منذ اللحظة

الأولى أنه لا مناص لطرد الأمويين من جيش على إتمام الاستعداد للقتال في أى لحظة . لذلك انضموا إلى هؤلاء الدعاة ودخلوا في الدعوة العباسية طائعين ، وقد اتبع بعض النقباء خدasha حين جهر بالدعوة إلى مذهب الخرمية في الوقت الذي ثار فيه السواد الأعظم منهم على هذا المذهب . ومنذ ذلك الحين ابتداء هؤلاء يفهمون سياسة العباسيين وأنهم قد اتخذوا بدعوتهم . فقد أدركوا أن هذه الدعوة لم تقم في الواقع إلا على البدع والعقائد التي لا تمت إلى الدين بأية صلة ، حتى إنهم لم يطمئنوا إلى احتجاج الإمام على مذهب الخرمية حين أرسل إليهم داعي الدعاة من بلاد العراق ليعلمهم أن خدasha حمل شيعته على غير منهاجه . ولم يضمهم الإمام (محمد بن علي) إلى صفوفه إلا بعد أن « بعث إليهم بعض مضببة بعضها بالحديد وبعضها بالشبه » . فقدم بها بكير وجميع النقباء والشيعية ، ودفع إلى كل رجل منهم عصا ، فعملوا أنهم مخالفون لسيرته فرجعوا وتابوا » ^(١) .

وقد روى لنا بعض المؤرخين ^(٢) خبر زيارة سليمان بن كثير للإمام سنة ١٢٠ هـ بعد سنتين من وفاة خدasha . عل أن أحداً من هؤلاء لم يذكر لنا شيئاً عن نتيجة تلك الزيارة ، اللهم إلا بعض عبارات عامة لا قيمة لها . وليس من الصعب علينا أن نتنبأ بأثر تلك الزيارة ، فقد ساد على إثرها السلم بين الخراسانيين وزعيم العباسيين .

ومنذ ذلك الحين لم نعد نسمع شيئاً عن الدعاة الذين كانوا يوفدون من العراق ، ولا سيما بعد أن اضطلع سليمان بن كثير ^(٣) بأعباء الدعوة ببلاد خراسان

(١) الطبري ٢ : ١٩٤٠ .

(٢) Fragmenta hist, arab, p. 182

(٣) أنظر كتاب المقفى الكبير للمقرئ في المكتبة الأهلية بباريس ورقة ٦٥ والذيل السادس من هذا الكتاب . كترميز : المجلة الآسيوية (١٨٣٥) ج ٢ ص ٣٣٦ .

وهكذا نجح الشيعة وحدهم من بين جميع الأحزاب للمعادية لبني أمية في تقويض عرش الأمويين بفضل تلك الحركة التي قاموا بها لبث العقائد الشيعية بين المسلمين .

على أن السكوفة لم تعد تصلح لأن تكون مركزاً لتلك الحركة ، فقد كان أهلها خليطاً من عناصر مختلفة عرفوا بالتقلب في الميول والأهواء .

أما أهل خراسان وإن كانوا أقل غلواً فقد كانوا أكثر حماسة للدعوة لآل البيت . وقد جدّ دعاة بني العباس في ضم الخراسانيين الذين عرّكهم الحرب إلى الدعوة العباسية في الوقت الذي احتدم فيه النزاع في غير طائل بين المتطرفين من الشيعة وبين الخوارج في بلاد العراق وميديا .

ولم يبق أمامنا الآن إلا أن نبحث عن ذلك الدافع الذي حمل هؤلاء على الخروج على بني أمية في الوقت الذي كان يزعم فيه الأمويون أنهم قد انتصروا على جميع أعدائهم .

لم يكن ذلك الدافع سوى عقيدة هؤلاء بالمهدى المنتظر .

الباب الثالث

الإسرائيليات ×

— ١ —

التنبؤ ببعض الأشخاص والحوادث المعينة

يجب أن لا يغرب عنا حين ندرس التاريخ الإسلامى بوجه خاص والشرق بوجه عام ، مبلغ تأثير الروح الشرقية بكل ماله علاقة بالتنبؤ وكشف حجب

× الاسريئليات (Croyances Messianiques) نسبة إلى Messie . وهى مشتقة من اللاتينية Messias ، والسريانية Meshina بمعنى ممسوح ، ومن العبرية Mesha بمعنى المسح . والمراد المسح بالزيت المقدس ، وهو رمز لتتويج الملوك عند الإسرائيليين . ومعنى هذه الكلمة المحرر أو المخلص الذى بشر به الأنبياء بنى إسرائيل والذى عبده المسيحيون وألقوا إليه بالمودعة فى شخص المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام . وقد تمسك الناس بهذه العقيدة منذ هبوط آدم عليه الصلاة والسلام . ويطلق الفرنجة كلمة Messie على كل شخص مصلح يتطلع إليه الناس وينتظرون ظهوره . وقد أطلقت التوراة هذه الكلمة قبل ظهور عيسى بن مريم لإطالقين مختلفين ، فأطلقتها بالمعنى العام على الملوك والأنبياء وكل من يبعثه الله برسالة من عنده ، على حين أن أطلقتها بالمعنى الخاص على الرسول الذى يبعثه الله لتكفير خطايا البشر وإنقاذ بنى إسرائيل وتخليص العالم مما نزل به من الظلم والإضطهاد . وهكذا كان شعب الله المختار أول من دان بهذه العقيدة ، كما لا يزال ينتظر ظهور ذلك المخلص إلى اليوم . وقد ظل القرون الطويلة يحدوه ذلك الأمل الذى كان يشجعه على التمسك

الغيب عن المستقبل — قل ذلك التأثر أو أكثر — ذلك التأثر الذى يهمننا أن نتتبع آثاره وإن كان من الصعب علينا تحديد مداه .

بأهدابة تنبؤات الكثيرين من أنبياء بنى إسرائيل الذين ظلوا عشرين قرناً يبشرون بهذا المهدى ويتنبئون بذلك المخلص الذى تنتظره جميع الشعوب والأمم . ويرى بنو إسرائيل أن فكرة المسيح قديمة درجت مع الإنسان منذ أيامه الأولى . ولا غرو فإنهم يزعمون أن الله قد بشرهم به ووعدهم بإياه غداة اليوم الذى هبط فيه آدم من الجنة بعد أن غررت به الحية وسوست إليه أن يأكل من الشجرة التى نهاه الله عنها (سفر التكوين إصحاح ٣ آية ١٤ ، ١٥) . ويقول أنبياء بنى إسرائيل إن ذلك « المخلص » سيخرج من نسل إبراهيم بن إسحاق بن يعقوب من قبيلة هودا (سفر التكوين إصحاح ١٢ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧) وإنه سيتنصر على قومه رغم بغضهم له وكراهتهم إياه ، وأنه سيشرع لهم من الدين ما لم تأت به الشريعة الموسوية ، وأنه يولد من امرأة عذراء بييت لحم .

هذه هى عقيدة المسيح كما يدين بها الإسرائيليون : على أننا إذا دققنا البحث وجدنا أن تلك العقيدة كانت منتشرة بين جميع الشعوب والأمم . فقد ظهرت فى خرافة تيفون Typhon وهوروس Horus عند قدماء المصريين ، كما نجدها أيضاً فى مذرا Mithra إحدى القصص الفارسية ، ثم فى كتب الصينيين القديمة ، وكذا فى عقائد الهنود ولا سيما ما يتعلق منها بتناسخ براهما . ولا تزال آثار تلك العقيدة باقية إلى اليوم بين أهالى شبه جزيرة اسكنديناوة وبين الوطنيين من بلاد المكسيك . ويقول فولتير « يرى الهنود والصينيون أن المسيح سيخرج من المغرب على حين أن يرى الغربيون أنه سيخرج من المشرق » .

ويطلق علماء المسلمين كلمة إسرائيليّات على جميع العقائد غير الإسلامية ، ولا سيما تلك العقائد والأساطير التى دسها اليهود والنصارى فى الدين الإسلامى منذ القرن الأول الهجرى .

أنظر لفظ Messie فى دائرة معارف لاروس ودائرة المعارف الفرنسية ،

وقد أفرد ابن خلدون في « مقدمته » فصلين لدراسة هذا الموضوع يعتبران من أهم فصول هذا الكتاب^(١). ويكاد ابن خلدون أن يكون المؤرخ الشرق الوحيد الذى أدرك أهمية هذا النوع من التنبؤ فى تاريخ الشرق ، كما كان أول من نعى عليه وشهرَّ ببطلانه . وأما نحن معشر الغربيين فقد استرعت عقيدة المهدي — والمهدي المنتظر بوجه خاص — أنظار المستشرقين منا ، لما كان لها من الأثر فى سياسة الشرق حتى اليوم . ولا تزال بحوث مسيو دار مستيتر (M. Darmesteter) وسنوك هر جرنيه (Snouck Hurgronje) عن نظرية المهدي ذات أهمية تاريخية . كبيرة^(٢) وقد بين لنا مسيو دى غويه (De Goeje) فى كتابه etc. Carmathes du Bahrain, مقدار ما كان لتلك التنبؤات من الأثر فى مجرى الحوادث فى القرن العاشر الهجرى (وبخاصة ما كان يقوم منها على بعض قواعد التنجيم^(٣)) على حين لم يُعن غيره من المؤرخين بكشف هذه الناحية من نواحى التاريخ الإسلامى . وليس يحضرنى فى هذا الموضوع سوى هذه المعلومات القليلة التى خلفها لنا كل من مسيو دى ساسى (De Sacy)

ولفظ Messiah فى دائرة المعارف البريطانية ، ثم ما كتبه :

Drummond, The Jewish Messiah, Kuenen, Religion of Israel, chap. xii. Edersheim, Life and Times of Jesus the Messiah, 2 nd ed vol. I. pp. 160—179, vol. II. p. 434 seq.

— المترجمان .

(١) Notices et Extraits, Tom. xvii. p. 142—201, trad —

uction (ibd. xx) p. 158—237.

(٢) أنظر كتاب Le Mahdi depuis les origines de l' Islam

jusqu, (المهدي منذ ظهور الإسلام حتى اليوم) , Pasis, 1885

للأستاذ جيمس دارمستيتير (James Darmesteter) وكتاب Der Mahdi

للأستاذ سنوك هر جرنيه Snouck Hurgronje فى Separata — tabdruck

Von der Revue coloniale Internationale, 1886

(٣) دى غويه : « القرامطة والفاطميون » ص ١١٥ وما يليها .

وكترمير (Quatremère) وقايل (Weil) ودوزي (Dozy) . وقد أفردت في كتابي الذي كتبته عن اعتلاء العباسيين عرش الخلافة فصلاً خاصاً لتلك التنبؤات التي كان يؤمن بها الناس والتي تأصلت في نفوسهم ولا سيما في عهد بني أمية ^(١) . وقد مكنتني مقام به العلماء من البحوث من الإحاطة بما كان لتلك التنبؤات من الأثر في سياسة الدولة الإسلامية في ذلك الحين . ويرجع كل ما ذكرته إلى تلك الطريقتين المختلفتين اللتين كانت تعالج بهما الأمور المستقبلية . ولم تسكن هذه التنبؤات سوى تكهنات لا يكاد يعرف واضعها ، كما كانت تتعلق بوفاة بعض الأشخاص من ذوى المكانة والشهرة أو ببعض الحوادث الهامة . وإلى القارىء بعض الأمثلة من تلك التنبؤات :

كان المختار زعيم الشيعة يزعم أنه هو « ذلك الرجل من ثقيف الذي يفتح عليه بالمدار X فتح عظيم » . على أن تلك النبوءة قد صدقت في الحجاج بن يوسف من نفس قبيلة ثقيف . فقد انتصر على أحد الثائرين ، وهو عبد الرحمن بن الأشعث ^(٢) . كذلك أبي الحسين بن علي أن يذكي نار الثورة في بلاد الحجاز ، وذلك لما أخبره به أبوه من « أن بها كبشاً يستحل حرمتها » ، وقال : لا أريد أن أكون ذلك الكبش ^(٣) . وقد ذكر الخليفة هشام بن عبد الملك الأموي حين مات زيد بن علي هذه النبوءة وهي أن شاة ستذبح بالعراق ^(٤) . وهناك نبوءة ثالثة وردت في بعض الأحاديث عن الرسول طالما كان يتحدث بها الناس « والله إنك الأذريق قيس المذبوح

(١) Opkwomst, p. 132 suiv.

X مكان بين واسط والبصرة — أنظر معجم البلدان لياقوت .

(٢) الطبرى ٢ : ٧٤٨ .

(٣) المصدر نفسه ٢ : ٢٧٦ .

(٤) المصدر نفسه ٢ : ٨٤٦ .

فيها كما تذبح الشاة» ^(١) . وقد تنبأ بعض المتنبئين للحارث بن سريح أنه سيموت تحت زيتونة أو شجرة غبيراء ^(٢) . وقد تحققت تلك النبوءة وجاءت كفلق الصبح . ومهر الأصمغ بن عبد العزيز أحد أمراء بني أمية في هذا النوع من التكهن بالغيب وكشف الأمور المستقبلية ^(٣) ، كما حذقت ابنته دحية نفس ذلك العلم . ولما رأى الأصمغ الشج في وجه أخيه قال : « الله أكبر ! هذا أشج بن مروان الذي يملك » .

ومما تجب ملاحظته أن هذه التنبؤات كانت متشابهة كما أن واضعها إما من اليهود أو المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام ^(٤) :

وقد تنبأ أحد اليهود (رأس الجلوت) بموت الحسين (بن علي) بالقرب من كربلاء ^(٥) ، كما تنبأ تبليغ ابن امرأة كعب الأحبار - وكان أبوه يهودياً - بموت عمرو بن سعيد ^(٦) .

وكان بجانب هذه التنبؤات المتفرقة كتب للتكهن والتنبؤ بالغيب . على أن هذه الكتب لم تكن معروفة عند العرب في بادئ الأمر ، وإنما وصلت إليهم عن طريق اليهود والمسيحيين الذين كان يحتفظ بها أنبيأؤهم من زمن بعيد ومن بين هذه الكتب ما كان يعزوه مؤلفه إلى بعض الأنبياء لتحوز شيئاً من ثقة الناس بها ، كما كان منها ما يحتوي على طائفة من الألفاظ والأحاجي وما إلى ذلك من الكتب التي لم تكن إلا رموزاً غامضة وإشارات مبهمة .

(١) الطبرى ٣ : ١٦٤ .

(٢) المصدر نفسه ٢ : ١٩٣٤ .

(٣) كان عالماً بخبر ما يكون . ابن قتيبة - كتاب المعارف ص ١٨٤ .

(Wiiseienfeld, Regeistr geneal. Tabel)

(٤) الطبرى ١ : ٢٤٠٣ و (٥) ٢٤١٠ (٢ وما يليه) .

(٥) المصدر نفسه ٢ : ٢٨٧ .

(٦) المصدر نفسه ٢ : ٧٨٦ .

وقد وصلت تلك التكهّنات إلى العرب على أيدي القيسيين والرهبان والقبط واليهود وغيرهم ممن أخذوا على عاتقهم إذاعتها بين المسلمين .

وقد بنى الحجاج بن يوسف مدينة واسط على شاطئ نهر دجلة ، بعد أن ظل مدة طويلة يتخير مكاناً ملائماً لبنائها ، حين رأى راهباً قد أخذ بيده بعض التراب وألقى به إلى النهر في ذلك المكان . وقد قرأ ذلك الراهب في كتبه أنه سيقام في ذلك المكان الذي تبول فيه دابته مسجد يعبد فيه الله وتقام به الشعائر حتى تقوم الساعة ^(١) . ونجد في هذه الكتب وما شاكلها أوصاف الأشخاص دون أسمائها أو أسماء الأشخاص دون أوصافها ^(٢) وطالما رجع الخلفاء إلى تلك الكتب ليقفوا منها على مدة خلافتهم . من ذلك ما أخبر به أحد اليهود يزيد بن عبد الملك أنه سيظل في الخلافة أربعين سنة ؛ فقال رجل من اليهود : « كذب لعنه الله ! إنما رأى أنه يملك أربعين قصبة ، والقصبة شهر فجعل الشهر سنة ^(٣) » .

وتسمى هذه المؤلفات بالكتب أو الكتب القديمة ^(٤) وهناك كتاب قديم يرجع تاريخه إلى القرن الأول الهجري ، وهو كتاب دانيال ، ويشتمل على بعض التنبؤات ذكر فيها عمر اسم الدردوق ومن الأشج ^(٥) . وقد ذاعت كتب دانيال أو التنبؤات الدانيالية (إذا صح هذا التعبير) بعد ذلك بكثرة عظيمة . ومن هذه الكتب نسخ عديدة بمكتبة المتحف البريطاني ومكتبات فينا وجوته (Gotha) والإسكوريال . على أنه ليس من بين تلك الكتب ما يرجع تاريخه إلى القرن الأول الهجري .

(١) الطبرى ٢ : ١١٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ٢ : ١١٣٨ .

(٣) المصدر نفسه ٢ : ١٤٦٤ .

(٤) العقد الفريد ج ٢ ص ٤٤٧ . الطبرى ٣ : ٢٥ .

(٥) ابن قتيبة ص ١٨٤ . دردوق كلمة من أصل أرمي .

وقد سارت كتب دانيال في الذبوع والانتشار بين الناس جنباً لجنب مع كتب الجفر التي اشتق اسمها من كتاب للتنبؤات كُتب على جلد بعير (جفر) ويعزى ذلك الكتاب إلى آل البيت وبخاصة إلى علي ثم إلى حفيده جعفر ابن محمد الصادق^(١).

وأما كتب الملاحم ، وهي أشعار تتضمن بعض التنبؤات عن الحوادث المستقبلية ، فيرجع تاريخها إلى القرن الأول الهجري . وقد اضطرب الأمر في خراسان اضطراباً شديداً بعد وفاة زيد بن علي (في خلافة هشام بن عبد الملك) . « ولما قتل زيد تحركت الشيعة بخراسان ... وظهر الدعاة ورؤيت المنامات وتدورست كتب الملاحم »^(٢) . وكلمة ملحمة معناها في الأصل معركة أو موقعة^(٣) (وبالعبيرية ملحمة) . وقد لاحظت في بعض العبارات التي وقفت عليها أنها تستعمل كناية عن حادثة خطيرة لامناس من وقوعها،^(٤) كما شاع استعمالها أيضاً في الحوادث المستقبلية ثم في العقائد التي يُتنبأ فيها عن خبر ما سيكون . وكانت الأكثر شيوعاً في كتب الملاحم هي الرمز للأشخاص بحرف واحد . من ذلك « ق » سيقتل « م » بمعاونة « ج » ؛ ثم يأتي « ش » فينتصر انتصاراً حاسماً وهكذا . وفي عهد آخر الخلفاء الأمويين (مروان بن محمد) كانت تجري على الألسن تلك النبوءة : « ع » بن « ع » بن

(١) مقدمة ابن خلدون . ترجمة De Slane ص ٢١٤ وما يليها .
ومما نشك فيه كثيراً إطلاق اسم الحيوان على اسم جلدته ؛ ولا يبعد أن تكون كلمة (جفر) من أصل أجني (قبلى أو يوناني . ويغلب على الظن أنها من أصل يوناني) .

(٢) اليعقوبى ج ٢ ص ٣٩٢ .

(٣) الطبرى ١ : ٢٦٥١ (٤) ٣٠ : ١١٣٢ .

(٤) ملحمة كتبت على . الطبرى ٢ : ٦٠٧ (٨) ، وابن هشام (طبعة وستنفلد)

ص ٨١٦ (١٥) ، واليعقوبى ج ٢ ص ٢١٥ ، 561 . Fragn. hist. arab.

« ع » سيقتل « م » بن « م » . وقد أوّل الناس هذا باسم الخليفة الأموي مروان بن محمد بن مروان وعبد الله بن علي بن عبد الله العباسي ^(١) .

— ٢ —

التنبؤ بمصير العالم

لم يبق أمامنا — بعد أن عرضنا في الفصل المتقدم لتلك التنبؤات المتعلقة بأشخاص أو حوادث معينة — إلا أن نتكلم عن طائفة أخرى من التنبؤات لم تكن أقل أثراً من سابقتها ، وهي التنبؤ بمصير العالم ونهايته .

ترجع هذه التنبؤات إلى أصل يهودي أو مسيحي ، إلا أنها لم تلبث أن صبغت بالصبغة العربية في القرن الأول الهجري . وقد شاع هذا النوع من التنبؤ في الأمة الإسلامية عن طريق كتب التنبؤات أو عن طريق الأحاديث التي وضعها اليهود والمسيحيون أو التي لا يخلو إسنادها من بعض اليهود أو المسيحيين ممن دخلوا الإسلام . وترجع شهرة كل من وهب بن منبه وتميم الداري وكعب الأحمار وتخليد التاريخ لأسمائهم إلى هذا النوع من الرجم بالغيب . وقد روى لنا المقرئزي إحدى الملح عن كعب ، نستطيع أن ندين منها المصادر التي كانوا يستمدون منها هذه المعلومات ، كما تبين لنا أيضاً احتقار بعض الناس لهذا النوع من التكهن وسخريتهم به . فقد سافر كعب مع محمد بن أبي حذيفة X في سفينة واحدة ، فسأله ابن أبي حذيفة ساخراً « هل هذا السفر مذكور عندكم في التوراة ؟ » : ولكن كعباً لم يعي جواباً عن هذا السؤال وأجاب : « إني أجد عندنا في التوراة أن شاباً أشعر

(١) De Sacy, Chrestomathie (2 me éd.) tome II. p. 298
suiv. , Journ. Asiat. , 1860, p. 134, Dozy, Supplément, s. v.

الطبرى ٢ : ١٩٠٣ ، ٣ : ٢٥ . للسعودي ج ٦ ص ١٠٨ .

X في الأصل محمد بن محمد بن حذيفة . والصحيح محمد بن أبي حذيفة — الترجمان

يضرب حتى يموت كما يموت الحمار وأخاف أن لا يكون أنت»^(١) .

وتنبؤ القرآن بمصير العالم مشهور ؛ وأظهر ما يكون هذا في تنبؤه بقرب الساعة (يوم الحساب) . وقد عرف هذا النوع من التنبؤ عند المسيحيين قبل ظهور الإسلام . على أنه لم يرد في القرآن شيء عن رجعة المسيح أو ظهور المهدي وكذا المسيح (الدجال) ولا عن تلك الاضطرابات والفتن التي تسبق قيام الساعة ، وإنما ورد هذا في كتب السنة ؛ ثم لم يلبث هذا النوع من التنبؤ والرجم بالغيب X أن أصبح جزءاً من العقائد الإسلامية ولا سيما في عهد بني أمية . ولم تقف هذه التنبؤات عند هذا الحد ؛ فقد شغلت الأذهان بقدر ما شغل التنبؤ بقيام الساعة أفكار الصحابة في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام .

ويطلق العرب كلمة الهرج على تلك الفتن التي يطلق عليها اللاهوت الرباني كلمة مَشِيخ (Kheblé-ham-Machiakh) . وتدل هذه الكلمة عادة على الضجة والاضطراب . وقد وردت في السنة بمعنى القتل ، وهو نفس المعنى الذي يدل عليه ذلك اللفظ في اللغة العبرية « هِرِج » (herég) : فإذا جاء

(١) أنظر لفظ محمد بن أبي حذيفة في كتاب المقفى الكبير للمقرئى (مخطوط ليدن) .

لم نستطع الرجوع إلى الأصل ؛ ولذلك لم نجد بدا من ترجمة هذه العبارة عن النص الفرنسى .

X لم يكن ما جاء به القرآن الكريم في هذا من قبيل التكهن أو الرجم بالغيب كما ذهب إليه « فان فلوتن » ، وإنما هو قول كتاب كريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه نزل به الروح الأمين (جبريل عليه السلام) على قلب النبي صلى الله عليه وسلم . قال تعالى (إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين . ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين) . سورة الحاقة آية ٤٠ — ٤٦ . — المترجمان .

لفظ الهرج في حديث من الأحاديث فعناه القتل كما هو عند الأثيوبيين (أو الحبش^(١)). ومن البديهي أن كلمة هرج مأخوذة عن العبرية دون الأثيوبية ، إذ ليس في الأثيوبية هذا المصدر « ه . ر . ج » .

ويمكننا أن نقف على مقدار ما كان للتنبؤ بالهرج من الأثر من قول الزبير (حين أبي أهل البصرة أن ينضموا إليه ضد علي بن أبي طالب) : « إن هذه للفتنة التي كنا نحدث عنها »^(٢) : على أن هناك من الأدلة ما هو أوضح مما تقدم . فمن بين الأحاديث التي رواها البخاري وأبو داود وغيرها من المحدثين في كتاب الفتن حديث نوه فيه الرسول بأولئك الذين سيلتزمون الحيدة في تلك الحروب الداخلية التي سوف تضطرم ناراها . من ذلك قول النبي (صلى الله عليه وسلم)^(٣) : « ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي . من تشرف لها تستشرفه . فمن وجد فيها ملجأ أو معاذاً فليعذبه . وهاك حديثاً آخر من هذا النوع^(٤) : « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف X الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » .

وقد ورد هذا الحديث بروايات مختلفة في كتاب الطبقات لابن سعد^(٥) . من ذلك قوله : « قدم المختار بن أبي عبيد الكوفة ، فهرب منه وجوه

(١) صحيح البخاري (طبعة مصر سنة ١٣٠٤ هـ) ج ٤ ص ١٥٩ .

(٢) ابن الأثير ج ٣ ص ١٧٨ .

(٣) صحيح البخاري ج ٢ ص ١٦٠ .

(٤) أبو داود (طبعة مصر سنة ١٢٨٠ هـ) ج ٢ ص ١٣٣ (س ٢٣ ،

والبخاري ج ٤ ص ١٦١ ، ج ٢ ص ١٩٩ .

X جمع شعفة وهي قمة الجبل .

(٥) كتاب الطبقات .

أهل الكوفة . فقدموا علينا البصرة وفيهم موسى بن طلحة بن عبيد الله (أحد أصحاب الرسول) . وكان الناس يرونه في زمانه هو المهدي . قال (خالد ابن سمير) ففشيهم ناس من الناس وغشيته فيمن غشيه ، فإذا شيخ طويل السكوت قليل الكلام طويل الحزن والكآبة ، إلى أن قال يوماً : « والله لأن أكون أعلم أنها فتنة لما انقضاء أحب إلى من أن يكون لي كذا وكذا وأعظم الخطر . فقال رجل من القوم : يا أبا محمد ! ما الذي تهرب وأشد أن تكون فتنة ؟ قال : أهرب المهرج . قال : وما المهرج ؟ قال الذي كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثون ، القتل بين يدي الساعة لا يستقر الناس على إمام حتى تقوم الساعة عليهم . وهو كذلك وأيم الله لئن كان هذا لوددت أني على رأس جبل لا أسمع لكم صوتاً ولا أرى لكم داعياً حتى يأتيني داعي أبي » أما المسيح الدجال Antichrist الذي يسميه العرب الدجال (أنظر البخاري ج ٤ ص ٧٦) فهو من أصل آرامي .

(daggolai mechikhe Hexapl. Dan, Xlv, 20 mechikhé daggolè Mat. , XXlv. 24)

ولم ينص القرآن على ذلك الدجال ولم يعينه . إلا أنه قد ورد في السنة اسم لرجل يهودي من أهل المدينة ، هو صاف بن صائد أو ابن الصياد ، صرح النبي بأنه هو الدجال . ومن ثم نبذه المسلمون ؛ فلم يكلمه ولم يخالطه أحد^(١) . وقد سمي المتوكل الليثي^(٢) أحد الشعراء المعاصرين المختار بالدجال

Sprenger, Das Leben und die Lehre des Muhammah, 111. (١)
92, n. 31.

تاج العروس ج ٢ ص ٤٠٢ ، أبو داود ج ٢ ص ١٤٠ ، الترمذی ج ٢ ص ٩٣ وما يليها ، صحيح مسلم (طبعة القاهرة سنة ١٢٩٠ هـ) ج ٢ ص ٣٧٧ وما يليها ، صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٥٦٥ ، ٢٥٦٦ ، الأغاني ج ١٩ ص ٢٥ .
ويتبين مما ذكره الطبري (١ : ٢٥٦٥ - ٢٥٦٦) وصاحب الأغاني (ج ١٩ ص ٢٥) أنه كان شخصاً تاريخياً .
(٢) الطبري ٢ : ٦٨٦ ، أبو داود ج ٢ ص ١٤٠ .

في إحدى قصائده ، وأخبر أحد اليهود من أهالي سورية عمر بن الخطاب بأن الدجال سيخرج من قبيلة بنيامين وأن العرب سيقتلونه على باب لد^(١) . ولما وصل المسلمون إلى مدينة نهاوند صاح الرهبان والقسس على الأسوار : « يامعشر العرب ! لا تمنوا فإنه لا يفتحها إلا الدجال أو قوم معهم الدجال » وقد دخل العرب المدينة بمعاونة صاف بن صائد الذي كان يقاتل في صفوف المسلمين وكانوا يسمونه الدجال^(٢) . ولما اختفى صاف في موقعة الحرة (٦٣ هـ) ، ذلك الاختفاء الذي لا يزال الناس يعتبرونه سرّاً غامضاً ، تلس العرب خلفاً له . ولما كان الدجال أعور العين اليمنى ، كان للمعور من هذا النوع حظ كبير في ذلك المضمار^(٣) . وكان إبراهيم بن عبد الله بن مطيع أعور العين اليمنى . وقد أراد يوماً أن يمزح في حضرة هشام بن عبد الملك مع أمير الكوفة ، فقال هذا : « مولاي ! لولا ما أخاف من غضبه عليك وعلى وعلى المسلمين لأجبتة . قال : وما تخاف من غضبه ؟ قال : بلغني أن الدجال يخرج من غضبه يفضيها »^(٤) .

ولما كان ما ذكرته كافياً للتدليل على انتشار تلك العقيدة ، لم أرد أن أثقل على القارئ بذكر جميع القصص والملح التي كانت شائعة عن الدجال في القرن الأول الهجري . على أني لا أجد بداً من أن أضيف تلك النبوءة إلى ما تقدم فقد قابل محمد بن اسحاق (+ ١٥١ هـ) أنس بن مالك وعليه عمامة سوداء ، ومن ورائه جمع من الصبية يصيحون : « هذا رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يلقى الدجال »^(٥) .

(١) الطبري ١ : ٢٤٠٣ .

(٢) الطبري ١ : ٢٥٦٥ .

(٣) الأغاني ج ٨ ص ٣٥ ، زهر الآداب (بهامش العقد) ج ١ ص ٣٢٠ .

(٤) العقد الفريد ج ٢ ص ١٤٩ . أنظر صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٧٤ وما يليها .

(٥) ابن خلكان (طبعة وستنفلد) رقم ٦٢٣ ص ٨ .

رجعة عيسى بن مريم وظهور الدجال

من المحتمل جداً أن النبوءة برجعة عيسى بن مريم قد شاعت وانتشرت بين المسلمين في نفس الوقت الذي انتشر فيه التنبؤ بظهور الدجال^(١) ، ولو أن هذا لم يرد إلا في السنة النبوية فحسب . ولو جاز لنا أن نعتمد على القصص والملح التاريخية في التدليل على صحة هذه النظرية لاستطعنا أن نحكم بأن نفوس المسلمين في الصدر الأول للإسلام كانت أقل ميلاً إلى الاعتقاد برجعة المسيح منها بظهور الدجال .

ولئن صح هذا الاستنتاج كان ذلك راجعاً إلى ما امتازت به العقلية العربية التي استطاعت أن تصف من كان يطلق عليهم اسم « المسيح » بصفة المسيح المخلص وأن تسند إليهم ما يقوم به المسيح نفسه (من الهداية) . وإلى القارئ تلك العبارة التي وجهها رسول من قبل أمير خراسان إلى زعيم اليمانيين من العرب : « أيها الأعور ! لعلك أنت ذلك الأعور الذي ستهلك على يديه مضر » . من هذا يتبين لنا أن الأمر كان يتعلق بنبوءة تؤول إلى هلاك قبيلة مضر على يد رجل أعور ، تلك النبوءة التي ليست إلا انصباً لقصة الدجال بالصبغة العربية ثم تطبيقها تطبيقاً دقيقاً على الشؤون السياسية العربية في ذلك الحين . لهذا كانوا يمثلون الدجال برجل أعور .

كذلك كان الحال فيما يختص برجعة المسيح عيسى بن مريم . فقد تنبأ الناس بأن « السفيناني » هو المسيح ، ذلك المخلص الذي كان ينتظره أشياع بني أمية وأنصارهم . وليس بعيداً أن يكون خالد بن يزيد بن معاذ قد ابتدع

(١) أبو داود ج ٢ ص ١٣٨ وما يليها . والترمذي ج ٢ ص ٣٦ .

نبوءة السفيناني هذه ، على ما جاء في كتاب الأغاني^(١) ، ليحفظ التوازن بين بطون البيت الأموي ، وليلين من شكيمة الأسرة الحاكمة ، أسرة بني مروان (من سلالة حرب ابن عم أبي سفيان) . وقد ظهر أحد أولاد سفيان من سلالة خالد هذا (وزعم أنه السفيناني المنتظر) وانضم إليه كثير من الأنصار والأشيعاء في آخر خلافة بني أمية . وقد وقفنا على تلك المحاولات العقيمة التي قام بها كثير من « بني سفيان »^(٢) من حين إلى حين .

أما اليمانيون فقد عقدوا كل آمالهم على القحطاني (المنتظر) ، وهو أحد الأمراء من سلالة قحطان^(٣) . وذكر المسعودي أن عبد الرحمن بن الأشعث ادعى أنه ذلك القحطاني المنتظر^(٤) . وقد أطلقت بنت سهم في إحدى قصائدها على الأشعث هذا اسم « المنصور عبد الرحمن »^(٥) . وهكذا كان المنصور هو المسيح المنتظر الذي كان ينتظره عرب الجنوب ليعيد الملك فيهم^(٦) .

(١) ج ١ ص ٨٨ .

(٢) أبو المحاسن ج ١ ص ٢٤٦ ، الطبري ٣ : ٥٣ (س ١٤) ، ٨٣٠ .

Freytag Historiae Selecta , Snouck Hurgronje, II. p. 11
Holebi, p. 12 suiv

(٣) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٦٧ (شرح) .

(٤) كتاب التنبيه والإشراف للمسعودي (طبعة دي غوية) ص ٣١٤ .

« خلع عبد المالك باصطخر فارس ، وخلعه الناس جميعاً ، وسمى بنفسه ناصر المؤمنين . وذكر أنه القحطاني الذي ينتظره اليمانية ، وأنه يعيد الملك فيها . فقيل إنما القحطاني على ثلاثة أحرف . فقال اسمي عبد ، وأما الرحمان (كذا) فليس من اسمي » .

(٥) كتاب الأنساب للبلاذري (طبعة Ahlwardt) ص ٣٣٤ .

(٦) Miiller, Die Burgen und Schlösser Siid-Arabiens, I p. 75 suiv.

وقد ألف المؤرخ أبو مخنف كتاباً في السنة عنوانه يا حميراً أو موت عبد الرحمن ابن الأشعث به الكثير من المعلومات عن هذا الموضوع (كتاب الفهرست طبعة

وبينما كان اليمانيون ينتظرون القحطان كان المضريون يعتقدون بالتميمي الذي لم تقف إلا على اسمه فقط وينتظرون ظهوره . وهناك أيضاً بعض النبوءات بكلي منتظر ، وهو زعيم يزعمون أنه سيخرج من بني كلب إحدى القبائل التمانية .

وأما المسيح (المخلص) عند الشيعة فهو معروف مشهور وكان يلقب بالمهدي ، ذلك اللقب الذي كان في بادئ الأمر أحد ألقاب الشرف ، فلم يلبث أن أصبح رمزاً لذلك المنقذ المنتظر من آل البيت « الذي سيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً » .

ومن الجلي أن الاعتقاد بظهور المهدي وانتظاره لم يقتصر بادئ الأمر على آل البيت وحدهم ، بل بدأ ذلك الاعتقاد يذاع وينتشر بين المسلمين على حسب إزدياد نفوذ الشيعة وانتشاره ^(١) .

وقد انتشرت فكرة المهدي المنتظر لدى أهل السنة حتى تحت ذكر غيره من المهديين مما كان يتنبأ بهم مثل السفينائي والقحطاني وغيرهما . ولا شك أن التنبؤ بهؤلاء وانتظارهم لم يتلاش تماماً من نفوس المسلمين ، وإنما صار هؤلاء بالنسبة إلى المهدي المنتظر كالرجال بالنسبة إلى عيسى بن مريم . لذلك كان من المعقول أن يظهر عليهم ذلك المهدي ويهزمهم هزيمة حاسمة وينتصر عليهم انتصاراً مبيناً .

— ٤ —

عقيدة المهدي وأثرها في سقوط الدولة الأموية .

كان البون شاسعاً بين تلك السعادة التي كان ينشدها الناس على يد المهدي

(١) ذكر بعض المؤرخين أن الناس كانوا يلقبون كلامن موسى بن طلحة وعمر ابن عبد العزيز بالمهدي . أنظر الذيل الخامس .

المنتظر وتلك الآلام التي كانوا يعانونها في ذلك الحين حيث الحروب الأهلية التي أذكى ناراها انقسام خلفاء بنى أمية على أنفسهم ، والتي كانت تلهب لظاها تلك الأحن والأحقاد القديمة بين مضر وقحطان ؛ تلك الحروب التي خربت بلاد الشام حيث اندلع لهيبها أول الأمر ، ثم تطاير شظاها إلى غيرها من الولايات الإسلامية .

وقد ساد الاضطراب في كل أنحاء الدولة الأموية واستولى على العرب مرة ثانية ذلك الميل إلى الحرب والكفاح ، فرفع الشيعة والخوارج رءوسهم . وظلت الحاميات السورية وحدها على ولائها للعرش الأموي ، على حين أن كان المرابطون من الجنود العربية يشايعون أعداء الحكومة ، حتى كادت تلك الفتن أن تأتي على ذلك التراث الذي خلفه النبي (صلى الله عليه وسلم) وتودى بذلك الإصلاح الذي قام به كل من أبي بكر وعمر . وهكذا كان ذلك العصر عصراً محزناً ملاً قلوب التقاة من المسلمين تشاؤماً بالمستقبل . وقد وصف لنا هذه الحالة السيئة الحارث بن عبد الله الجعدي الشاعر في هذه الأبيات :

أبيتُ أرعى النجوم مرتفعاً^(١) إذا استقلت تجرى أوائلها
من فتنه أصبحت مجلّة^(٢) قد عم أهل الصلاة شاملها
من بخراسان والعراق ومن بالشام كل شجاء^(٣) شاغلها
فالناس منهم في لون مظلمة دهاء ملتجة^(٤) غياطها^(٥)
يمسى السفيه الذي يُعنف بال جهل سواء فيها وعاقبها

(١) المرتفق الواقف الثابت . والمراد منها السهر .

(٢) مجلّة : شاملة . وما بعدها يفسرها .

(٣) شجاء : حزنه وطربه .

(٤) الملتجة من العيون الشديدة السواد .

(٥) والغيطلة (بفتح الغين والطاء) الظلمة المتركمة .

والناس في كربة يكاد لها تنبذ أولادها حواملها
يغدون منها في كل مبهمة عمياء تمنى^(١) لهم غوائلها
لا ينظر الناس في عواقبها إلا التي لا يبين قائلها
كرغوة البكر^(٢) أو كصيحة جد لي طرقت حولها قوايلها
فجاء فينا أزرى^(٣) بوجهتها فيها خطوب حمر زلازلها^(٤)

وكذلك تصف لنا هذه الأبيات التي نظمها عباس بن الوليد حرج الدولة
الأموية وما وصل إليه الأمويين من يأس وقنوط :

إني أعيدكم بالله من فتن مثل الجبال تسامى ثم تندفع
إن البرية قد ملت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تلحمن^(٥) ذئاب الناس أنفسكم إن الذئاب إذا ما ألحمت رتعوا
لا تبقرن بأيديكم بطونكم فتم لا حسرة تغنى ولا جزع^(٦)

وهكذا نرى إلى أي حد تطور الرأي العام نحو الأمويين . ولقد صدق
أبو العباس حين قال لبني أمية : « إن البرية قد ملت سياستكم » .

ولا غرو فقد بدأ عامة الناس يدركون أنه ليس ثمة صلاح من وراء
ذلك النظام الفاسد الذي سنّه الخلفاء الأمويون ، وأن بقاء ذلك النظام لا معنى له
سوى ضياع الإسلام .

هل كان الناس يعتقدون إزاء تلك الحالة السيئة بقرب ظهور المهدي
(المخلص) ؟ كل ذلك ممكن ؛ بل من المحتمل جداً أن هذا الأمل كان الغراء

(١) تمنى بمعنى تقدر .

(٢) البكر ولد الناقة .

(٣) بمعنى عاب .

(٤) الطبرى ٢ : ١٨٥٧ .

(٥) لا تطمعوا .

(٦) المصدر نفسه ٢ : ١٧٨٨ .

الوحيد للتقاة من المسلمين (أهل السنة) . ومع ذلك فلا ندهش إذا رأينا نبوءة أخرى تشغل الأذهان في ذلك الحين ؛ فقد كان لزماً هدم تلك الأطلال البالية لكي يقوم صرح السعادة على أساس متين . لذلك كان من الضروري ظهور رجل يهدم كل قديم ويأتي عليه ليعبد السبيل لذلك المهدي المنتظر . وهكذا ظهرت بجانب تلك النبوءات القديمة نبوءة أخرى هي نبوءة الرجل ذي الأعلام السود الذي يخرج من المشرق ويزيل عرش بني أمية (أنظر الكامل للمبرد ص ٥٨٥ والطبري ٢ : ١٩٢٩ وما يليها) .

وقد يتساءل الانسان عن سبب وجود هذه الأعلام السوداء .

كان البياض شعار الأمويين إلى ذلك الحين ؛ فاتخذ العباسيون السواد شعاراً لهم حداً على الشهداء من آل البيت الذين ذهبوا ضحية استبداد الحكومة الأموية وقسوتها ^(١) . على أنه لا يبعد أن يكون الأمويون قد اتخذوا البياض شعاراً لهم بعد أن قامت الدولة العباسية ، وبعد أن اتخذ الخلفاء العباسيون السواد شعاراً لهم ^(٢) . وأما أن السواد كان شعاراً للحزن

(١) أنظر ما كتبه : Hamaker , Réflexions critriques I, 829, p. 8 suiv , De Sacy , Chrestomathie arabe, 2 è ed. I. 48 Suiv. II. 29, suiv. , Weil , Geschichte der Khalifen, II. 216, n. 3, Opkomst dsr Abbasiden, p. 137 suiv. للوقوف على هذه الألوان التي اتخذت شعاراً لأسباب سياسية .

(٢) مقدمة ابن خلدون ج ٢ ص ٤٤ (النسخة العربية) ٥١ (الترجمة) . وقد اقتبس مسيوفون كيريم عبارة عن الأغاني (ج ٦ ص ١٤١) مؤداها أن الخليفة الوليد كان يصلي في « ثياب بيض نظاف من ثياب الخلافة » وأن الأمويين كان شعارهم البياض . وبالرغم من أن البياض هو رمز النظافة — على ما يظهر — فلدينا من النصوص التاريخية ما يدل على أن الأمويين لم يقتصروا على الثياب البيض . فقد كانت العامة السوداء شعارهم الرسمي .

والحداد فقد يكون ذلك صحيحاً بالنسبة إلى الملابس السوداء (الملابس الرسمية في عهد العباسيين) ، لا سيما وأن الروايات التاريخية تؤيد ذلك ^(١) .

أما الأولوية السود فلم تكن يوماً ما إشارة للحداد . فقد اتخذ الحارث ابن سريج اللواء الأسود شعاراً له حين ثار على بنى أمية سنة ١١٦ هـ وكذا بهلول الخارجي سنة ١١٩ ، ثم أبو حمزة الخارجي أيضاً سنة ١٢٨ ^(٢) . على أن أحدهم من هؤلاء لم يكن في حداد على أحد من آل البيت . ونستطيع أن نقبض السر الحقيقي في اتخاذ اللواء الأسود من قصيدة الكهيت الشاعر التي وجهها إلى الحارث بن سريج في سنة ١١٧ هـ ، والتي نكتفي منها بهذا البيت :

وإلا فآرفعوا الرايات سوداً على أهل الضلالة والتعدي

(الطبرى ٢ : ١٥٧٤) X .

ومن هنا يقين لنا أن هناك علاقة بين الأولوية السود ومحاربة الضلالة (والمراد بها هنا الضلالة على حسب مافى القرآن) والعدوان (والمراد به الخروج على القانون الإلهي) وهذا يبين لنا معنى هذه المسألة التي أشار إليها هامكر (Hamaker) وهي أن الأولوية المذكورة تمثل لواء الرسول الذي كان يحمله في حروبه مع الكفار ذلك اللواء الذي اتفقت جميع المصادر التي اعتمدنا عليها أنه كان أسود ^(٣) .

الطبرى ٢ : ٢٥٨ (س ١٦) العقد الفريد ج ١ ص ٤٢ . الأغاني ج ١٩ ص ٦٠ ، الطبرى ١ : ٢١٤٨ .

(١) دى ساسى ج ١ ص ٥١ نقلاً عن الدينورى (طبعة Girgass) ص ٢٤٠ ،
الطبرى ٢ : ١٩٧٢ : ٣٠ : ٥٠٦ ، والأنساب للبلاذرى Z. d. D.
M. G. XXXV III , 394

(٢) الطبرى ٢ : ١٥٧٠ و ١٦٢٤ و ١٩٨١ ، ابن الأثير ج ٥ ص ٢٨٥ .

X الصحيح ٢ : ١٥٧٥ — المترجمان .

(٣) Mouradja d' Ohsson, Tableau de l' Empire ottoman, I. (٣) suiv. 290 ، كتاب الخراج لأبى يوسف ص ١١٩ ، وفتوح البلدان للبلاذرى

ولهذا كان الخوارج ينشرون الألوية السود في حروبهم مع الأمويين كما كان يفعل ابن سُرَيْج ؛ فقد كانوا جميعاً يحاربون الضلالة والجور قبل كل شيء وكان هذا اللواء الأسود يذكرهم بعهد الرسول ، ذلك العهد الذي كانوا يعتبرونه المثل الأعلى للكمال .

ومن ثم كان لزاماً على من يبشر بالمهدى الإمام الحق ، أو بعبارة أدق الإمام الذى يزول على يديه سلطان بنى أمية ، أن يتخذ تلك الألوية السود شعاراً له . وفى سنة ١٢٨ هـ إدعى الحارث بن سُرَيْج أنه ذلك المهدى المنتظر^(١) . على أن دعوته هذه لم تصادف شيئاً من النجاح . فقد ظلت الحكومة ، أو بالأحرى العرب اليمانية ، صاحبة النصر والظفر . بيد أن ذلك الأمل الذى كان الحارث أول من بعثه فى النفوس لم يخب بعد ، كما كان العامل الوحيد الذى جذب إلى الدعوة العباسية جميع هؤلاء الذين كانوا يشاطرون الحارث ميوله وآراءه السياسية . وليس بعيداً أن يكون الحارث ابن سُرَيْج قد اعتمد فى دعوته هذه على هذا الحديث المشهور الذى رواه أبو داود « يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث حرّاث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطىء أو يَمْكُن لآل محمد كما مكّنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وجب على كلّ نصره » . ولم يلبث هذا الحديث أن أصبح نبوءة من تلك النبوءات التى وردت فى كتب التكهن^(٢) .

ص ١١٢ ، يعقوبى (طبعة هوتسا) ج ٢ ص ١٥١ ، الدينورى (طبعة Giegan) ص ١٨٦ وكتاب الوفا (ليدن . Cod) ورقة ١٤٤ وما يليها . هذا هو اللواء الأسود الذى كان يحمله هذين (Hothain) لعل بن أبى طالب فى موقعة صفين . الكامل للمبرد ص ٤٣٦ ، والعقد الفريد ج ٣ ص ١٢٣ ، ٢٨٧ .

(١) الطبرى ٢ : ١٩١٩ .

(٢) كتاب السنن لأبى داود ج ٢ ص ١٣٥ ومقدمة ابن خلدون . الجزء الثانى .

ترجمة ص ١٦٧ ، الدر المنتظم (1252 ليدن Cod) وقعة ١٣٢ .

قيام الدولة العباسية

وفي الخامس عشر من شهر رمضان سنة ١٢٩ هـ نشر أبو مسلم الخراساني، الذي تولى أمر الدعوة العباسية بعد سليمان بن كثير، اللواء الأسود على ربوع سفيدنج، وهي قرية صغيرة من ضواحي مرو. وقد كتب على هذا اللواء تلك الآية من القرآن (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) — سورة الحج آية ٣٩.

وقد ضم أبو مسلم إلى لقبه «صاحب الألوية السود» أمراً آخر ليس بأقل أهمية من ذلك، وهو شرف الانتساب إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

ولم تكن الحال في خراسان لتساعد على انتشار الثورة بمثل تلك السرعة نعم! كان الموالي من سكان القرى يفدون من كل جانب وراء الدعاة العباسيين كما نار المسوَّدة في جميع أنحاء بلاد خراسان: في نسا وبلخ وهراة ومرو وروذ، وفي الجملة في كل ناحية قامت فيها الدعوة لبني العباس، ولكن بعد الشقة بين هذه النواحي قد حال دون توحيد وجهة التأثيرين. على أن هناك سبباً آخر، وهو أن العرب — حتى من خرج منهم على الحكومة الأموية وشق عصا طاعتها — قد أبوا أن يشتركوا أول الأمر مع أولئك الموالي ممن لا نسب لهم. ولا غرو فقد كانوا يعتبرونهم أعداء ألداء للإسلام، كما كان يقول عنهم نصر بن سيار إنهم أموات في نظر العرب احتقاراً وسخرية بهم.

وترجع قوة المسوَّدة إلى حماسهم الشديد وإخلاصهم للدعوة لآل البيت إذ كانوا يعتبرونها رمز أمانهم السياسية. وكان صفوة جند أبي مسلم من الكفّية أو أهل الكف، وهم الذين يأخذون أرزاقهم من القمح

بالكفة (الحفنة) . وهناك تفسير آخر لكلمة الكفية ؛ ذلك أنهم بايعوا على أن لا يأخذوا مالا وأن تؤخذ أموالهم إن احتيج إليها يبتغون الجنة مقابل هذا الكف^(١) (ويبدو لي هذا التفسير الأخير خيراً من التفسير الأول) . كذلك أقسموا أن لا يطلبوا فدية أو رهنية بدون إذن من رؤسائهم . وقد ذهبوا في طاعة رؤسائهم إلى أبعد من ذلك . فكانوا لا يقتلون الأعداء الذين يظفرون بهم في ميدان القتال إلا باذنهم^(٢) .

أما العرب فكانت تعوزهم العاطفة الوطنية . وقد حاولوا غير مرة أن يتحدوا ضد هذا العدو المشترك لولا أن حال أبو مسلم بدسائسه دون ذلك . ولا غرو فقد كان كلٌّ لا يعنيه سوى مصلحته الخاصة أو بالأحرى مصلحة قبيلته . وأما الإخلاص للعرش الأموي فلم يكن به أحد ، حتى إن اليمانية من أهل مرو — إذا صح لنا أن نأخذ بما ذكره يعقوبى — قد انضموا إلى الشيعة^(٣) واعتنقوا مبادئهم . ولم يبق على ولائه للبيت الأموي في ذلك العصر الممتلئ بالأنانية والخيانة والغدر إلا نصر بن سيار . وقد ألح بدون جدوى في طلب المدد من الخليفة . ولا غرو فقد كان مروان الثانى في حاجة شديدة إلى آخر جنسدى من جنوده . ولذلك رد عليه الخليفة بقوله :

« احفظ ناحيتك بمجهدك » ، فدهش نصر وقال : « أأيقاظ أمية أم نيام ؟ » X .

(١) وقد ساهم الطبرى (٢ : ١٩٥٧) (٤) ، ٣ : ٨٤٨ (١٥) الكفلية . والصحيح الكفية . وكذلك كتب المقرئى في مخطوطة المقي الكبير (المكتبة الأهلية بياريس ورقة ١٨٠ ب) عبارة شائقة أتيت على ذكرها في الذيل السادس .

(٢) الطبرى ٢ : ١٩٨٩ .

(٣) يعقوبى (طبعة هوتسا) ج ٢ ص ٣٩٩ (س ١٦ وما يليه) ٤٠٨ ، X ذكر الطبرى (٢ : ١٩٤١ — ١٩٤٩) والمسعودى (مروج الذهب طبعة القاهرة ج ٢ ص ١٤٤) أن قول نصر بن سيار : « أأيقاظ أمية أم نيام »

(م ٩ — الشيعة)

وقد عرف أبو مسلم ، بما أوتيته من الخدق والمهارة الحربية ، كيف يستفيد من ذلك الانقسام الذى ساد فى هذه البلاد . فبذر بذور الشقاق بين جنود بنى أمية ، كما استطاع أن يربط بجنده سبعة أشهر بظاهر مدينة مرو ، استمال خلالها اليمانيين وضمهم إلى صفوفه . وبذلك تمكن من الاستيلاء على خراسان دون أن يعرض جيشه الصغير للهزيمة . ولم يكد يتم له النفوذ فى هذه البلاد حتى عمل على التخلص من شيوخ القبائل الذين كانوا ينازعونه السيادة فقتلهم عن آخرهم .

عندئذ عمت الثورة وانهت بزوال الدولة الأموية . وإلى القارىء ما ذكره أبو حنيفة الدينورى ، عله يتبين منه حال الأمة العربية فى ذلك الحين ^(١) قال : « وانجفل الناس على أبى مسلم : من هراة وجوشنج ومرو الروذ والطارقان ومرو ونسا وأبيورد وطوس وسرخس وبلخ والصفانيان وطخارستان وختلان وكش ونسف ، فتوافوا جميعاً مسودى الثياب . وقد سودوا أنصاف الخشب التى كانت معهم وسموها كافر كوبات ^(٢) وأقبلوا فرسانا وحمارا يسوقون حميرهم ويزجرونها هر مروان ، يسمونها لمروان بن محمد . وكانوا زهاء مائة ألف رجل » .

ولن نعرض هنا لوصف تلك الدولة الأموية فى ساعات احتضارها ، ولا

كان قبل أن يصل إليه كتاب الخليفة الأموى يأمره فيه بأن يحفظ ناحيته بجهده — المترجمان .

(١) الدينورى ص ٣٦٠ .

(٢) أنظر الأغاني (ج ٥ ص ١٢٣) فى معنى كلمة كافر (incredule) : وقد قال أبو مسلم لمستهل بن الحكيت : « أبوك الذى كفر بعد إسلامه » ، فقد استهل الحكيت بعض قصائده بالاشادة بذكر الهاشمين ، ثم لم يلبث أن أفاض فى مدح بنى أمية . فلكلمة كافر كوبات إنما كان يطلقها المسلمون على أنصار بنى أمية . أنظر « كافر كوبات » عند الترك فى Biblioth. Yeog. IV. 278

لتلك الانتصارات المتتابة للجيش الخراسانية . وقد ندهش لتلك الهزائم التي أنزلتها تلك الجيوش بأمر القواد الأمويين ، لو لم نعلم أن مقاومة تلك الأمة المحتضرة لم تصدر عن وطنية صادقة أو قوة معنوية صحيحة أثارها اليأس في قلوبهم في ساعتهم الأخيرة ، ولا عن أية عاطفة قوامها الشعور بوجود نظام ثابت . فضلا عن أن الظفر الذي أحرزته الجيوش العباسية — ذلك الظفر الذي لم يكن إلا قضاء من الله باستئصال شأفة أولئك الأمويين وزوال دولتهم — قد أضعف ما كان لديهم من الاستماتة في الدفاع عن دولتهم ^(١) .

هذه هي حال بني أمية في ذلك الحين وما كان يستولى على نفوسهم من يأس وقنوط . وأما غيرهم من أهل الولايات الإسلامية الأخرى فكانوا على العكس من ذلك . فقد انبعث في نفوسهم الأمل بالميثاق فجر المساواة والعدل ، ولا سيما في تلك الولايات التي كان الولاة والعمال يستغلونها لأنفسهم مدفوعين بعوامل الشراة والجشع مستعينين في ذلك بما تطرق إلى نظم الإدارة من خلل وفساد ، وهكذا فتنت تلك الأمنية الجميلة هؤلاء الدهماء من الفرس الذين لم يعرفوا من الإسلام حتى ذلك الحين سوى دفع الجزية وجباية الضرائب على اختلاف أنواعها . وهكذا « انتقل دين المجوسية عن الدهاقين وأسلموا أيام أبي مسلم » ^(٢) .

على أن ذلك الأمل كان أشد ما يكون في نفوس الخرمية (وهم المتطرفون من دعاة مذهب توحيد الآراء في الفلسفة) . ولا غرو فقد تعقب الولاة الأمويون أصحاب هذه العقيدة دون أن يرقبوا فيهم إلا ولا ذمة . ومن ثم كان يعتقد هؤلاء أن لا خلاص لهم إلا بزوال الدولة الأموية . لذلك

Fragmenta Hist. arab. p. 211

(١)

(٢) أنظر ما كتبه فون روزن (Von Rosen) عن أبي طاهر في Memoires de la Société russe d'archéologie III, l. p. 146-192 (tiré à part p. 10 n. I)

لا ندهش إذا رأيناهم يبادرون إلى الانضمام إلى أبي مسلم والانضواء تحت لواء ذلك الرجل الشديد الذى لا تعرف ملاذ الحياة إلى نفسه سبيلا . فقد كان الشخص الوحيد الذى صادف عنده هؤلاء البائسون عطفاً على مذهبهم وكان الكثيرون يعتبرونه وحده الإمام الحق ^(١) . بل ذهب بعضهم إلى أبعد من هذا فزعموا أنه « أشيدر بامى (Ochederbami) أو « أشيدرما (Ochederma) أحد أعقاب زردشت الذى ينتظر المجوس ظهوره كما ينتظر المسلمون ظهور المهدي ^(٢) ، حتى إن تلك الطوائف لم تعتقد بموت أبي مسلم بل كانوا ينتظرون رجعه ليملا الأرض عدلاً ، على حين أن حول بعض أشياعه الامامة إلى ابنته فاطمة ^(٣) . وقد فر رجل يدعى أباسحاق الترك إلى بلاد ما وراء النهر بعد موت أبي مسلم ونصب نفسه داعياً له وزعم أن « مولاه » (أبا مسلم) اختفى بمدينة الري ، ثم زعم أنه نبي أرسله زردشت وأنه لا يزال حياً . ولا يزالون ينتظرون عودته إلى اليوم لينشر دين زردشت ويرفع لواءه ^(٤) .

— ٦ —

خاتمة

وبعد عام من فتح مدينة مرو (١٣ ربيع الأول سنة ١٣٢) استهل أبو العباس عبد الله المهدي ^(٥) أول خلفاء بني العباس خلافته بخطبة ألقاها بجامع الكوفة .

(١) الشهرستاني ص ١١٤ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المسعودى (طبعة دى غويه) ج ٦ ص ١٨٦ .

(٤) الفهرست ص ٣٤٤ .

(٥) كتاب التنبية والإشراف للمسعودى ص ٣٣٨ .

وقد نوه في هذه الخطبة بتلك الآمال التي بعثها في النفوس اعتلاء تلك الأسرة الجديدة عرش الخلافة . وسنبين في الفصل الأخير من هذا الكتاب إلى أى حد تحققت هذه الأمنى وصحت تلك الأحلام .

ولا يفوتنا أن نذكر أولاً أن ذلك المثل الأعلى للعدالة والمساواة قد ظل وهما من الأوهام ، حتى أن حاجة الشرقيين اليوم إلى مهدى يملأ الأرض عدلاً لم تكن أقل منها في عهد بنى أمية .

ولم يكن جور النظام العباسى وعسفه منذ قيام الدولة العباسية بأقل من النظام الأموى المحتل حفزاً للنفوس إلى التمسك بعقيدة المهدي والتطلع إلى ظهوره لتخليصها من قسوة ذلك النظام الجديد وجوره . وتذكرنا شراهة المنصور والرشيد والمأمون وجشعهم وجور أولاد على بن عيسى وعبثهم بأموال المسلمين بزمن الحجاج وهشام ويوسف بن عمر الثقفى ولدينا البراهين الكثيرة على فجيعه الناس في هذا العرش الجديد ومقدار انحداهم به . من ذلك قول شريك الذى تار ببخارى في خلافة أبى العباس السفاح^(١) « ما على هذا اتبعنا آل محمد : على أن نسفك الدماء ونعمل بغير الحق » . كذلك الاضطرابات المستمرة في الجزء الشرقى للدولة العباسية (كخروج المقتنع) وثورات الخوارج المتوالية ، وخروج يوسف البرم الذى لم يكن غرضه سوى « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » . أضف إلى ذلك خروج رافع بن الليث لسوء سياسة على بن عيسى . كل ذلك يبين لنا أن ما كان يشكو منه المسلمون من الجور والعسف لم يزل على ما كان عليه في عهد بنى أمية الأول . وهكذا لم يكن أبو العطاء الشاعر وحده الذى نعى على ذلك النظام إذ يقول :

يالىت جَوْرَ بنى مروان عاد لنا يالىت عدل بنى العباس فى النار^(٢)

(١) الطبرى ٣ : ٧٤ .

(٢) الأغانى ج ١٦ ص ٨٤ .

وأما أشياع العلويين الذين كانوا يطمعون في إسناد الخلافة إلى آل علي فقد خابت آمالهم خيبة كبيرة . ولا غرو فان العلويين لم يلقوا من الاضطهاد مثل ما لقوا في عهد الأولين من خلفاء بني العباس .

وقد قال الحسن بن الحسن بن علي يوماً لابن أخيه محمد بن عبد الله بن الحسن : « لم تبكي على بني أمية وأنت تريد بيني العباس ماتريد » ؟ فقال : « والله يا عم لقد كنا نقمعنا على بني أمية مانقمنا . فما بنو العباس إلا أقل خَوْفاً لله منهم ، وإن الحجة على بني العباس لأوجب منها عليهم . ولقد كان للقوم أخلاق ومكارم وفواضل ليست لأبي جعفر (المنصور) » ^(١) .

على أن هذا لن يحملنا على الجور في الحكم على ذلك النظام الجديد . فإن الخلافة العباسية ، وإن كانت تعوزها تلك الصفات التي نعى عليهم محمد ابن عبد الله العلوي حرمانهم منها ، فقد أنجبت الكثيرين من الخلفاء الذين أثاروا إعجاب التاريخ بما فطروا عليه من النظام وحب العلم كالمصور والمأمون . وليس هذا كل ما كانت تمتاز به الدولة العباسية . فإن اعتلاء العباسيين عرش الخلافة ، وإن لم يحقق ذلك المثل الأعلى للعدل والمساواة الذي كان بنشده الناس ، فليس معنى هذا أن الحال قد ظلت كما كانت عليه أيام بني أمية . نعم ! كان لا يزال هناك الشيء الكثير من الظلم والجور . ولكن لم يكن قوامه ذلك التنافر الشديد بين طبقات الأمة المختلفة ، الذي كان عماد النظام الإداري القديم في عهد بني أمية . فلم نعد نرى طبقة المحاربين ذات الامتيازات الكثيرة في ناحية ، ثم طبقة الزراع المضطهدين في ناحية أخرى . وبذلك أصبح الدين — دون الجنس — المرجع الوحيد في تحديد العلاقات بين الحكومة والرعية ثم بين أفراد الشعب ، بعد أن فقد أهمية ذلك الاختلاف في الجنس بين طبقات الأمة المختلفة من العرب وغيرهم من الشعوب المحكومة . وكانت الحكومة لا تدخر وسعاً في القضاء على الجيوش

العربية أو إقصائها عن البلاد إذا ما أبت النزول عن امتيازاتها القديمة التي كانت لها في عهد بني أمية. ^(١) وقد ساعد امتزاج العناصر المتباينة على ظهور نظم جديدة (كما كان الحال في العراق مثلاً) : فقد حل محل النظام الذي سنّه عمر بن الخطاب ، ذلك النظام الذي يقضى باعفاء العرب من دفع الجزية باعتبارهم حماة الاسلام ، نظام جديد لا يفرق بين العرب والفرس في خدمة الحكومة ويفرض للجميع على السواء مراتب معينة ، على الرغم من بقاء ذلك النظام القديم وعدم الغائه صراحة .

ومنذ ذلك الحين أصبح الخراسانيون من الإيرانيين أو النصف إيرانيين أشد الناس ولاءً لذلك العرش الجديد . كذلك رفع رهوسهم الموالي المضطهدون الذين كانوا السبب في سقوط الدولة الأموية وأسندت إليهم المناصب الهامة في قصر الخليفة وفي الجيش والمالية ، كما أسندت إليهم إمارة الولايات الإسلامية . حتى حشدتهم العرب وقد أصبحوا أقل شأنًا منهم ^(٢) . أما الحروب التي كانت تستعر نارها بين القبائل والتي كانت إحدى الأدواء المتأصلة في نفوس العرب ، فقد خبت جذوتها منذ ذلك الوقت وأخذت تنكمش شيئًا فشيئًا حتى انحصرت في البلاد العربية الأصلية (مثل سورية وشبه جزيرة العرب) وهكذا لم يصادف في سبيله اندماج الجنس الحاكم بالأجناس المحكومة آية عقبة ، ذلك الاندماج الذي بدأ منذ خلافة بني أمية ولم يحل دون

(١) اليعقوبى كتاب البلدان (طبعة دى غوية) ص ٢٨٥ (س ٦ وما يليه) .

(٢) الأغاني ج ١٨ ص ١٤٨ ، ج ١٢ ص ١٧٦ . قصيدة هجائية ترجمها فون كريم في كتابه Streifziige, p. 3t suiv . وقد قرأ الأستاذ فون كريم لفظ « تبنانين » في البيت الأول خطأ وصحتها تبنانين (جمع تبنان) اللباس الخاص بالموالي . الأغاني ج ١٥ ص ٢١ والجواليقي (طبعة سخاو) ص ٦٧ .

إتمامه سوى أولئك العرب الخالص لما كانوا يستمتعون به من حقوق
وامتيازات خاصة .

وقد ساعد قيام تلك الحكومة الجديدة على ظهور تلك النهضة الفكرية
التي تناولت جميع العالم الإسلامي ، والتي لم تلبث أن فاضت على الإنسانية
كافة دون أن تقتصر على الدولة الإسلامية في الشرق .

تذييل

— ١ —

الشئون المالية في خراسان وإصلاحات نصر بن سيار

(أنظر ص ٢١) (ص ٥٠ من الترجمة)

من الصعب جداً أن يقف المؤرخ على رأى صحيح فيما يتعلق بالضرائب بخراسان في عهد العرب . وقد ذكرنا قبل أن الجزية أو خراج الجزية (وهى الضريبة التى كان يدفعها الكفار) كانت جزءاً من تلك الضريبة التى كان يدفعها أهل خراسان للعرب ليكفؤا عن قتالهم . من ذلك ما فعله مهويه مرزبان مرو . فقد أبرم مع على بن أبى طالب معاهدة تعهد فيها بأن يدفع له الدهاقين والأسوار والدهسلار (ثلاث طبقات من أصحاب الضياع) الجزية (البلاذرى - فتوح البلدان ص ٤٠٨ وما يليها) . كذلك لم يكف العرب عن قتال أهل هراة إلا بعد أن تعهد لهم أميرها بأن يدفع إليهم الجزية « وأن يقسم ذلك على الأرضين عدلاً بينهم » .

على أنه كان هناك فى عهد نصر بن سيار (٧٢٠ — ٧٣٠ م) خراج آخر غير الجزية وغير ذلك المقدار الذى نص عليه فى معاهدة الصلح . يتبين ذلك من الخطبة التى ألقاها نصر بن سيار يوم الجمعة بالمسجد بعد أن عاد من غزواته بنواحى بلخ وبلاد ما وراء النهر والتى نقلها بنصها عن الطبرى (٢ : ١٦٨٨) : « ألا إن بهرامسيس كان مانح المجوس يمنحهم ويدفع عنهم ويحمل أنقاهم على المسلمين . ألا إن إشبدا بن جريجور كان مانح النصارى . ألا إن عقيبة اليهودى كان مانح اليهود بفعل ذلك . ألا إنى مانح المسلمين أمتنهم وأدفع عنهم وأحل أنقاهم على المشركين . ألا إنه لا يقبل منى إلا توفى الخراج على ما كتب ورفع . وقد استعملت عليكم منصور بن عمر بن أبى الخرقاء وأمرته

بالعدل عليكم . فأما رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه أو ثقل عليه في خراجة وخفف مثل ذلك عن المشركين ، فليرفع ذلك إلى منصور بن عمر ، يحوله عن المسلم إلى المشرك » .

ولم يكد يمضى على ذلك أسبوع واحد حتى وفد على نصر بن سيار ثلاثون ألف مسلم ممن كانوا يدفعون الجزية وثمانون ألف رجل من الكفار ممن أعفو منها ، فضرب نصر الجزية على الكفار وأعفى منها المسلمين . ثم كتب نصر قائمة للخراج وفق هذا النظام الجديد « ثم وظف الوظيفة التي جرى عليها الصلح » . وقد بلغ خراج مرو في عهد الأمويين مائة ألف درهم سوى ما كانت تغله عليهم ضريبة الأرض .

ويتضح لنا من تلك العبارة إنه كان يمرّو ضريبة عقارية (الخراج) بجانب ضريبة الرؤوس (الجزية) ، وهي جزء من تلك الضريبة التي نص عليها في عهد الصلح . ولا غرو فقد فرق نصر (بكلمة أو) بين المسلمين الذين ضربت عليهم الجزية وغيرهم ممن فرض عليهم الخراج .

ويمكن تفسير هذا إذا اعتبرنا أن الجزية (ضريبة الرؤوس) التي كان يدفعها الكفار قد تحولت إلى خراج (ضريبة عقارية) على إثر تحول هؤلاء إلى الإسلام . على أن هناك أمراً آخر من الغرابة بمكان ، وهو إعفاء ثمانين ألف من الكفار من الجزية التي كانت الحكومة لا تألو جهداً في جبايتها منهم . ويمكن تعليل هذا بأن الكثيرين من غير المسلمين قد استطاعوا — بمعاونة أشياعهم في الدين — أن يتحولوا من جزية الرؤوس إلى ضريبة أخرى عقارية (خراج) ، هذه الضريبة التي كانت — بلا ريب — أخف احتمالاً من الجزية . على أن هنالاً فرضاً آخر لتعليل ذلك ، وهو أن الأرض التي تركها بعض الموالي (المسلمون من غير العرب) فراراً من ظلم بني أمية قد منحت إلى غيرهم من آثروا البقاء على دفع الخراج عنها .

ويفسر لنا اعتناق الكثيرين للإسلام نقص خراج مرو الذي بلغ
 ٢٠٠٠ ر ٢٠٠ درهم على إثر الصلح الذي أبرمه حاتم بن نعمان (على ما رواه
 البلاذري ص ٤٠٥ والطبري ١ : ٢٨٨٨) (أو ١٠٠٠ ر ١٠٠ درهم ٢٠٠٠ ر
 جريب من القمح والشعير أو ٢٠٠ ر ١٠٠ مثقالا من الفضة على ما رواه
 غيرهما من المؤرخين) .

— ٢ —

الأمويون يمثلون الجماعة الإسلامية

(أنظر ص ٣٥) (ص ٧٠ من الترجمة)

يقول الشهرستاني (ص ١٠٣ س ١٤ وما يليه) : « والذين اعتزلوا إلى جانب
 فلم يكونوا مع على رضى الله عنه في حروبه ولا مع خصومه وقالوا لا ندخل
 في غمار الفتنة من الصحابة : عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن
 مسلمة الأنصاري وأسامة بن زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم . وقال قيس بن أبي حازم كنت مع على في جميع أحواله وحروبه
 حتى قال يوم صفين : انفروا إلى بقية الأحزاب انفروا إلى من يقول كذب
 الله ورسوله وأتم تقولون صدق الله ورسوله فعرفت إيش كان يعتقد في
 الجماعة فاعتزلت عنه » .

يقول حمزة الأصفهاني (طبعة Gottwaldt) ص ٢٤٧ وما يليها : وصورهم
 (يريد صور الأمويون العلويين) عند أعتام عرب الشام بصورة الخوارج
 على أئمة العدل وقرروا عندهم أنهم شقوا العصا وأخرجوا أيديهم من الجماعة
 وحاولوا انتزاع الإمامة من إمام وليعهد إمام (لعلها ولي عهد) طامعين في أن
 يغصبوه على حق موروث جعله من تقدمه أولى به منهم حتى مال عليهم

أولئك الأعمام باللعن والإفتراء وقالوا لهم. تباً لكم من معشر مفارقين للسنة والجماعة عاصين لخليفة الله ثم غبروا قريباً من مائة سنة يحذرون الناس ناحيتهم ييفضونهم إلى النفوس وينهون عن ملابتهم والاختلاط بهم حتى أتاح الله لهم منير الظلمة أبا مسلم صاحب الدولة فظهر منهم البلاد ونجى منهم العباد .
وبتين لنا من مقارنة هذه العبارة بالتى قبلها أن رأى حمزة فى الأمويين وعواطفه المعتدلة نحوهم واعتباره إياهم ممثلين لجماعة المسلمين ، إنما يرجع إلى عاطفة وطنية طبيعية ، وأن الكثيرين من المسلمين فى القرن الأول الهجرى كانوا يشاطرون قيس بن أبى حازم رأيه فى هؤلاء الأمويين . أنظر ما ذكره ضاحب الأغانى (ج ٦ ص ١٤١) فى أول الذيل الثالث ، ثم الذيل الخامس (فيما يتعلق بموسى بن طلحة) .

— ٣ —

أسباب ثورة أهل إفريقية

الطبرى ١ : ٢٨١٥

(أنظر ص ١١ ، ٣٧) (ص ٣٢ — ٣٣ ، ٧٢ — ٧٣ من الترجمة)
كان أهل إفريقية أكثر الولايات الإسلامية طاعة وخضوعاً لبنى أمية حتى خلافة هشام (بن عبد الملك) ، حيث اندس بينهم بعض الدعاة ^(١) الذين وفدوا عليهم من العراق ودفعوهم إلى الثورة ، فقطعوا أوامر الصلة التى كانت تربطهم بدار الخلافة ، ولا يزالوا على ذلك إلى اليوم X .
وإلى القارىء سبب هذا الانفصال :

(١) يحتمل أن يكون هؤلاء من الخوارج . أنظر بالحاسن (طبعة Juynboll

ج ١ ص ٣١٩ ، ٣٢٦)

X ظهر هذا الكتاب سنة ١٨٩٤ أى قبل إعلان الجمهورية التركية وزوال الخلافة سنة ١٩٢٣ .

طالما كان يرد هؤلاء البربر على الداعين إلى الفتنة من دعاة العباسيين بقولهم : « إنا لا نخالف الأئمة بما تجنى العمال ولا نحل ذلك عليهم . فقالوا لهم إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك . فقالوا لهم لا نقبل ذلك حتى نبورهم (؟) . فخرج ميسرة في بضعة عشر إنساناً حتى يقدم على هشام فطلبوا الإذن فصعب عليهم . فأتوا الأبرش فقالوا أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبحنده ، فإذا أصاب نفلهم دوننا وقال هم أحق به ، فقلنا هو أخلص للجهادنا لأننا لا نأخذ منه شيئاً ، إن كان لنا فهم منه في حل ، وإن لم يكن لنا لم نرده . وقالوا إذا حاصرنا مدينة قال تقدموا وآخر جنده ، فقلنا تقدموا فإنه ازدياد في الجهاد ومثلكم كفى اخوانه ، فوفيناهم بأنفسنا وكفيناكم .

» ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرونها عن السخال يطلبون الفراء البيض لأمير المؤمنين ، فيقتلون ألف شاة في جلد ، فقلنا ما أيسر هذا لأمير المؤمنين ، فاحتملنا ذلك وخليناهم وذلك .

» ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا ، فقلنا هذا ليس في كتاب ولا سنة ، ونحن مسلمون . فأحببنا أن نعلم أعن رأى أمير المؤمنين ذلك أم لا . قال : (الأبرش) نفعل . فلما طال عليهم ونفدت نفقاتهم كتبوا أسماءهم في رقاع ورفعوها إلى الوزراء وقالوا هذه أسماؤنا وأنسابنا ، فإن سألكم أمير المؤمنين عنا فأخبروه .

ثم كان وجههم إلى إفريقية ، فخرجوا على عامل هشام فقتلوه واستولوا على إفريقية ، وبلغ هشاماً الخبر وسأل عن نفر ، فرفعت إليه أسماؤهم ، فإذا هم الذين جاء الخبر أنهم صنعوا ما صنعوا .

الخوارج في عهد الأخيرين من خلفاء بني أمية

(أنظر ص ٣٧) (ص ٧٢، ٧٣ من الترجمة)

وإلى القارىء طرفاً من هذه الخطبة التي خطبها في مسجد المدينة ، أبو حمزة الخارجي من بلاد اليمن عليه يتبين منها ميول هؤلاء المنشقين ووجهة نظرهم .

الطبرى ٢ : ٢٠٠٩ ، والأغانى ٢٠ ص ١٠٤ ، والعقد الفريد ج ٢ ص ١٩٠)
« أتعلمون يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشرأً ولا بطراً ، ولا عبثاً ولا لهواً ، ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه ، ولا نأثر قديم نيل منا . ولكننا لما رأينا مصاييح الحق قد عطلت ، وعنف القاتل بالحق ، وقتل القائم بالقسط ، ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وسمعنا داعياً يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ، فأجبنا داعى الله . (ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض) . (القرآن الكريم سورة ٢٦ آية ٣١) .

« فأقبلنا معه قبائل شتى ، نفر منا على بعير واحد عليه زادهم وأنفسهم يتعاورون لحافاً واحداً ، قليلون مستضعفون فى الأرض . فأوانا الله وآيدنا بنصره ، وأصبحنا والله بنعمته إخواناً .

« ثم لقينا رجالكم بقديد ، فدعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ، ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكم مروان وآل مروان . فشتان لعمر الله ما بين النقي والرشد : ثم أقبلوا يهرعون يزفون ، قد ضرب الشيطان فيهم بجرانه ، وغلت بدمائهم مراجله وصدق عليهم ظنه ، وأقبل أنصار الله عصائب وكتائب بكل مهند ذى رونق . فدارت رحانا واستدارت رحاهم بضرب يرتاب منه المبطلون

« يا أهل المدينة ! من زعم أن الله تعالى كلف نفساً فوق طاقتها أو سأل عما لم يؤتها ، فهو لله عدو ولنا حرب . يا أهل المدينة ! أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله في كتابه على القوى على حبه للضعيف ؛ فجاء التاسع وليس له منها ولا سهم واحد ، فأخذ جميعها لنفسه مكابراً محارباً لربه . ما تقولون فيمن عاونه على فعله ؟ .

« يا أهل المدينة ! بلغني أنكم تنتقصون أصحابي : قلتم هم شباب أحداث وأعراب حفاة . ويلكم يا أهل المدينة ! وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أحداثاً شباباً ؛ شباب والله مكتهلون في شبابهم ، غضية عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أقدامهم . قد باعوا الله عز وجل أنفسهم بموت بأنفس لا تموت . فقد خلطوا كلالهم بكلالهم وقيام ليلهم بصيام نهارهم ! »

« ولنأت أيضاً بما نقله صاحب الأغاني (ج ٢٠ ص ١٠٦) عن الخلفاء الراشدين ثم الأمويين :

« إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل عليه الكتاب وبين له فيه ما يأتي ويذر ، فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله ، حتى قبضه الله إليه صلى الله عليه وسلم وقد أدى الذي عليه ، لم يدعكم من أمركم في شبهة . ثم قام من بعده أبو بكر ، فأخذ بسنته وقاتل أهل الردة ، وشمّر في أمر الله حتى قبضه الله إليه ، والأمة عنه راضون ، رحمة الله عليه ومغفرته ! ثم ولى بعده عمر ، فأخذ بسنة صاحبيه وجند الأجناد ومصر الأمصار وجي الفتيء قسمه بين أهله ، وشمّر عن ساقه وحسّر عن ذراعه وضرب في الخمر ثمانين . وقام في شهر رمضان ، وغزا العدو في بلادهم ، وفتح المدائن والحصون ، حتى قبضه الله إليه والأمة عنه راضون ، رحمة الله عليه ورضوانه ومغفرته ! ثم ولى من بعده عثمان بن عفان ، فعمل في ست سنين بسنة صاحبيه ، ثم

أحدث أحداثاً ، أبطل آخرتها أولها ، واضطرب جبل الدين بعدها ، فطلبها كل امرئ لنفسه ، وأسر كل رجل منهم سريرة أبداء الله عنه ، حتى مضوا على ذلك .

« ثم ولي على بن أبي طالب ، فلم يبلغ من الحق قصداً ، ولم يرفع له مناراً ومضى . ثم ولي معاوية بن أبي سفيان لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن لعينه ، وجلف من الأعراب ، وبقية من الأحزاب ، مؤلف طليق . فسفك الدم الحرام ، واتخذ عباد الله خولا ، ومال الله دولا ، وبغى دينه عوجاً ودغلاً ، وعمل بما يشبهه حتى مضى لسبيله ، فعل الله به وفعل ! ثم ولي بعده ابنه يزيد الحمور ويزيد الصقور ويزيد القهود ويزيد الصيود ويزيد القروذ ، فخالف القرآن واتبع الكهان ونادم القرد وعمل بما يشبهه ، حتى مضى على ذلك ، لعنه الله وفعل به وفعل ! ثم ولي مروان بن الحكم طريد لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، وابن لعينه ، فالعنوه وألعنوا آباءه . » ثم تداولها بنو مروان بعده أهل بيت اللعنة ، طردوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، وقوم من اللقطاء ليسوا من المهاجرين والأنصار ولا التابعين بإحسان . فأكلوا مال الله أكلاً ، ولعبوا بدين الله لعباً ، واتخذوا عباد الله عبيداً ، يورث ذلك الأكبر منهم الأصغر . فيا لها أمة ما أضعفها وأضعفها ، والحمد لله رب العالمين !

« ثم مضوا على ذلك من أعمالهم واستخفافهم بكتاب الله تعالى ، قد نبذوه وراء ظهورهم ، لعنهم الله فالعنوهم كما يستحقون . وقد ولي منهم عمر بن عبد العزيز ، فبلغ ولم يكد ، وعجز عن الذي أظهره حتى مضى لسبيله ، ولم يذكره بخير ولا شر . ثم ولي يزيد بن عبد الملك ، غلام ضعيف سفيه غير مأمون على شيء من أمور المسلمين ، لم يبلغ أشده ولم يؤانس رُشدَه ، وقد قال الله عز وجل (فَإِنْ آتَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَأَدْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ) (القرآن الكريم سورة ٢ آية ٥) ، فأمر أمة محمد في أحكامها ودمائها أعظم من ذلك

كله ، وإن كان ذلك عند الله عظيماً يشرب الحرام ويأكل الحرام
ويلبس الحرام ، يابس بردين قد حيكتا له وقومًا على أهلها بألف دينار
وأكثر وأقل ، قد أخذت من غير حلها وصرفت في غير وجهها بعد أن
ضربت فيها الأبشار وحلقت فيها الأشعار ، واستحل ما لم يحل بعد صالح
ولا لنبي مرسل .

« ثم يجلس حباة عن يمينه وسلامة عن شماله تغنيانه بمزامر الشيطان ،
ويشرب الخمر الصراح المحرمة نصاً بعينها ، حتى إذا أخذت مأخذها فيه ،
وخالطت روحه ولحمه ودمه ، وغلبت سورتها على عقله ، مزق حليته ثم التفت
إليهما فقال : أتأذن لي أن أطير ؟ نعم ! فطار إلى النار إلى لعنة الله حيث
لا يدرك الله » .

المهديون من غير آل البيت

(انظر ص ٥٩ ، ٦٢) (ص ١١٦ ، ١٢١ من الترجمة)

روى ابن سعد حديثاً جاء فيه أن موسى بن طلحة هو المهدي المنتظر ،
وقد أشرنا إليه عند كلامنا على المهرج . وإلى القارئ نص هذا الحديث
مقلاً عن ابن سعد (الطبقات God. Goth. 1748 f. 1082 suiv.) :

(عن) « خالد بن سمير قال : قدم المختار بن أبي عبيد الكوفة ، فهرب منه
وجوه أهل الكوفة . فقدموا علينا هؤلاء البصرة وفيهم موسى بن طلحة
ابن عبيد الله ، وكان الناس يرونه في زمانه هو المهدي . قال فغشيه ناس من
الناس ، وغشيته فيمن غشيه ، فإذا شيخ طويل السكوت قليل الكلام طويل
الحزن والكآبة إلى أن قال يوماً : والله لأن أكون أعلم أنها فتنة لها انقضاء
أحب إلى من أن يكون لي كذا وكذا وأعظم الخطر . فقال رجل من القوم :

ياأبا محمد ! ما الذى ترهب وأشد أن تكون فتنة ؟ قال : أرهب الهرج .
 قال وما الهرج ؟ قال : الذى كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يحدثون : القتل بين يدي الساعة لا يستقر الناس على إمام حتى تقوم الساعة
 عليهم : وهو كذلك وأيم الله ، لئن كان هذا لوددت أنى على رأس جبل
 لا أسمع لكم صوتا ولا أرى لكم داعياً حتى يأتينى داعى أبى . قال : ثم
 سكت ، ثم قال : يرحم الله عبد الله بن عمر أو أبا عبد الرحمن ، إماماً وإماماً
 كناه . إني لأحسب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى عهد إليه
 لم يفتن ولم يتغير . والله ما استقر به قريش فى فتنتها الأولى . فقلت فى نفسى
 إن هذا ليزرى على أبيه فى مقتله قالوا وتحول موسى بن طلحة إلى الكوفة
 ونزلها وهلك بها »

وقد ذكر ابن حجر (ج ٣ ص ٩٩٠ ، ٩٩٦) أن موسى بن طلحة هو
 المهدي . كذلك ورد حديث الهرج فى « الفائق » للزحشرى .
 وقد جاء فى تلك الأحاديث التى ننقلها عن ابن سعد أن عمر بن عبدالعزيز
 هو ذلك الرجل الذى سيملاً الأرض عدلاً .

(عن) « جويرة بن أسماء عن نافع قال عمر بن الخطاب : ليت من ذوالشين
 من ولدى الذى يملأها عدلاً ؟ . (عن) نافع عن ابن عمر قال : كنت أسمع
 ابن عمر كثيراً يقول : ليت شعرى من هذا الذى من ولد عمر فى وجهه علامة
 يملأ الأرض عدلاً ؟ قال ابن عمر : إنا كنا نتحدث أن هذا الأمر لا ينقضى
 حتى يلى هذه الأمة رجل من ولد عمر يسير فيها بسيرة عمر بوجهه شامة .
 قال فكنا نقول هو بلال بن عبد الله بن عمر وكانت بوجهه شامة . قال حتى
 جاء الله بعمر بن عبد العزيز وأمه أم عامر بنت عامر أم عمر بن الخطاب . قال
 يزيد ضربته دابة من دواب أبيه فشجته . قال : فجعل أبوه يمسح الدم ويقول
 سعدت إن كنت أشجع بنى أمية . وأخبرنا عبيد الله بن عبد الحميد الحنفى
 قال ياعبد الجبار بن أبى معن ! قال : سمعت سعيد بن المسيب وسأله رجل فقال :

يا أبا محمد ! من المهدي ؟ فقال له سعيد أدخلت دار مروان ؟ قال : لا . قال فأذن عمر بن عبد العزيز للناس فانطلق الرجل حتى دخل دار مروان فرأى الأمير والناس مجتمعون . ثم رجع إلى سعيد بن المسيب وقال : يا أبا محمد ! دخلت دار مروان فلم أر أحداً أقول هذا المهدي . فقال سعيد بن المسيب وأنا أسمع : هل رأيت الأشج عمر بن عبد العزيز القاعد على السرير ؟ قال نعم ! قال فهو المهدي : (عن) مسامة بن عبد العزيز قال : سمعتُ العرزمي يقول : سمعتُ محمد بن علي يقول النبي ما زال منا والمهدي من بني عبد شمس ولا نعلمه إلا عمر بن عبد العزيز . قال وهذا في خلافة عمر بن عبد العزيز ، أخبرنا مسلم بن إبراهيم قال . حدثني أبو بكر بن الفضل بن المؤتمر العكي قال : حدثني أبو يعقوب مولى لهند بنت أسماء قال : قلت لحمد بن علي إن الناس يزعمون أن فيكم مهدياً ، فقال إن ذاك كذاك ولكنه من بيت عبد شمس ، قال كأنه عني عمر بن عبد العزيز » .

أنظر الطبري (٢ : ١٣٦٢ س ١٢ وما يليه واليعقوبي طبعة Houlsma ج ٢ ص ٣٦٩ س ٢) .

— ٦ —

سليمان بن كثير والكفيرة

كتاب المتقي الكبير للمقرئ مخطوط ، المكتبة الأهلية بباريس ، ورقة ٨٠ ب .

وكان سليمان بن كثير الخزاعي من النقباء . فلما قدم أبو جعفر أخو أبي العباس على أبي مسلم قال له : إنا كنا نحب تمام أمركم وقد تم بحمد الله ونعمته فاذا شئتم قلبناها عليه . وكان محمد بن سليمان بن كثير خدasha فكره تسليم أبيه الأمر إلى أبي مسلم . فلما ظهر أبو مسلم وغلب على الأمر قتل محمداً ثم

أتى سليمان الكفّية وهم الذين بايعوا على أن لا يأخذوا مالا وأن تؤخذ أموالهم إن احتيج إليها ، ويدخلون الجنة . ويقال إنهم أعطوا كفّاً من الخنطة فسموا الكفّية . وقال لهم حفرنا نهراً بأيدينا فجاء غيرنا فأجرى فيه الماء يعنى أبا مسلم . فبلغ قوله أبا مسلم ، قاستوحش منه وشهد عليه أبو تراب الداعية ومحمد بن علوان المروروذى وغيرهما فى وجهه بأنه أخذ عنقود عنب وقال اللهم سودّ وجه أبى مسلم كما سودت هذا العنقود واسق دمه . وشهدوا أن ابنه كان خداشياً وأنه بال على كتاب الإمام . فقال أبو مسلم لبعضهم : خذ به وألحقه بخوارزم . وكذلك كان يقول لمن أراد قتله ، فقتل سليمان ابن كثير .

ولم ترد هذه المعلومات الشائقة المفصلة وتلك النبذ الجزئية الصغيرة فى كتب الكثيرين من مؤرخى العرب . وقد انفرد المقرئى بذكر بعض شذرات منها فى كتابه « النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم » (طبعة Voss ص ٥٢) . ومما يؤسف له أن المقرئى لم يشر إلى أى مصدر من المصادر التى نقل عنها تلك المعلومات . وليس بعيداً أن يكون المؤرخون المعاصرون للدولة العباسية قد حذفوا من كتبهم كل ما عساه أن يفضّ من شأن هذه الدولة ، من تلك النبذ والأخبار التى لم يعد يخشى المؤرخون المعاصرون المقرئى فى ذكرها جانب العباسيين .

فهرس الكتاب

١ - الفهرس العربى

- | | |
|---|---------------------------------------|
| آسيا الصغرى ٤٤ | ١ |
| الإشراقية - أنظر اللاءدرية | ابراهيم بن عبد الله (بن مطيع ١١٩) |
| أشرس - والى بلاد ماوراء النهر ٥٢ ، | ابراهيم بن محمد (بن على العباسى) ٩٨ |
| ٠ ٦٢٠ ٥٤ ، ٥٣ | أيورد ١٣٠ |
| ابن الأشعت بن عبد الرحمن ٤٢ ، ٤٣ | الأتراك ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٦٢ |
| الأصبغ - عبد العزيز ١١١ | أتومفا ١٢ (اعتناق أهلها الإسلام) |
| إصبند ٤٨ | ابن الأثير ٢٩ ، ٨٤ ، ١١٧ |
| اصطخر ١٢٠ | أجتاى (المغولى) ٩ |
| الأغانى - كتاب ٦١ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٧٤ ، | الأحزاب ١٧ |
| ٠ ١٢٥ ، ١٢١ ، ١١٩ ، ١١٨ ، ٨٢ | أدرنة ١٠١ |
| ٠ ١٤٠ ، ١٣٥ ، ١٣٤ ، ١٣٣ ، ١٣٠ | إرتس - نهر ١٣ |
| ١٤٣ | أرنولد - الأستاذ للرحوم السير ٨ ، |
| إفريقية ١٤٠ (أسباب تورثهم) | ٠ ٨٧ ، ١٠ |
| الأفلاطونية ٧٦ | أزبك خان - زعيم القبيلة الذهبية ١٠ |
| الأكاسرة - أنظر آل ساسان | الاستخراج (أو التكشيف) ٣٢ |
| الامام - الأمامة ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٩ | ابن إسحق ١١٩ |
| (عصمة الأئمة) ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٩ ، | أسد بن عبد الله - والى خرمان ٣٧ ، |
| ١٠١ | ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٣ ، ٨٨ ، ٩٨ (قتلة |
| (الإمام الثانى عشر) ، ١٠٣ ، ١٣٨ ، | الرواندية () ، ٩٩ (قتله خدasha داعى |
| ١٤٧ | الحرمية) |
| انتشار الإسلام ٦٠ ، ٨٠ ، ٩٠ ، ١٢٠ ، ١٦٠ | الإسرائيليات ١٠٨ |
| انتشار الإسلام فى أوربا ١٠ - ١٤ | |

بروان ١٠٣	انتشار المسيحية والإسلام ١٤٠٦٠٥
البربر ٧٤	الإنجيل ١٢
بركة خان المغولي ٩	أنس بن مالك ١١٩
بشرويه (بلاد القرس) ١٠١	الأنساب للبلاذري ١٢١، ٥٧، ٥٥
البصرة ١٤٥٠، ١١٨، ١١٧، ٩٤، ٥٧	١٢٦ الأنساب للسمعاني ٩٦
بغداد ١٠١، ٩٧، ٨	آند (حفيد كويلاي المغولي) ٩
البكتريان ٤٤	إندوسكيث ٤٤
بكر - قبيلة ١٨	أهل الكتاب (اليهود والنصارى)
بكير بن ماهان ١٠٦	٨، ٧
البلاذري ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠	أوب - نهر ١٣
٨١، ٧١، ٥٥، ٣٩، ٣٨	الأوس ٦
١٣٩، ١٣٧، ١٢٦، ١٢١	إيطاليا ١١
بلغ ٤٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٧	إلياء ١٩، ٧، ٣٤
بلال مؤذن الرسول ٨٤	
بلال بن عبد الله بن عمر ١٤٦	ب
البلدان لليقوبي ١٣٥	البابية ٩٧، ١٠١ - ١٠٢ (تاريخهم)،
البلغار ١١	١٠٣
بنيامين (يطريق القبط) ١٩	بازان - عامل كسرى على اليمن ٦، ٧
أبو البهاء ١٠٢	الباطنية ١٠٣، ١٠٤
البهائية ١، ١٠٢	البحري (كتاب شر المنهج) ٩١
بهلول الخارجي ١٢٦	بخار اخود ٥٥، ٥٤، ٨٧، ٨٨
البوذية - البوذيين ٨، ٩، ٨٣، ٨٤، ٩٨	البخاري ١١٧، ١١٨
بيت المال ١٦، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٩	بخاري ١٣، ٤٨، ٤٩، ٥٤، ٥٥
٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٩، ٥٣، ٥٥	٦٢، ٦٧، ٨٧، ١٣٣ (ثورة شريك)
٧٣، ٦٠، ٥٩	بدر ٨٥
بئر معونة ١٦	بذ غيس ٤٦
البيزنطية - الدولة ٧، ١٠	أبو براء ١٦

ت

تاجوت - ولاية ٩

التأويل ٨٣ ، ٨٩

التبت ٨٣

تبلسك ١٢

تبيع - ابن امرأة كعب الأخبار ١١٢

التتار - أو المغول - انتشار الإسلام

بينهم ٨ - ١٣ ، ٨٧

تحريك ٤٥

التركستان ١٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٨٣

ترمذ ٦٤

الترمذى ١١٨ ، ١٢٠

تفشادة - أمير بخارى ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٤ ،

٨٨ ، ٥٥

تكدودار أحمد - خان المغول ييلاد

الفرس ١٠ ، ٩

تيم الدارى ١١٥

التنبؤ بالأشخاص والحوادث المعينة ١٠٨ -

١١٤ (بمصير العالم) ١١٥ - ١١٩

التنبؤ برجة عيسى ١٢٠

التنبية والاشراف للسعودى ١٢١ ، ١٣٠

تاودوسيس ٨٣

التوراة ٧٦ ، ٨٣ ، ١٠٨

التوقف ٨٠

ث

ثابت قطنة - ثورته فى خراسان ٦١ -

٦٢

ج

جذيمة ١٥

الجراح - والى بلاد ماوراء النهر ٥٢

جرجان ٢٢

جزيرة العرب - أنظر بلاد العرب

الجزية - أنظر الحراج

جعفر الصادق ١١٤

بلاد الجزيرة ٢٨ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٩٤

جنكيزخان ٨

الجنيد - والى خراسان ٦٢

أبو جهل ٨٤

جهم بن صفوان - أجدرووس المرجثة

٦٦

جوزجان ٤٦

جوشنخ ١٣٠

جولد تزيهر ٣٦ ، ٣٨

جغوية ٤٦

ح

الحارث بن سريح ٦٠ - ٦٧ (ثورته

فى خراسان) ٧٣ ، ٩٥ ، ١٠٥ ،

١١٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧

الحارث بن عبيد الله الجعدي الشاعر ١٢٣

حبابه - مغنية يزيد بن عبد الملك ١٤٥

الحبش - الأجباش ١١٧

الحجاج بن يوسف الثقفى ٢٤ ، ٢٧ ،

٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٧ ، ٥٩ ،

خ

خالد بن عبدالله القسرى - والى العراق ٣٢
 خالد بن الوليد ٦، ١٥
 خالد بن يزيد بن معاذ ١٢٠
 الختل ٤٦
 ختلان ٤٦
 خدش (داعى الحرمية) ٩٩، ١٠٤،
 ١٠٦
 الخراج ١٤، ١٩، ٢٦، ٣٤، ٣٥،
 ٣٦، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٨،
 ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٦٤ (تطور النزاع
 بين الأمويين والوالى)، ١٣٠، ١٣٧
 - ١٣٨ (مرو)
 الخراج - كتاب أبى يوسف ٢٩، ٣٤٠
 (نظام الأمويين فى جبايته) ٣٤، ١٢٥
 الحالة فى خراسان ٢٢، ٤٤ - ٥٦،
 ٥٨، ٦٠ - ٦٧
 (ثورة الحارث بن سريج)، ٨٧،
 ٩٢، ٩٣ - ٩٤ (وصف ابن الفقيه
 الجغرافى لأهله) ٩٨، ٩٥، ١٠٣، ١٠٤،
 ١١٣، ١١٨، ١٢٢، ١٢٧، ١٢٩،
 ١٣٤، ١٣٥ - ١٣٨ (الشئون المالية
 واصلاحات نصر بن سيار) ١٣٧
 ابن خرداذبة ٤٢، ٤٦
 الحرمية ٩٦، ٩٨، ٩٩، (اشتقاق
 الأسم) ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٥
 ١٣٠

١٣٣، ١١٣، ١١١، ٧٣
 الحجاز ٧٢، ٨٥، ١١١
 ابن حجر العسقلانى ٨٧ - ١٤٦٠
 الحديبية - صلح ١٧، ٨٦، ٩٦،
 (شجرة الحديبية)
 الحره - موقعة ١١٩
 حروراء ٧١، ٧٥، ٩٤
 حزب - أحزاب ٦٩ (حزب أهل
 المدينة)
 ١٠٥ (الحزب الخراسانى)
 حزب بنى أمية ٦٩، ٧١
 حزب الخوارج ٧٠
 حزب الشيعة ٦٩
 الحسين بن الحسن بن على ١٣٤
 الحسن بن على ٨١، ١١٢
 حليلة السعدية - أم الرسول من
 الرضاع ٨٦
 حمزة الأصفهاني ٥٥، ١٣٩
 أبو حمزة الخارجى ١٢٩، ١٤٢
 الحيمة ٩٤
 ابن حنبل - الإمام ٩١
 ابن الحفنية - محمد ٨٢
 ٩٢ (إنكاره ما نسب إليه من إحاطته
 بعلوم ما وراء الطبعة)
 أبو حنيفة - الإمام ٩٠
 أبو حنيفة الدينورى ١٣٠
 الحثيون ٤٤
 الحيرة ٩٩

الرددير - صاحب كتاب الشرح
الكبير ٩١

الدعاة الإسلامية للمرحوم السير توماس
أرنولد ٨

الدعوة - الدعاء ٨٠، ٩٣، (الدعوة
الهائية في العراق) ٩٤، ٩٥ (اضطهاد

ولاة خراسان للدعاة) ٩٤، ٩٦ (أثر
الدعاة العباسيين) ٩٧، ٩٨، ٩٩،

١٠٤ - ١٠٦ (انتقال الدعوة العباسية
إلى خراسان) ١٢٨، ١٣٠،

دمشق ٤١، ٤٣، ٧٢، ٩٤
دينار - أمير نهاوند ٢٥

الدينوري ٩٥، ١٢٦، ١٣٠،
دهقان - دهاقين ٣١، ٣٤، ٣٦، ٣٨،

٤٥، ٤٨، ٥٠، ٥٣، ٥٥، ٦٣،
١٣٧، ١٣١

الديوان ٣٨

ديوان الفرزدق ٧٢، ٨٢

ذ

أبو ذر الغفاري ٢١
أهل الذمة ٣٧

ر

رأس الجالوت اليهودي ١١٢

رافع بن الليث ١٣٣ (خروجه على
العباسيين)

خزاعة - قبيلة ١٨
الحزر ٤٦

الحزرج ٦

الخطط للقرنزي ٦٦، ٧١

الخلافة ٣١، ٧٤، ٨٠

ابن خلدون ١١٠، ١٢٥

الخلفاء الراشدون ٧ (معاملتهم لأهل
الذمة) ٦٨، ١٤٢

ابن خلكان ٩٢، ١١٩

الخوارج ٦٤ (حزبهم) ٧٠، ٧٢،
(قضاء عبد الملك على ثورتهم) ٧٢،

٧٣، ٧٤، ٧٥، ١٢٢، ١٢٦، ١٣٢،
١٣٩، ١٤٠ - ١٤٤ (في آخر الدولة

الأموية)

خوارزم ١٤٨

خوزستان ٣٠

د

دار الاستخراج - انظر الاستخراج

دار الندوة ١٥

أبو داود (كتاب السنن) ١١٧،
١٢٧، ١٣٠

الدجال ١١٦، ١١٨، ١١٩، ١٢٠ -
١٢١ (ظهوره)

دجله ١١٣

دحية بيت الأصبع بن عبد العزيز الأموي
١١٢

س

آل ساسان ٤٧
ابن سبأ - السبئية ٨٠ (عقيدتهم) ٨٢
(الفرق بين عقيدة السبئية والكيسانية)
١٠٣، ٨٢
السبل ٤٦
سجستان ٤٦
سرخس ٤٧، ١٣٠
سرية - سرايا ١٥
سرية بنى الرجيع ١٧
ابن سعد صاحب الطبقات ٢٨، ٩٢،
١١٧، ١٤٦
سعد بن أبي وقاص ٦، ١٣٩
سعد بن عثمان ٢٣
سعيد بن السيب ١٤٦، ١٤٧
السغد ٤٧، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٦١
السفاح ١٣٣، ١٣٧
أبو سفيان ٨٥ - ٨٦ (حديثه مع هرقل)
١٢١، ٩٤
سفيدنج ٩٦، ١٢٨
سلامة - مغنية يزيد بن عبد الملك ١٤٥
بنو سليم ١٦
سليمان بن عبد الملك ٤٣، ٧٣
سليمان بن كثير ٩٦، ١٠٤، ١٠٥
١٠٦، ١٤٧
السمعاني (صاحب كتاب الأنساب) ٩٦

الراوندية ٩٧، ٩٨ - ٩٩ (عقيدتهم
وعبادتهم أبا جعفر) ١٠٠، ١٠٣
رتبيل - أمير سجستان ٢٥، ٤٦
الردة ٥٥، ٨٥، ٨٨ - ٩١
الرجعة ٨٠، ٨٢
بنو الرجيع - سرية ١٧
رستاق - رساتيق ٣٠، ٤٦
ابن رسته ٧١، ٨١
الرشيد ١٣٣
رضوى - جبل ٨٢
الرمول - انظر محمد صلى الله عليه وسلم
روب ٤٦
الروميا ١٢
الروم، الرومان - بلاد ١٩، ٢١، ٨٦
رومة ٢١
الرى ١٣٢

ز

الزبير بن العوام ٦، ٧٢، ١١٧
زردشت ١٤، ٧٦، ١٣٢
الزخشرى (الفائق) ١٤٦
زنار - زنابير ٣٤
زهر الآداب ١١٩
زيد بن غنم - والى الجزيرة في عهد عمر
ابن الخطاب ٢٨
زيد بن علي ١١٤

ص

- الصائبة ٩٧
صاف بن صائد - أنظر أبا الصيذاء
صبح الأعشى للقلقشندي ٩
صحيح البخاري ٨٧: ١١٧، ١١٨، ١٢١
صحيح مسلم ١١٨، ١١٩
أبو صخر الهذلي الشاعر ٧١
صفين ١٢٧، ١٣٩
صليب - صلبان ٨، ٧، ٦٦
أبو الصيذاء والي بلاد ما وراء النهر
٥٢، ٥٣، ٦١، ٦٢
الصين - الصينيون ٨، ٤٦، ٨٣، ١٠٩

ض

- الضحاك بن عبد الرحمن - والي بلاد
الجزيرة في عهد عبد الملك ٢٩
الضريبة - الضرائب ٢٠، ٢٩، ٤٢،
٤٣، ٤٩، ٥٠، ٦١، ٦٥، ٦٧،
١٣١، ١٣٧، ١٣٨
الضريبة العقارية ٢٠، ١٣٨

ط

- الطالقان ٤٧، ١٣٠
طالوت - نهر ٧٨
الطائف ٦
طبرستان ٢٢، ٧٢
الطبري ٧، ١٥، ١٧، ١٨، ٢١،
٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣١، ٣٠

- ممرقند ٢٢، ٢٣ (شكواها من معاملة
العرب ٤٧، ٥٢، ٥٤، ٦١، ٦٧، ٨٧
ممنجان ٤٦
سمية أم عمار بن ياسر ٨٤
السنن لأبي داود ١٢٧
بنت سهم ١٢١
السواد ١٩، ٧٦، ١٢٥ - ١٢٨، ١٣٠
سورية ١٤، ١٦، ١٩، ٣٩، ٦٣،
١٠١، ١١٩، ١٣٥
سيريا ١٣
سيحون - نهر ٥٢، ٦٣
سيمون - المجوسي ٧٦

ش

- الشافعي - الإمام ٩١
الشام: بلاد - أنظر سورية
شبيب بن علي - أحد أنصار علي ٩٦
شريك (ثورته ببخارى) ١٣٣
شمس الدين السرخسي (صاحب كتاب
المبسوط) ٩٠
الشهرستاني ٨١، ٨٢، ٩١، ١٣٢،
١٣٩
الشوري - أهل ٩٦
شيرويه - كسرى فارس ٧
الشيعة ٦٨، ٦٩، ٧٣، ٧٥ - ٨٠
(عقائدهم) ٨٠ - ٨٩ (طوائفهم الحالية)
٩١ - ٩٦ (الشيعة الهاشمية) ١٠١،
١٢٩

عبد الله بن الزبير ٧٢	٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ،
عبد الله بن سعد بن سرح ٢٦	٤١ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ،
عبد الله بن العباس ٩٤ ، ١١٥	٥٣ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٢ ،
عبد الله بن عمر ١٣٩ ، ١٤٦	٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧١ ،
عبد الله بن يحيى الخارجي ييلاد اليمن ٧٤	٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٩٢ ،
عبد الملك بن مروان ٤١	٩٥ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ،
(في نظر الحزب الأموي) ٧١ ، ٧٢ ، ٩٤	١٠٦ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ،
عبيد الله بن زياد والى العراق ٣١	١١٥ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ،
عثمان بن عفان ٦ ، ٢٦ ، مقارنة عهده	١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٤٧ ،
بعده عمر (٢٧ خراج مصر في عهده)	الطبقات الكبير لابن سعد ٩٢ ، ١١٧ ،
٦٥ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٩ ، العنانية	طلخارستان ٢٢ ، ٤٦ ، ٦٣ ، ١٣٠ ،
٧٢ (العنانية البصرية) ٧٢	طلحة بن عبيد الله ٧٢ ، ١١٨ ،
العراق ١٩ ، ٢٣ ، ٣٩ ، (الضرائب	طهران ١٠٢
الاستثنائية) ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ،	طوس ٤٧ ، ١٣٠ ،
٤٨ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٧٣ ، ٧٤ ،	
٩٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٣٥ ،	
العرب - بلاد ٥ ، ٦ ، ٩ ، ١٣ (موقفهم	ع
حيال الرسول) ١٧ - ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ،	ابن عابدين (صاحب حاشية رد المختار
٢٣ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ،	على الدر المختار) ٩١
٤١ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٦٠ ،	عاصم بن عبد الله - والى خراسان ٦٣
٦٣ ، ٦٦ ، ٧٥ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ١٣٤ -	عامر بن الطفيل ١٦
١٣٧ (علاقتهم بالموالى) ١٣٨ ،	العباس بن عبد المطلب عم النبي ٩٣ ،
عدي بن أرطاة ٢٨	٩٨ ، ٩٤
العزى ٨٤	العباسيون ٨ (خلافتهم) ٩٦ ،
العشر ٢٨	(تنظيم دعوتهم) ١٢٧ - ١٣٢
العطاء ١٦ (شرح اللفظ) ٣٨ ، ٣٩ ،	(قيام دولتهم) ١٣٤ ، ١٤١ ،
٤٠	عباس بن الوليد الشاعر ١٢٤
	عبد الرحمن بن عوف ٦

غ

- غزة ٨٥
غزوة - غزوات ١٥ ، ٢٢
غزوة بني لحيان ١٧
غزوة الخندق ١٧
غطفان ١٧
غنيمة - غنائم ٤٩
غوزك - أمير السغد ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٣
الغنية ٨٠ ، ١٠١ (الغنية الصغرى)

ف

- فارس - بلاد ٦ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ٢٨
٣٠ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٧٦ (عقائد الفرس
القديمة) ٨٣ ، ٨٩ ، ٩٨ ، ١٠١ - ١٠٢ ،
١٠٤ ، ١٢١
الفارسية ٨٣
فالتيان ٨٣
فتح الباري (شرح البخارى) لابن حجر
العسقلاني ٨٧
فتوح البلدان للبلاذرى ٢٢ ، ٣٨ ، ١٢٦
الفرزدق ٧٢
الفرس ٧٦ ، ٨٣ ، (دياتهم) ، ١٠٣ ،
١٣١
فرغانة ٤٧
الفرياب ٤٧
ابن الفقيه ٧٢ ، ٩٣ ، ٩٤
فلاديمير - ملك الروسيا ١١

- العقد الفريد لابن عبد ربه ٣٢ ، ٣٧ ،
٧٨ ، ٩٤ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٢٦ ،
عكا ١٠١ ، ١٠٢
علاج - أعلاج ٣٦ ، ٩٤
العلويون ٣٩
على بن أبي طالب ٣٩ ، ٦٥ ، ٦٩ ،
٧١ ، (تكتيته أبا تراب) ٧٢ ، ٧٤ ،
٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٩٤ ،
٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١١٢ ، ١١٤ ،
١١٧ ، ١٢٧ ، ١٣٩
على بن عيسى ١٣٣
عمار بن ياسر ٨٤
عمدة القارى (شرح البخارى للعيني) ٨٧
عمر بن الخطاب ٧ (أمانة لأهل إيليا)
١٥ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، (عهده لأهل
إيلياء) ٢٥ ، ٢٦ (نظام الضرائب) ،
٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٥٩ ،
٨٥ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٣٥ ، ١٤٣ ، ١٤٦
عمر بن عبد العزيز ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٥١
(وضعه الجزية عمن أسلم) ٥٦ - ٥٧ ،
٦١ (سياسته نحو الموالى) ٧٣ ، ٩٢ ،
١٢٢ (تلقيه المهدي) ١٤٦ ، ١٤٧ ،
ابن أبي العمرة حسن ٥٢ ، ٥٣
عمرو بن سعيد ١١٢
عمرو بن العاص ١٩ ، ٢٦ ، (خراج
مصر في عهده) ٢٧
عيسى عليه السلام ٥ ، ٩٨ ، ١٠٨ ،
١٢٠ ، ١٢٢
عين الوردة ٧٢

القلقشندی ٩

قوهستان ٤٨

قیس بن أبی حازم ١٣٩ ، ١٤٠

ل

کابل ٤٧

کاترین الثانية — مملكة الروسيا ١٢

الکامل للبرد ٧٩ ، ١٢٥ ، ١٢٧

ابن أبی کبشة — أبو الرسول من الرضاع

٨٦

کتاب البابا یوحنا الثاني إلى أربک خان

١٠

کتاب الرسول إلى کسرى ٦

کثیر عزة ٨٢ ، ٩٢

کربلاء ١١٢

الکرد — الأکراد ٢٨

کش ١٣٠

کعب الأجبار ١١٥

کرجز — والی بلاد فارس ٩

الکفیه — أو أهل الکف ١٢٨ —

١٢٩ ، ١٤٧ ، ١٤٨

کلب — إحدى قبائل الیمن ١٢٢

الکحیت الشاعر ١٢٦

کنیسة — کنائس ٧ ، ١٠ ، ١٩ ،

٧٦

الکنیسة الانوذکسیة ١٢

الکوفة ١ ، ٤٠ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ٧٦ ،

الفلجا — نهر ١١

فلسطين ٩٤

الفهرست — لابن النديم ١٢١ ، ١٣٢

فون کریم ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٦ ، ٣٩ ،

٤١ ، ٤٤

الفیء ٤٠ ، ٤١ ، ١٤٣

ق

القادسیة ٢٤

قانسوه — ولاية ٩

القبط ١٩ ، ٢٧ ، ١١٣

القبيلة الذهبية ٩

ابن قتیبة ١١٢ ، ١١٣

قتیبة بن مسلم ٢٢ ، ٥٤ ، ٩٤

القرغیز — فی آسیا الوسطی ١١ (تحولهم

إلى الإسلام) .

القرم ١١

بنو قریظة ١٧

قریش ٦ ، ١٥ ، ١٧ ، ٨٤ — ٨٥ (اضطهاد

المستضعفين من المسلمين) ١٠٦ ،

قران ١٣

القضاء ١٩

قطری بن الفجاءه الخارجي ٧٢ (وفاته

بطبرستان

قحطان — قحطانی ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣

قحطبة — أحد النقباء ١٠٥

القسطنطينية ١٠١

قلاوون — سلطان المالیك فی مصر ٩ ، ١٠ ،

محمد بن عبيد الله بن الحسن (النفس
الزكية) ١٣٣

محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ٩٤ ،
١٠٦ ، ٩٩

محمد بن مسلمة ١٣٩
المختار بن أبي عبيد ٧٦ ، ٤١ ، ٤٠ ،
٨٢

المرجئة ٦٤ (عقائدهم) ٦٦ ، (في
خراسان) ٩٦ ، ٧٤ ، ٦٧ ،
أبو مخنف — المؤرخ ١٢١

المدينة المنورة ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ٦ ، ٥ ،
١٤٢ ، ١١٧ ، ٩٦ ، ٩٤ ، ٧٢ ، ٧٠ ،
١٤٣

مرو ٤٧ ، ٥٠ ، ٦٣ ، ٩٦ ، ١٠٥ ،
١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٨ ،
١٣٩

مروان بن الحكم الأموي ٧٢ ، ٤٠ ،
٩٤ ، ١١٥ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ،
مروان بن محمد الأموي ١١٤ ، ١١٥ ،
١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٤٢

الرواية ٧٢
مرووذ ٤٦ ، ٤٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ،
مزدك — المزدكية ١٠٢

المسعودي ٢١ ، ٢٥ ، ٢١ ، ١٢٩ ،
أبو مسلم الخراساني ٥٤ ، ٦٨ ، ١٢٨ ،
١٢٩ ، ١٣٠ (تفريقه بين جند الأمويين)
١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ (عقيدة الفرس فيه)
١٤٧ ، ١٤٨

٧٨ ، ٨١ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٧ ،
١١٨ ، ١١٩ ، ١٤٥ ،
الكيسانية ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ (عقيدتهم) ٨٢ ،
(الفرق بين عقيدتي السبئية والكيسانية) ،
٩٧ (مذهبهم) ١٠٣

ل

اللاءدرية (أو الأشرقية) ٧٦ — ٧٧
(مذهبهم) ٨٣
اللات ٨٤

م

المأمون العباسي ١٣٣ ، ١٣٤ ،
المانوية (الاثنيونية) ٧٦ ، ٨٣ ، ٩٧ ،
ماوراء النهر ٢٢ ، ٣٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ،
٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٦١ ،
٦٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ،
البرد — صاحب الكامل ١٢٥ ، ١٢٧ ،
المثلة ٣٤

المجوسية ٨٣ ، ١٣٧ ،
أبو المحاسن ١٢١ ، ١٣٩ ،
محمد رسول الله ٦٠ ، ٦٠ ، ١٠ ، ١٤ ،
١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٦٣ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٧ ،
٧٨ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ،
٩٢ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١١٧ ، ١١٨ ،
١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ،
١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ،
محمد بن أبي حذيفة ١١٥ ، ١١٦ ،

مكة المكرمة ١٥، ١٨، ٦٩، ٧١،
 ٧٢، ٨٤، ٩٤، ٩٥
 ابن ملجم ٨٠
 ملحمة — ملاحم ١١٤
 المنذر بن عمرو ١٦
 المنصور العباسي ٩٧، ٩٨، ١٣٣،
 ١٣٤، ١٤٧
 منصور بن عمر بن أبي الخرقاء (عامل
 الخراج في عهد نصر بن سيار) ١٣٨
 منى ٨٤
 المهدي المنتظر ٦٢، ٨٣ (شرح اللفظ)
 ١١٠، ١١٥، ١٢٢ (تعريف الاسم)
 ١٢٢ — ١٢٧ (عقيدة المهدي وأثرها
 في سقوط الأمويين) ١٢٤، ١٢٧،
 ١٣١، ١٣٣، ١٤٥ — ١٤٧ (المهديون
 من غير آل البيت)
 المهرجان ٢٩، ٤٨
 المهلب بن أبي صفرة ٢٤
 الموالي ٣٥ — ٣٨ (حالتهم الاجتماعية)
 ٣٧ — ٤٤ (حالتهم السياسية) ٥٢، ٥٥
 ٥٦ — ٦١ (حالتهم في عهد عمر بن
 عبد العزيز) ٦٦، ٧٤، ٧٦، ٨٧،
 ١١٠، ١١٦، ١١٧، ١٢٨، ١٣٢ —
 ١٣٥ (علاقتهم بالعرب)
 موسى بن خازم ٢٤
 موسى بن طلحة بن عبيد الله ١١٨، ١٢٢
 (تلقيه بالمهدي) ١٤٠، ١٤٥، ١٤٦

المسيح الدجال ١١٦، ١١٨
 المسيحية — المسيحيون ٨٠، ٩٠، ١٠٠،
 ١١، ١١٢، ١١٥، ١١٦، ١٣٧
 مصر ٧، ١٩، ٢٦، ٢٧، (خراجها
 في عهد عمرو بن العاص) ٢٧ (في
 نظر الخلفاء الأمويين)
 المضرية ٦٣، ٩٥، ١٢٠، ١٢٢،
 ١٢٣
 مطرف بن المغيرة بن شعبة ٥٨ (ثورته في
 بلاد العراق)
 المعارف لابن قتيبة ٨١، ١١٢
 معاون ١٩ (شرح اللفظ)
 معاوية بن أبي سفيان ٢٧ (كتابه إلى
 واليه على مصر) ٣١، ٤٢، ٥٤،
 ٦٥، ٧١، ٧٢، ٧٤، ١٤٤
 معجم البلدان لياقوت ٨٤، ١١١
 المغول — أنظر التتار
 المقاسمة — نظام ٣٠
 المقدسي ٩٣
 مقدمة ابن خلدون ١١٠، ١١٤،
 ١٢٥، ١٢٧
 المقرئ ٢٦، ٦٦، ٧١، ١٠٦،
 ١١٥، ١٢٩
 المقفي الكبير للمقرئ ١٠٦، ١١٦،
 ١٢٩
 المقنع ١٣٣ (خروجه على العباسيين)
 القوقس ٧، ١٩

هراة ٤٥، ٤٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٧

الهرج ١١٦ (إطلاق اللفظ) ١١٧،

١١٨، ١٤١

هرقل ٨٥، ٧ - ٨٦ (حديثه مع

أبي سفيان)

الهر-زان ٨٩

ابن هشام ١٥، ١٦، ١٧، ١١٤

هشام بن عبد الملك ٥٢، ٦٠، ٦٣.

٧٨، ١١٤، ١١٩

الهند - الهنود ٨٣، ١٠٩

هند بنت أسماء ١٤٧

و

واسط ١١٣

الوثنية - الوثنيون ١٢، ١٣، ٨٣

وردان - والى مصر في عهد معاوية ٢٧

ورقة بن نوفل ٨٤

وصف بخاري للرشخي ٤٨

الوليد بن عبد الملك ٤١، ٤٣، ٥٤.

٧٣، ١٢٥

وهب بن منبه ١١٥

ي

ياسر - أبو عمار ٨٤

ياقوت الحموي ١١١

يثرب ١٦

اليرموك ٢٤

يزيد بن عبد الملك ٧٠، ١٢٣، ١٤٦

المولوية ١١، ١٣

ميديا ٣٠، ١٠٤، ١٠٧

ميرزا محمد علي الشيرازي (مؤسس البابية)

١٠١

ن

نجد ١٦

النرشخي صاحب كتاب وصف بخاري

٤٨، ٥٤، ٥٥

نرك طرخان ٤٦

نسا ١٢٨، ١٣٠

نسف ١٣٠

النصاري - أنظر المسيحيين

نصر بن ميار - والى خراسان ٤٨،

٤٩، ٥٤، ٦٣، ١٢٩، ١٣٧، ١٣٨

(اصلاحاته)

النصرية ٩٨

بنو النضير ١٦

نقيب - نقباء ٩٦، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦

نلدكه ٤٥

نهاوند - موقعة ١١٩

النيروز ٢٩

ه

الهاشمية (أنصار أبي هاشم بن محمد بن

الحنفية) ٨٢، ٨٣ (عقيدتهم) ٩١، ٩٢

٩٣ (العراق مهد دعوتهم)

هذيل - ماء ١٧

يزيد بن معاوية (إباحة الحرم المكي) ،	اليهود — اليهودية ٨ ، ٩ ، ١٦ ،
١٤٤ ، ٧١	(تأمرهم على قتل الرسول) ٦٦ ، ٧٦ ،
يزيد بن المهلب ٢٣ (ثروته) ، ٢٤ ،	٧٨ ، ٨٩ ، ٩٦ ، (مجلس الحوار بين) ،
٦٦ ، ٦١ ، ٤٣	١١٢ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١٣٧ ،
اليقوتى ٢١ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٩ ، ٤٢ ،	يوسف البرم (خروجه على العباسيين)
٦٠ ، ٩٢ ، ١١٤ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ،	١٣٣
١٤٧ ، ١٣٥	يوسف بن عمر الثقفي والى العراق ٧٨ ،
اليمين — اليمانية ٦ ، ٧٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ،	١٣٣
٦٩ ، ٧٤ ، (خروج عبد الله بن يحيى)	أبو يوسف الفقيه ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١
٩٤ ، ١٠٥ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٧ ،	(كتاب الخراج) ١٢٦ ،
١٢٩ ، ١٣٠	اليونان — بلاد ١١

٢ — الفهرس الإفرنجى

A

Das Arabische Papier (Karabacek) : 34.

Arnold (Sir Thomas) (The Preaching of Islam) : 8, 10, 11,

B

The Babis of Persia (Journal of the Royal Asiatic Society) : 102

Biblioth. (Yog) : 130

Breschneider : 64,

Browne : 101.

Die Buigen und Schlösser Süd Arabiens (D.H. Müller):121

C

Cassel (Encycl.) : 77.

Chrestomathie Arabe (De Sacy) : 115. 125.

Chrestomathie Persane (Schäfer) : 49.

Crania Ethica (Quatrefages et Hamy) : 45.

Culturgeschichte des Orients (Von Kremer) : 27. 36. 38 39. 58.

D

Darmesteter (James) : 110.

Description de Bokhara (Nershakhi) : 23. 49.

Dozy : 28. 37. 111.

Drummond : 110

E

Edersheim (Life and Times of Jesus the Messiah) : 110.

Encycl. (Cassel) : 77.

Encycl. (Larousse) : 109.

Encyclopaedia Britannica : 45, 110.

Ethnographie de la Perse (Khanikoff) : 45.

Exposition de la Religion de Druses (De Sacy) : 99.

F

Fragmenta historicorum arabicorum, 29, 43, 73, 93, 94, 106, 114 131,

G

Geschichte der Perser und Araber (Nöldeke) : 45, 46, 103. Geschichted. herrschenden Ideen (Von Kremer) : 21, 39, 41.

Geschichte des Khalifen (Weil) : 21, 58, 125.

Gobineau : 98, 100, 102.

De Goeje : 110.

Goldziher : 37, 71, 72.

H

Haarbrücker : 81.

Hamaker : 125, 126

Herbelot (Bibliotheca Orientali) : 99.

Histoire des Musulmans d'Espagne (Dozy) : 28, 37, 140,

I

Des Islam in Morgen und Abendland (Müller) : 58.

Islamische Studien (Goldziher) 36.

J

The Jewish Messiah (Drummond) 110.

Journal Asiatique : 63, 115.
Journal of the Royal Asiatic Society (The Babis of Persia) : 102.

K

Karabaceck (Das Arabische Papier) : 34.
Khanikôff (Ethnographie de la Perse) : 45.
Kuenen : 110

L

Larousse (Encycl.) : 100.
Legatum Warnerianum : 3.
Life and Times of Jesus the Messiah (Edersheim) : 110.

M

Der Mahdi (Snouk Hurgronje) : 79, 110.

Le Mahdi depuis les origines de l'Islam jusqu'à nos jours (James Darmesteter) : 110

Mémoires de la Société Russe d'archéologie : 131.

Mémoires sur les Carmathes du Bahraïn et les Fatimides (De Goeje) : p. 110.

Mouradja d'Ohsson : 126.
Müller : 58, 100, 121.

N

Nerchakhi (Description de Bokhra) : 23, 45.

The New History of the Bab (Browne) : 101, 102.

Nicholson (Literary History of the Arabs) : 89.

Nöldeke (Geschichte der Perser und Araber) : 45, 102.

O

Opkomost der Abbasiden in Khorasan : 1, 37, 62, 104, 111, 125.

P

The Preaching of Islam (Sir Thomas Arnold) : 8, 10, 11, 12, 87.

La Propriété territoriale et l'impôt foncier sous les premiers Khalifes (Van Berchem) : 19.

Q

Quatremère : 63, 106, 111.
Quatrefages et Hamy (Crania Ethica) : 45.

R

Rèflexions critiques pour servir de réponse aux éclaircissements de M. Hammer (Hamaker) : 125.

Register geneal. Tabel Wüstenfeld) : 112.

Religion et Philosophie dans l'Asie Centrale (De Gobineau) : 102.

Religion of Israel (kuenen) : 110.

S

De Sacy : 100, 110, 115, 125.
Schefer : (Chrestomathie Persane) : 23, 49.

Selecta Historiae Halebi : 98, 121.

Snouk Hurgronje (der Mahdi) : 79, 110.

Specht : 45, 53.

Sprenger (Das leben und lehre des Muhammad) : 96, 118.

Streifzuge auf dem gebiete des Islams (Von Kremer) : 26, 36, 44.

T

Tableau de l'Empire ottoman (Mouradje d'Ohsson) : 126.

Theophilos : 98.

Trois ans en Asie (De Gobi-neau) : 98.

U

Ueber die länderverwaltung unter dem Khalifate (Von Hammer) : 27.

V

V. Giet (l'Art Arabe) : 71.

Van Berchem (La Propriété territoriale et l'impôt foncier sous les premiers Khalifes) : 19, 40.

Van Gelder (Mokhtar) : 37, 81.

Von des Revue Coloniale Internationale : 110.

Von Hammer (Ueber die länderverwaltung unter dem Khalifate) : 27.

Von Kremer : 21, 26, 36, 38, 39, 41, 58, 135.

W

Weil (Geschichte der Khalifen) : 22, 58, 81, 99, 111, 125.

Wellhausen : 71.

Wüstenfeld : 112.

Y

A Year Amongst the Persians (Browne) : 101.

Yeog. (Biblioth) : 129.

Z

Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft : 67, 98.

تصويب الأخطاء

نعتذر للقارئ عن وقوع بعض أغلاط مطبعية نوردها هنا مع إصلاحها

رقم الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	رقم الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	١٠	عسابا	عسانا	٨٢	١٤	على	عن
٨	١٦	حملس	حماس	٨٣	١٦	عندك	عندى
٨	١٧	العصوبات	الصعوبات	٨٤	١	الذى	التي
١٠	١٠	الإنتشار	انتشار	٩٠	١٢	فقاؤهم	ققهاؤهم
١٢	١٨	الإسلام	إلى الإسلام	٩٠	١٣	الدين	الدين
١٧	٤	عليها	على العرب	٩٠	١٧	استهمل	استهمل
٢٢	١٥	ما ارتكبه	ما ارتكب	١١٢	٢١	Wiiseien-feld	Wiistenf-eld
٢٨	٢٣	أو النظام	أن النظام	١٢٣	١٧	غياطها	غياطها
٢٨	٢٤	إلى فون	إليه فون	١٢٩	٤	رهنية	رهينة
٣١	١٢	في الابقاء	في سبيل الابقاء	١٣٠	٩	الدينورى	الدينورى
٥٩	٣	الأعيات	الأعطيات	١٣١	١١	بالميثاق	بانبثاق
٦٣	١٨	النفي	النبي	١٢٨	٢١	هناك	هناك
٦٤	١٣	بالفعة	بالعفة	١٤٠	٢٨	بالمحاسن	أبو المحاسن
٧٤	٨	بينه	بينهم				